جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان

كلية الآداب والعلوم

الإنسانية والاجتماعية

عرب علم

المعتمد

في الاصطلاح

مجلة يصدرها مخبر

تعريب المصطلح في العلوم

الإنسانية والاجتماعية

العدد الخاص

العدد: 3 السنة : ديسمبر 2003

المعتمـــد في الاصطلاح

مجلة يصدرها مخبر تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة أبي بكر بلقايد

مدير المجلة: أ . د . محمد عباس

هيئة التحرير

*أ. د.محمد عباس
*د.مختاري زين الدين
*د. خير الدين سيب
*د. محمد مذبوحي
*أ.كمال خربوش
*أ.مختار لصقع

هيئة القـــراءة

*أ. د.محمد عباس
*أ.د.رضوان النجار
*د. محمد محيي الدين
*د. باقي محمد
*أ.د. قدور ابراهيم عمار المهاجي
*أ.عوني احمد
*د. دكار محمد
*د.دايم بلقاسم

الهيئة الاستشارية

*أ

تعريب المصطلح في اللغة العربية

تصدير: بقلم أ.الدكتور محمد عباس

تتمايز الكفاءات في كلّ علم من العلوم الإنسانية بعنصري التّفوّق والإبداع، فالتّفوّق في المفهوم الحضاري يأتي بعد عنصر السّبق الذي يأخذ صفة الفضل فيما يسبق به غيره ، بينما يستفيد عنصر التّفوّق من عملية السّبق إلاّ أنّه يضيف عليه أو يجدّد فيه أشياء لم يسبق لها أن أثيرت، والحال كذلك مع عنصر الإبداع الذي يلي عنصر التّفوّق لكنه يفوقه بل يتجاوزه في جوانب لم يتمكن فيها عنصر التّفوّق أن يتناولها ولم تصل به كفاءته إلى اكتشافها ولعل الغرض من هذا التقديم ، هو ما جلبه لنا موضوع الكفاءة في عملية البحث العلمي حول موضوعات عالجها طلبة الدراسات في قسم اللغة العربية وادابها، بمستويتها المتتالية من اللسانس ، والماجستير والدكتوراه ، وكان من بين هؤلاء الطلبة، طالبتان هما وفاء جرماني وفاطمة الزهراء محمدي اللّتان حقّقنا دراسة جديرة بالعناية والاهتمام في موضوع اقترحه عليهما الأستاذ المشرف الدكتور محمد عباس ، مدير المخبر والذي سمّاه **تعريب المصطلح في اللغة العربية** وهو يتوزّع على محاور هامة منها :

أ.المصطلح والمفهوم

ب.المصطلح بين اللغة والفكر

وهو موضوع يمسّ مباشرة مشاريع مخبر تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ولما كانت الإحاطة بعناصر البحث كافية شاملة لمحتوى القصد العام الذي يرومه المخبر في غايته ومسعاه، فضّلت لجنة القراءة في مجلة " **المعتمد في الاصطلاح** " أن يكون نشر هذا الموضوع في عدد ممتازخاصّ وهو العدد الثالث للمجلة من شهر ديسمبر 2003، استجابة لدواعي البحث العلمي والاستثمار في الموضوعات الموجهة في مجالها المرغوب .

مدير المخبر

أ.د محمد عباس

مقدمة

اتجهنا إلى اللغة، فوجدنا الجميع يقر بأننا نعيش أزمة لغوية حادة، تفشت حتى كادت تصبح عامة ثقافية مستديمة، تلطخ جبينا الحضاري، عمت جميع الأصعدة تنظيرا وتعليما، نحوا و معجما، استخداما وتوثيقا، وإبداعا ونقدا، وجاءت تكنولوجية المعلومات لتضيف إلى هذه الأزمة بعدا فنيا متعلقا بمعالجة اللغة العربية آليا.

لم يقصر بنو العربية يوما في إظهار الحمية على لغتهم القومية وضرورة الحرص عليها، ومداومة تطويرها، وعلى الرغم من وضوح أعراض أزمتهم اللغوية، وجسامة آثارها، تظل مستعصية الحل وإن كثرت المؤتمرات والندوات واللجان والتوصيات ولعل أوضح الأعراض ما تعلق بما يأتي:

1-الثقافة اللغوية الغائبة والتي تتجلى أهميتها كأحد الروافد الأساسية للثقافة العلمية.

2-التعريب المتعثر الذي يواجه معارضة شديدة.

3-التعليم غير المتجاوب الذي لا تعكس استراتيجياته ومناهجه وسلوك مدرسيه وأداء طلبته ما للغة الأم من أهمية في أمور التعليم والتربية.

4-السياسات اللغوية التي بقيت حبيسة الأدراج لا ترى النور.

5-المجامع اللغوية ذات السلطات الضامرة والموارد المحدودة.

6-القطيعة المعرفية التي يقيمها بعض لدينا على اختلاف ميولهم الفكرية مع التوجهات الفلسفية الحديثة، وتشتد حدة القطيعة مع المدارس الفكرية التي تتخذ موقفا سلبيا من الدين.

7-الوعي غير الكافي بخطورة المسألة اللغوية.

والخطورة لا تكمن في هذه الأعراض فحسب، وإنما نحسبها في خطأ التشخيص لدائنا اللغوي فتارة يوجه الاتهام إلى مدارسنا، وتارة إلى مجامعنا، وأخرى إلى إعلامنا، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى إدانة العربية نفسها تحت زعم أنها تحمل بداخلها بذور التخلف الفكري والعجز الحضاري، وعدم الإلمام هذا بجوانب إشكالية اللّغة الحاضرة

نتج عنه في أغلب الأحوال الاقتصار على الجوانب التعليمية ولاسيما ما تعلق منها بالمصطلح، ومن هنا كانت بادرة هذا البحث خطوة لتجاوز نقاط مكرورة أهدرت الكثير من الجهود التي كان أحرى بها أن ترتفع بالبحث اللغوي العربي عن البكاء على الأطلال، أو نصب القيود والأغلال، أو الدعوة إلى الإباحية والانحلال.

ولفتح الأبواب أمام الدراسة الجادة والصائبة وطأنا بموضوعنا:

تعريب المصطلح في اللغة العربية : وقد كنا من قبل نصبوا إلى تناول موضوع .

حرب المصطلحات ومعركة المفاهيم، أدركنا فيما بعد أن مستوانا العلمي والمعرفي يقصر بنا عن الخوض في مثل هذا البحث، ومصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:«تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه»، وبتوجيه من الأستاذ المشرف : الدكتور محمد عباس إلى الموضوع الذي بين أيدينا، راقت لنا دراسته وراق لنا الغوص في أعماقه وكان منهجنا في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي العارض لقضايا المصطلح في كتب اختلفت فيما بينها باختلاف وتعدد قضاياها، منها ما أحرز الفضل والسبق عن غيره، ككتاب الدكتور: أحمد بن نعمان "التعريب بين المبدأ و التطبيق" وكتاب"حركة التعريب في العراق" للدكتور أحمد مطلوب، و"مقدمة في علم المصطلح" للدكتور علي القاسمي"وعلم الدلالة العربية" للدكتور فايز الداية، والثقافة العربية وعصر المعلومات" للدكتور نبيل علي، و"اللغة العربية والوعي القومي" لمركز دراسات الوحدة العربية، وكتابي محمد أركون" الفكر الإسلامي"، و"تاريخية الفكر الإسلامي"، وقد اقتضت منا خطة البحث توزيعه إلى أربعة فصول يسبقها مدخل وتنتهي بخاتمة، تناول المدخل قضية المصطلح والمفهوم وما يندرج تحتها من دلالات لغوية وعلاقات المصطلح والمفهوم، والصورة واللفظ، والاصطلاح والرمز، والاشتراك والترادف، وما لها من أثر في الاصطلاح العلمي.

ذلك أن الحياة الاجتماعية تشتمل على دلالات ومدلولات تسهل التعامل بين أفراد المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة، إذ العلاقة بين اللفظ ومعناه والمصطلح ومفهومه إنما تكتسي طبيعتها من المجتمع اللغوي الذي ينتميان إليه، فالدليل اللغوي في حقيقته كيان ذهني متكون من الدال وهو الصورة الصوتية، والمدلول أي المفهوم الذي يبنيه الإنسان من تصوره للشيء (مشخصا أو مجردا).

وعلى كل فإن التصورات عموما قد تسجيل معان ودلالات ورموزا تزيدها الثروة الفكرية غنى ويتسع بها فضاء اللغة لمن يريد البحث في الاصطلاح.

وما دام الرمز هو المادة الخام التي تتشكل بها الدلالات الفكرية فإن له دورا كبيرا في إثراء المعاني لأنه تمثيل لمفهوم ما بطريقة حرفية أو عددية وهو ييسر للكلمات اكتساب التجديد على مستوى حقل الدلالات، ففي الإعلام الآلي مثلا، الرمز مهم للبدء والدلالة ضرورية لتوضيح المعاني والمفاهيم، ولعل أهم ما تقيدنا به المقابلة بين اللفظ والمعنى ظاهرتي الترادف والاشتراك من دلالة دالات عديدة على مدلول واحد إلى دال واحد على مدلولات عديدة، الأمر الذي يفيد كثيرا واضعي المصطلحات العلمية الحديثة وعلماء المصطلحية.

ثم تناولنا في الفصل الأول مسألة المصطلح بين اللغة والفكر وما ينتج من أثر على كل منهما إذا طرأ التغيير على أحدهما، ورأينا إنّ الآراء حول اللغة تتراوح بين التوقيف والاصطلاح وما اللغة إلا ما يتلفظ به من عبارات وكلمات وجمل لتسد الحاجة ويبلغ التفاهم درجة كبيرة بين الناس، وليس لأحد الحق في تحديد عملية الوضع بزمان أو مكان.

ثم إن الفكر هو الذي ينتج المفاهيم ويصنع الدلالات فإذا انتهت هذه المفاهيم والدلالات سيتوقف ويتجمد، لذلك فهو يخضعها للتجديد المستمر والدائم، وآلة هذا الفكر ومرآة العقل هي اللغة، التي من شأنها أن تسد عينا للنظر والتساؤل إن كان وسيلة تعبير أو تفكير وإن كان يكتسبها الفرد لاستعداد في ذاته لاحتواء الوافد والإفادة

منه، أم أنه مفطور عليها وما عليه إلا توظيفها، فنجد الاستعداد اللغوي ونمو القدرة اللغوية متوافقين مع النمو العقلي، ومن هنا نقر بوجود علاقة بين الملكتين العقلية واللغوية إذ اللغة ما هي إلا منظومة من العلامات والرموز، متعارف عليها، فهي دليل على فكر صاحبها وفي الوقت نفسه تستمد انتظامها من محض عمل هذا الفكر وإن رأى بعضهم عدم التناسب بينهما إذ يقع التساؤل حول ما إذا كانت الأولى تقييدا للثاني أم أن الثاني سبب لها، ورأى البعض الآخر أن هناك وحدة موضوعية بين الفكر واللغة والجدير بالقول أن الألسنة قد تتباين بيد أن الناس بإمكانهم تخطي قوالب الألفاظ يتلاقوا على صعيد الفكر.

وكذلك الفصل الثاني فقد وسمناه "بالمعرب والدخيل" وضمناه مسائل المعرب والدخيل والمولد وتقاطعاتها كما تحدثنا عن الأعجمي وعربية المحدثين، فالمعرب ما استعملته العرب في كلامها من الألفاظ الموضوعة لمن في غير لغتها، منهم من يراه نقل الكلمة الأجنبية إلى العربية يتغير أو بدونه، والخلط وقع في ما هو الفرق بين المعرب والدخيل؟ اللفظ المنقول معرب إذ استعملته العرب، أم دخيل إذا أدخلته إلى لغتها وهو غريب الأصل سواء ما أدخل في الجاهلية أو في الإسلام، غير أن الدخيل هو الذي دخل دون تغيير والمعرب هو ما مسته العرب في الغالب بالزيادة أو النقص أو غيرت من حركاته عند المحدثين، أما المولد فلم يسلم هو الآخر من الأخذ والرد في تحديده، والأغلب أنه ما استعمله المتأخرون من الألفاظ ولم يستعمله فصحاء العرب، ومهما كانت تحديدات هذه المفاهيم الثلاث فإنها في نهاية الأمر وسيلة ضرورية لمواجهة سيل المصطلحات الأجنبية الوافدة علينا كل يوم.

أما في الفصل الثالث ومن باب أننا ولجنا مجال المصطلح العربي في الفصل السابق فقد ارتأينا أنه من باب أولى الحديث عن العربية، ووجدنا أنه لابد بعد ذلك من إيراد دالة الفكر العربي، فإذا عدنا إلى التأمل في اللغة العربية فسنجدها كائنا تاريخيا تعود جذوره إلى الماضي المتين وسنجد انعكاسها صادقا لنوعية الحضارة العربية الإسلامية

الماضية والسائدة، فهي تتميز على غيرها من اللغات بالتفوق في عدد المفردات وسبك العبارات، ومما زاد متانتها وعزز بقاءها أنها لغة القرآن الكريم.

وقد استطاعت في حقبة من الزمن أن تكون أداة كل ما نقل من علوم الحضارات المجاورة للعرب والمسلمين ولغة تجمع بين القدرة الهائلة في التعبير عن المحسوسات والمجردات، وبين الخبرة الطويلة عبر القرون، لهي لغة أملك لكفاءة عالية في التعبير عن مستجدات العصور المتأخرة.

ثم إن العبقرية اللسانية العربية هي جوهر العبقرية العربية باعتبار اللسان حاملا لكل مكونات الهوية والمؤهلات والملكات الفكرية، ومن طبيعة فكر المجتمعات أنه دائم الإثقال ومستديم التحرك، والفكر العربي هو الآخر يستقبل كغيره فكرا واردا عليه من الخارج، فتحدث لديه لإشكالية في كيفية فهم المنهجية الغربية بشكل كاف يرجع كفة النجاح والتطور لتراثنا العربي، وكيفية تطبيقها عليه حتى لا تصبح تبعية للغرب إنما نوعا من المشاركة في البحث العلمي، وحتى لا تقع اللغة العربية في مهالك التقليد والتمييع وحفاظا عليها يجب مضاعفة الجهود في وضع المصطلحات والدقة في اختيارها.

والفصل الرابع تناولنا فيه قضية الترجمة ودورها في الإسهام في عملية التعريب السليمة والدقيقة ثم التغريب بمفهومه وأسسه ووسائله وعوائقه مع لمحة خفيفة إلى حركات النقل والترجمة قديما وحديثا فمسألة التعريب والغريب والترجمة نقل المصطلح الأجنبي إلى العربية بمعناه، أي وضع مقابل عربي له، وبهذا يكون التعريب من الترجمة، والمترجم البارع من يأخذ النص من لغته فيتدبره ويفهمه ثم يعمد إلى اللغة الهدف فينقل ذلك النص إليها. تام المعاني مستوفي الألفاظ على أن يكون متقنا للغتين الأصلية والمنقول إليها، والترجمة أمر معروف، قديما استعملها الإنسان للتفاهم مع أخيه الإنسان، غير أن هذه الترجمة تختلف عما يعرف بالترجمة العلمية التي ظهرت في القرن الماضي والتي تضطلع بنقل الآداب والفنون والعلوم المختلفة، وجد ير بالذكر أن ترجمة هذه الأخيرة ليست كغيرها من الترجمات فهي دقيقة حساسة تحتاج إلى عناية وفهم ودراية

محيطة بموضوعاتها، أما التعريب فلفظة شاعت هذا الزمان يختلف مفهومها باختلاف مستعمليها، فنجدها وسيلة لتجديد المصطلحات، أو وسيلة للحفاظ على مبادئ الأمة الإسلامية، أو كلمة من قبيل الدخيل، أو جعل الإنسان عربيا، أو استعمال العربي ورفض إدخال الأجنبي، أو هي نقل الكلمة الأجنبية أو معناها إلى العربية، أو هي استخدام العربية لغة للإدارة والتدريس، أو اتخاذ قطر بأكمله العربية لغة حضارية أي تصبح لغة التخاطب والكتابة، ومهما كان، فهو تحويل طبيعي ضروري يعد من حركات الاستمرار للغة، ونقطة التقائه بالترجمة هي الحصول على مصطلحات عربية أصيلة تمنح الاطمئنان على قواعد و أساليب العربية، لكن ليس على الفكر العربي، ما لم يقابل الوافد المعرب بحكمة وحسن انتقاء، وبالأحرى ما لم تتخذ سياسة سليمة حيال الأمر.

وفي الختام لا نجد في وسعنا سوى التوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي ألفيناه أخا موجها وسندا في كل مراحل عملنا، والذي علمنا أن مذكرة التخرج إنما هي حصاد قراءات.

وإن البلوغ إلى الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عند ما تتوفر الوسائل وتتظافر الجهود، فعسى أن يكون هذا العمل المتواضع قبسا بسيطا ينير الطريق أمام ما سيليه من بحوث ولما سعينا بعد إلا أن نردد قول الشاعر :

قم أخي نكسر قيود التبعية ونشد صرح العلا للعربية

إنما التعريب أس للبناء إنه أولى الأماني الوطنية

وعلى الله قصد السبيل

المدخـــل

بين المصطلح و المفهوم

" إنني لأعجب من الذي يقرأ كتابا ليفهم مدلول كلمة واحدة او يطلع على فكرة صغيرة، ثم هو لا يقرأ كلمة واحدة ليفهم فحوى كتاب كبير".

- د. عمر فروخ -

1- المصطلح والمفهوم.

2- العلاقة بين المصطلح والمفهوم.

1-قضية المصطلح و المفهوم :

أ-الدّلالة اللّغوية :

تفرض الحياة على المجتمعات إيجاد وسائل للتفاهم و التعامل بين أفرادها لتكوين حضارة سويّة وضمان البقاء لها والاستمرار، ذلك ما يدفع هذه المجتمعات إلى إيجاد دلالات أيضا ومعاني تزيد من قوّة الترابط ومن بلاغة الفهم وبراعة التقدم، و انطلاقا من هنا يمكن القول أنّ الفهم يعني اشتمال الحياة الاجتماعية على دلالات ومدلولات تسهل التعامل بين أفراد المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة.

و إن عدنا إلى هذه الدّلالات أو المدلولات فسنجد مفرد الدّلالات هو الدّلالة ومفرد المدلولات هو المدلول ومنه الدليل الّذي جمعه أدلّة «و الدليل في معناه العام والمتداول يبين أنّ عنصرا أ يدلّ على عنصر ب أو ينوب عنه»[1]. فيكون الدليل موجودا إذا ما نظرنا إلى ما يفيد، «فالدّليل مفروض الدّلالة وهي كون الشيء يفيد العلم عند النظر فيه وهذا حاصل نظر أو لم ينظر»[2]. إذ إذا وجدت دلالة فلا بد هناك من دليل جعلها تظهر للوجود و النظر في قضية الدّلالة أو المدلول أو الدليل يقود إلى ربط ذلك مباشرة بلغة ما تقتضي وجود التفاهم والتجاوب بين أفراد مجتمع ما أو كيان اجتماعي ما و وجود لغة أو وجود تواصل في هذا المجتمع أو الكيان دليل على وجود أصوات تصدر عن هؤلاء الأفراد لذا قيل أنّ الدّليل اللغوي : أصوات يستعملها الإنسان للإبانة عن المفاهيم والأشياء. مثلما يقول ابن جني «لكلّ واحدة منها لفظ إذا ذكر عرف به مسماة ليمتاز عن غيره و يغني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب، وأخف وأسهل من تكلف إحضاره»[3].

---

[1] – حولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، الجزائر، مجلة الكلية، دار القصبة للنشر دط 2000 م، ص18

[2] – البناني، العلامة البناني حاشية العامة البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي على متن«جمع الجوامع»،لبنان بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع طبعة منقحة، المجلد الأول 1415هـ/1995م، ص 125

[3] –حولة طالب الابراهيمي، المرجع السابق ص 20

فالمسميات تكتسب دلالاتها لدى الشخص بالتعلم فيأخذ كل مدلول صورة دلالية في ذهنه.

ثم إن هذه الدّلالة تعرف بالعلامة الّتي تدل عليها فوجود الاسم دال على وجود دلالة والعلاقة إذن علاقة دلالة بين الدال و الدّلالة.

أما علاقة الدال بالمدلول أو المسمّى بالاسم فهي علاقة نيابة بحيث ينوب الاسم عن المسمى فمثلا "محمد" هذا الاسم دال على وجود شخص يمثله فهو ينوب عن شخصه وإن غاب عن الأعيان.

و المدلول عليه موجود ما دام اللّفظ قد استعمل في معناه مثلا لفظه"صندوق" المدلول عليه هو "الصندوق" في حد ذاته، و المدلول هو المعنى المقصود والحاصل من خلال اللّفظ الدال.

«و المراد بكون المعنى مدلولا عليه كون اللّفظ مستعملا فيه وكونه مرادا منه بالذات، فشمل لمعنى المجازي أيضا، لأنّ اللّفظ استعمل فيه وإن كان هناك انتقال من المعنى الأصلي إليه»[1] .

يقول ابن جني :«لم تخاطب الملوك بأسمائها إعظاما لها، إذا كان الاسم دليل المعنى، وجاريا في أكثر الاستعمال مجراه حتى دعا ذلك قوما إلى أنّ زعموا: أنّ الاسم هو المسمى، فلما أرادوا إعظام الملوك تجافوا وتجانفوا عن ابتذال أسمائهم الّتي هي شواهدهم و أدلة عليهم إلى الكناية بلفظ الغيبة (نسأله حرس الله ملكه).»[2] و بما أنّ هم قد اعبروا الاسم هو المسمّى لجأوا إلى تسمية الملوك أو كنايتهم بضمير الغائب وذلك إعظاما لهم وتكريما.

لا يجب أنّ نغفل في هذه الدراسة جانبا مهما في كون الدال يمكن أنّ لا يكون بينه وبين المدلول أي صلة ذلك بأنّ الخلل وارد ممكن الحدوث، بوجوده في الشخص

---

[1] – د.حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ط2،1980 ص93

[2] –د.فايز الداية على الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دمشق، دار الفكر ط2،1996م ص48

ما يقصده ابن جني في هذا القول أنّ لكل دلالة لفظا خاصا بها عندما يذكر يفهم القصد منه وبذلك يتميز عن غيره من الألفاظ ويكفينا عناء البحث عن الدّلالة الصحيحة هذا ما يوضح مدى العلاقة بين اللّفظ والدّلالة الّتي تفهم عن الصوت الّذي للذهن أو للعقل الرتبة الأولى في إحداثه «فالدليل اللغوي في حقيقته كيان ذهني متكون من الدال وهو الصّورة الصوتية والمدلول أي المفهوم الّذي يبنيه الإنسان من تصوره للشيء (مشخصا كان أو مجردا)[1]» .

أي أنّ الذهن يميز الصّورة الّتي يبنيها له الصوت وهو الدال وما يفهم من خلال هذه الصّورة الصوتية هو المفهوم الّذي يبنيه الإنسان في مخيلته حسب تطوره الذهني الخاص، فإذا قلنا مثلا: لفظ"باب" فالدال هنا هو الصّورة الصوتية الّتي صدرت و بمجرد إصدارها تكون حاملة مدلولا، هو المفهوم الّذي يبني في الذهن على حسب تصور الشخص لهذا الشيء (باب) فهناك من يتخيله في ذهنه طويل أو قصير، لونه أحمر أو أخضر، مقفل أو مفتوح... وما يجدر الالتفات إليه هو الشخص في حد ذاته في مجال اكتساب المفاهيم و المدلولات واستعمالها للاتصال و التفاهم، ومادام هذا الشخص ينمو ويتطور فمفاهيمه تتطور حسب مقتضيات قدراته الذهنية والجسمية، فيستطيع بناء العلاقات بين الدّلالة و المدلول و الدال و التميز بين الاسم و المسمى وذلك ما يوضحه الشكل الآتي :

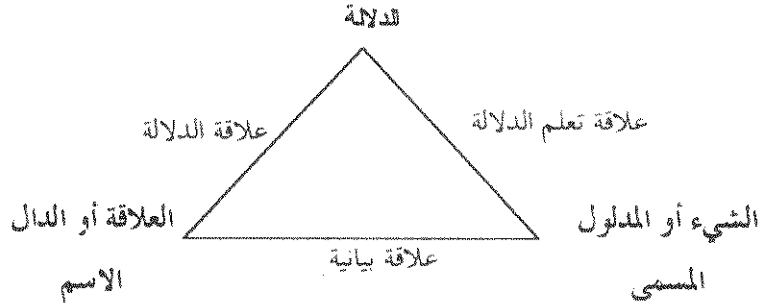

[1] – حولة طالب الابراهيمي، المرجع السابق ص 20

الّذي يوظف هذا الدال، وذلك المدلول قد رجع إلى مرض فيزيولوجي يطرأ على الإنسان يجعله يفقد السيطرة في ربط المفاهيم بمدلولاتها. والواقع أنّ التوازي المطلق بين مستوى الدال ومستوى المدلول أمر مستحيل، ويمكن الاعتقاد أنّ القواعد الّتي بفضلها وبفعلها تصبح البنية اللسانية دالة وقادرة على تصوير البنية الفكرية بالغة التعقيد.[1]

وجانب آخر مهم هو الربط بين الصّورة و واقعها إذ يحتاج إلى وسائل عديدة أحيانا تكون معقدة وصعبة يحدث من خلالها صعوبة كبيرة في ربط الدليل اللساني بالفكرة.

«فإن ما دل عليه اللّفظ في محل النطق معناه أنّ الدلالية على ذلك المدلول ثابتة في اللّفظ الّذي هو محل النطق أي المنطوق به، بمعنى أنّها ناشئة من وضعه لا من خارج، بخلاف دلالة الاقتصاد و الإشارة فإنها ليست ناشئة من وضع اللّفظ، بل من توقف صحة المنطوق على المقتضى أو لزوم المعنى للمدلول، وهذا المعنى يفيد، قولهم ما فهم من اللّفظ في محل النطق[2]». كما سيأتي فيما بعد التطرق إلى الاقتضاء.

و مشكلة الدّلالة أو طرح الدّلالة بطريقة المشكل الواجب الدراسة يقود نحو البحث من جانب آخر، هو الجانب الاجتماعي الّذي يحدد بالمكان والزمان والأفراد،«والمشكلة الدلالية إنما ستتبين في شكلين من أشكال الوجود : الأول: سكوني أي ماهية المعاني و كيفية عملها الدلالي، و يدرس هنا اللّفظ والمدلول وضروبها. والثاني: تطوري ويقصد به التغير الطارئ على الدّلالات و المدلولات من زمن إلى آخر أو من بيئة إلى بيئة أخرى[3]».

---

[1]– ينظر : خولة طالب الابراهيمي المرجع السابق ص 124

[2]– العلامة البناني، المرجع السابق ص 236

[3]– د.فاير الدايةن المرجع السابق ص 115

فالشكل الأول يعطينا ماهية المعاني وكيفية عملها الدلالي (كيف توجد، و أين، ومدى تبيينها للمعنى الصحيح والقصد المراد، واللّفظ والمدلول: والعلاقة بينهما وضروبها مدى التقائهما وتنافرهما) أمّا الثاني : يعطينا التغيرات الّتي تطرأ على الدّلالات و المدلولات وهذه التغيرات ترجع إلى المجتمع الّذي تستعمل فيه والبيئة المحيط بها إضافة إلى الزمن الّذي يعطيها إما استمراريتها أو يحددها بمدة تنتهي عندها صلاحيتها وبذلك أستقر لدى العلماء العرب مفهوم اجتماعية الدّلالة اللّغوية وعرفتها، أي اكتسابها حركتها وفاعليتها بفضل الاصطلاح بين أبناء المجتمع اللغوي.[1]

فما دامت الدّلالة اللّغوية مكتسبة عرفتها داخل مجتمع ما فإنها حتما كانت نتاج اصطلاح أفراد ذلك المجتمع عليها و العلماء أستقر لديهم هذا الربط الّذي يشمل الدّلالة والمجتمع، بكون المجتمع هو الّذي يصنع الدّلالة وبما أنّه يصنعها هو الّذي يجعلها تكتسب حركة وفاعلية تعطيها مكانها المناسب الاستعمال بين أفراده، وهذه الدّلالات أوالدّلالة، لديها ألفاظ هي الّتي تميز دلالتها عن باقي دلالات الألفاظ الأخرى وهذه الألفاظ خاضعة للتطور والتغير بحسب الزمان والمكان وهذا ما يؤدي بطبيعة الحال إلى تغير الدّلالة، هذا التغير، فتصبح إما مقصاة نهائيا من الاستعمال في المجتمع أو تكتسب دلالات أخرى حسب مقتضيات وقتها وإطارها.

«وقد يتغير مدلول بعض تلك الألفاظ مع تقادم الزمن تبعا لقانون التطور هذا، فلا تكاد تستعمل لما كانت تحمله من معان، بل تتخذ مدلولات أخرى لسد حاجات حضارية أو علمية جديدة، كما في لفظ "الرسم" الّذي أصله آثار الدار الباقية على الأرض، وقد تطور معناه إلى ما نخدثه بالقلم من أثر على ورقة أو سطح لتمثيل شيء ما[2]» .

---

[1] -ينظر : د.فايز الدايةن المرجع السابق ص 17

[2] - مركز دراسات الوحدة العربيةن اللغة العربية والوعي القومي، بيروتن بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجتمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية ط2، 1986 ص 228

«كما يتطور مدلول الكلمة في اللّغة نبعا لتطور الحياة الاجتماعية المحيطة بهذا المدلول، فكلمة (القطار) مثلا كانت تطلق في القديم على قطيع الإبل أو الغنم بينما أصبح لها الآن مدلول مختلف تماما، كما أن كلمة (البريد) كانت تطلق قديما على الدابة الّتي الرسائل، وتغير مدلولها... ليعني الجهاز أو المؤسسة الاجتماعية الّتي تعنى بتوصيل الرسائل إلى أصحابها... وقس على ذلك العديد من الكلمات و الألفاظ العربية الّتي تغيرت مدلولاتها بتغير الحياة الاجتماعية[1]».

ثم أخيرا نصل إلى أنواع التطور الّذي يصحب الدّلالة [2].

1-التطور الدلالي من المحسوس إلى المجرد: يشرح الراوي في "الزينة" تطور دلالة (غفر) من الطرف المحسوس إلى آفاق التجريد و الإدراك العقلي و النفسي أي انتقال الدّلالة من الصور المحسوسة إلى دلالة على المجرد ف (غفر) انتقلت من غفرت الشيء إذا غطيته، إلى : اللهم اغفر ذنوبي أي استرها.

2-التطور الدلالي بالتخصيص والتوسع: وهو الانتقال من الدّلالة على الخاص إلى الدّلالة على العام مثل«صلاة» الّتي كانت تعني (دعاء) ثم أصبحت تعني جميع تلك الأفعال و الحركات في الشعيرة الدينية والّتي من بينها «الدعاء»، أو انتقال من العام إلى الخاص مثل لفظة «كتاب».

3-التطور الدلالي بالنقل من مجال إلى أخر:«و إننا نجد الألفاظ المتطورة في هذا الحيز ترتبط بالاستعارة ومعنى التشبيه لأن نقل اللّفظ دالا من مجال إلى آخر إنما يستند إلى مسوغات الشبه الشكلي أو الوظيفي بين المجالين أو بين الجزأين الماديين الّذين تحرك اللّفظ بينهما[3]».

---

[1]- د.أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ و التطبيق، الجزائر، دار الامة للطباعة و الترجمة والنشر و التوزيع ص2 1998 ص56

[2]- ينظر د. فايز الداية ن المرجع السابق ص 279 —281.

[3]- د.فايز الداية ، المرجع نفسه ص 282.

يمكن أن نمثل لهذا النقل بمثالين أولا في الاستعارة:

كقوله تعالى «ابيضت عيناه من الحزن» وقوله تعالى «فيما عين جارية».

ف (عين) الأولى تعني العضو المبصر و الثانية ينبوع الماء.

ثانيا التشبيه : الحقيقة كالشمس واضحة.

أن ت شمس و الملوك كواكب.

فاللّفظ في الأول يفيد الوضوح و السطوع وفي الثاني يفيد الرفعة والعلو.

ومن هذا كله نقول أن الدلالة تتغير إما بالنقل أو بالتطور من المحسوس إلى المجرد أو بالتخصيص و التوسع«فإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها» حسب القاضي الجرجاني في الوساطة[1].

ثم إن البشر يشتركون في القدرة الذهنية على التصور، وقد يحدث تشابه أحيانا في بعض الدّلالات إلا أن الرموز تختلف باختلاف المجتمعات والأمم.

ثم يلتفت ابن سينا إلى نقطة ذات أهمية في تبيين الوعي العلمي الّذي يستوعب آفاق البحث الدلالي العام، ثم يخصص ما يكون بعد متصلا بكل لغة بشرية عند انفرادها وتميزها الذاتي، فالإنسان لديه القدرة التصويرية اللّغوية وهي قاسم مشترك عند البشر و الحركة الذهنية واحدة، مع النظر إلى اختلافها درجة واتقانا في طبيعتها، أما الوسائل و الرموز فهي مختلفة بين الأمم في لغاتها المتباينة الدّلالات مع أن المدلولات في العالم الخارجي وفي المجردات المعروفة واحدة.«و أما دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا تختلف الدال و لا المدلول عليه، كما في الدّلالة بين اللّفظ و الأثر النفساني، فإن المدلول عليه وإن كان غير مختلف فإن لا الدال مختلف، ولا كما في الدّلالة بين اللّفظ و الكتابة، فإن الدال و المدلول عليه جميعا قد يختلفان[2]».

---

[1] – ينظر:د.فايز الداية ، المرجع السابق ص 412

[2] – د.فايز الدايةن المرجع نفسه ص 15

«و أول المصطلحات العربيّة ما جاء في القرآن الكريم، وكان لكثير منها معنى لغويّا فنقلت من معناها الأول إلى المعنى الجديد وكانت الحقيقة الشرعية من أسباب نمو اللّغة وفتح باب تطور الدّلالة وانتقال الألفاظ من معنى إلى آخر يقتضيه الشرع و تتطلبه الحياة الجديدة[1]»

«وإن مما عرفه القدماء من علماء العربية وأفاض فيه على اللّغة الحديث، أن الدّلالة الجديدة إنما تحدث سبب من الأسباب الّتي تلبي حاجة الاستعمال من جهة، و تحافظ على سلامة اللّغة وأصالتها من جهة أخرى وإنها لذلك لا تخرج عن الحدود الآتية:

1.توسيع المعنى (تعميم الخاص)

2.تضييق المعنى (تخصيص العام)

3.انتقال الدّلالة لعلاقة المشابهة أو المجاز المرسل»[2] مما سبق ذكره.

نستنتج من ذلك أن أي دلالة جديدة تحدث أو حدثت فهي إما للضرورة الّتي تفرضها المجتمعات، أو لحاجة علمية تحتاج لمعطى لغوي يجعلها سهلة الاستعمال ويسيرة الفهم وبذلك تحافظ على اللّغة وعلى أصالتها الّتي تميزها عن باقي لغات العالم الأخرى.

ومن خلال ما سبق يمكن تمييز ما يلي:

«1-إن الربط التعسفي بين الدال و المدلول من الناحية النظرية لايمنع وجود ضرورة عملية تحمل اللّفظ دلالة ثابتة، بحيث كلما ذكر اللّفظ قام في الذهن معناه، وكلما قام المعنى في الذهن لازمه تمثيل اللّفظ الدال عليه، فكلمة "بيت"في العربية تدل دائما على سقف، وجدران،وباب...

---

[1] – د.أحمد مطلوب حركة التعريب في العراق، بغداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،دط 1983م

[2] – د.محمد ضاري حمادي، حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث (1266–1398هـ/1850–1978م)العراق،دار الرشيد للنشر سلسة دراسات 239 دط 1980م.

وهذا النوع يدعي دلالة المطابقة الّتي هي دلالة اللّفظ على تمام المعنى الّذي هو موضوع له بالاصطلاح « ودلالة المطابقة هي الدّلالة الأصلية الّتي ينبغي للمتكلم أن يقصدها وللسامح أن يطلبها».

2-كما أن للألفاظ دلالات فرعية، حيث أن كلمة بيت تتضمن معنى الجدران باعتباره جزءا من كل فكلما ذكرت كلمة بيت قام في الذهن تصور الجدارن، وهذه الدّلالة تدعى دلالة التضمن وهي دلالة اللّفظ على جزء من أجزاء المعنى الّتي يدل عليها اللّفظ بالمطابقة.

3-وإذا ذكر السقف قام في الذهن تصور الجدران لأن السقف لا يوجد من غير جدران تحمله، كما أن كلمة أغصان تستلزم وجود جذع تفرع عنه، فدلالة السقف على الجدران ليست دلالة مطابقة ولا دلالة تضمن.

إذ الجدار ليس جزءا من السقف و إنما هو شرط لازم لوجوده، ولذا فدلالة السقف على الجدران ودلالة الأغصان على الجذع تدعى دلالة الالتزام، وهي دلالة معنى اللّفظ على معنى آخر ملازم له بحيث لا يحصل المعنى الأول بدون حصول المعنى الثاني، وهكذا نستخلص من كلّ ما سبق أن الدّلالة أن واع، وهي تتغير بحسب الألفاظ والمواطن إضافة إلى البيئة الّتي تحيط بأفراد المجتمع الواحد بحكم أن الألفاظ عديدة والمعاني متعددة و الدّلالة متجددة، وفي الأخير نستطيع أن نلخص معنى الدّلالة بطريقة بسيطة من خلال التعريف الّذي جاء به السيد الشريف الجرجاني (740-816 هـ) فإنه يورد في تعريفته كلاما جامعا عن الدّلالة...

فيقول :«الدّلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، و الشيء الأول هو الدال، و الثاني هو المدلول، و كيفية دلالة اللّفظ على المعنى باصطلاح علماء

الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، واقتضاء النص[1]» مما يعادل من أسلفناه ما دلالة المطابقة و التضمن والالتزام.

ب-المصطلح و المفهوم :

و أقسام الدّلالة كما أوردها العلامة البناني في حاشيته منطوق ومفهوم، فهو يقول:«أعلم أن ابن الحاجب جعل المنطوق والمفهوم أقساما للدلالة وقال: المنطوق دلالة اللّفظ على معنى في محل النطق بأن يكون ذلك المعنى حكما للمذكور، والمفهوم دلالته على معنى لا في محل النطق بأن يكون ذلك المعنى حكما لغير المذكور[2]».

ولئن كان المفهوم في زمن ابن الحاجب دلالة المنطوق على المعنى في غير محل النطق، فإنه عند المحدثين[3] تمثيل فكري لشيء ما (محسوس أو مجرد) أو الصنف من الأشياء لها سمات مشتركة ويعبر عنه بمصطلح أو برمز(*) ويسمّى مصطلحا كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة (مثال: بيت) وهذا ما يعرف بالمصطلح البسيط، أو من كلمات متعددة (مثال بيت لحم) لتكون مصطلحا مركبا[4] فمفهوم (بيت) هو تمثيل فكري استدعى تعبير خاصا به فاصطلح عليه بكلمة واحدة (بيت).

بينما في المثال الثاني اقتضى التغبير عن التمثيل الفكري لمكان معين تركيب كلمتين للاصطلاح عليه (بيت لحم) بالرغم من أن دلالتي الكلمتين منفردتين لا تؤديان إلى نفس المفهوم.

---

[1] – الفلسفة لطلاب البكالوريا الجزائر وزارة التربية الوطنية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ،د ط ج2، 1991-1992م.

[2] – العلامة البناني، المرجع السابق ص 236.

* – سيرد فيما يلي تحديد المصطلح «رمز».

[3] – ينظر : علي القاسمي مقدم في علم المصطلح القاهرة مكتبة النهضة المصرية ط2 1987 ص 213

[4] – المرجع نفسه ص 215

فكلمة (بيت) تؤدي معنى (الدار أو المأوى)و (لحم) المأخوذة من اللّغة العبرية والّتي تعني (خبز)، ولو عوضنا الكلمتين معنييهما لم يؤد تركيب (دار الخبز) التمثيل الفكري الأول الّذي هو (بيت لحم) اصطلاحا، تلك البقعة من أرض فلسطين، فالمصطلح بهذا كل وحدة لغوية، تسمى مفهوما محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما وغالبا ما يدعى بالوحدة المصطلحية في أبحاث علم المصطلح.[1]

وإطلاق اسم على تلك المنطقة (بيت لحم) أو على ذلك المأوى (بيت)«هو العرف الخاص، وهو اتفاق طائفة مخصوصة على وضع شيء[2] » وهو الاصطلاح أي اتفاق القوم على وضع هذا الاسم لذاك المسمى مما سيلي بيانه.

و المفهوم دلالته على معنى لا في محل النطق كما رأينا عند ابن الحاجب، وهو لغة ما يستفاد من اللّفظ بينما المنطوق عنده دلالة اللّفظ على معنى في محل النطق، وهو لغة الملفوظ به[3] فإذا اكتفينا بالتعريف اللغوي اعتبرناه منطوقا كل ملفوظ به سواء أدى معنى أم لم يؤده، بيد أن ه في الاصطلاح كل لفظ دل على معنى في حال النطق به، وفي حال لم يلفظ مع وجود دلالة على المعنى فما يستفاد من اللّفظ هو المفهوم.«ومعنى دلالة اللّفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه[4] »

وإذا سلمنا بأن دلالة اللّفظ مفهومه ووقوع معناه في النفس بعد ارتسامه في الخيال، فحري بنا أن نعرف أي من هذه الحدود أسبق وجودا، ونجد أن الغزالي يفرد بحثا في كتابة"معيار العلم" لبيان رتبة الألفاظ من مراتب الوجود، ويقول فيه بأسلوب

---

[1]- علي القاسمي المرجع السابق ص 215

[2]-أحمد مطلوب ، المرجع السابق ص 56

[3]- ينظر: العلامة البناني، المرجع السابق ص 236

[4]- د.فايز الداية المرجع السابق ص 14-15

مسير:«اعلم أن المراتب فيما نقصده أربع: و اللّفظ في الرتبة الثالثة، 1-فإن للشيء وجودا في الأعيان.2-ثم في الأذهان،3-ثم في الألفاظ 4-ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على اللّفظ و اللّفظ دال على المعنى الّذي في النفس، والّذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان[1]». ومن هنا نخلص إلى أن الترتيب يأخذ اتجاهين واحد من جهة الناطق فيكون للشيء الموجود عينا وجودا في ذهن الناطق فيحيله لفظا، ثم من جهة السامع، إذ يتلقى اللّفظ فيدل على معنى يجده في نفسه، وما في نفسه مثال لما هو موجود في الأعيان.

الناطق ⟷ الشيء ⟷ المعنى ⟷ اللّفظ

السامع

إلى مثل هذا يذهب أبو حاتم الرازي (ت 322 هـ) «أن كل شيء يعرف باسمه، ويستدل عليه بصفته من شاهد يدرك (الشيء) أو غائب لا يدرك (المعنى) و ربما دعي الشيء باسم لا يعرف اشتقاقه من أي اسم هو بل يكون مصطلحا عليه، قد خفي على الناس ما أريد به، ولأي شيء سمي بذلك الاسم:

كقولك : الفرس و الحمار و الجمل و الحجر وأشباه ذلك[2]» وهذا ما يصطلح عليه حديثا باعتباطية العلامة اللّغوية، فقولنا (حجر) لا مناسبة بين لفظه حاء وجيما وراء وبين عينه، وإن ناسبت بعض الألفاظ مسمياتها (كالزقزقة والخرير) فإن اصطلاح الناس على الاسم واستعمالهم له هو الّذي يعطيه قيمته الدلالية وكما يطلقون المصطلح على المفهوم فيحمله دلالة معينة كذلك يشبعونه في كثير من الأحيان بدلالات أخرى عن طريق المجاز و الاستعارة لمفاهيم مختلفة عن الأول فتدعى بالدّلالات الحافة و المعاني المحيطة « و يقصد أركون بالدّلالات الحافة و المعاني المحيطة ما يدعى في اللّغة الفرنسية Connotation.

---

[1] – د.فايز الداية المرجع السابق ص 16

[2] – المرجع نفسه ص 17

فكل كلمة أو مصطلح له معنى خفي مباشر أي قاموسي dénotation ومعنى مجازي Connotation و الواقع أن العرب الكلاسيكيين كان و يتحدثون عن ظلال المعاني بنفس المعنى، فهناك المعنى وظلال المعنى أو إيحاءاته[1]».

و إلى مثل هذا يذهب العلامة البناني فيرى أن «اللّفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن تدل عليه بحكم لوضح، ومتى كان لمفهومها تعلق بمفهوم أخر أمكن أن تدل عليه بواسطة ذلك التعلق، سواء كان ذلك المفهوم الأخر داخلاني مفهومها الأصلي أو خارجا عنه»[2] وهذا ما سبق بيانه في تغير الدّلالة و تطورها. نقف هنا عند كلمة (الوضع) المراد بها «ما كان على قانون اللّغة[3]» لا أن يقال في (زيد) زاوي وياء ودال لها دلالة فلا يصح نفي أصل الدّلالة عنها[4]، بل أن تكون اللّفظة الموضوعة متناسبة وأحكام اللّغة محل الوضع وغير مستوحشة عند نتكلمها، والدّلالة الوضعية عند الجرجاني هي كون اللّفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعمل بوضعه*.

وهي المنقسمة إلى المطابقة، وعلى جزئه بالتضمن وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام كالإنسان فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن وعلى قابل العلم بالالتزام[5]، مما سبق بيانه في أن واع الدلالة ومن هنا يتجلى لنا مبدأ مهم في وضع المصطلحات فحواه جواز اختيار المصطلح أو وضعه لأدنى علاقة أو ملابسة بالمدلول، فإن التعريف العملي الدقيق لما اصطلاح عليه في اللّغة الإنجليزية بلفظ Hélicopter المأخوذ من اليونانية لا يمكن أن يستوعبه هذا اللّفظ البسيط الّذي لا يعدو

---

[1] – محمد أركون الفكر الاسلامي ترجمة وتعليق هاشم صالح الجزائر لافوميك المؤسسة الوطنية للكتاب

[2] – العلامة البناني المرجع السابق ص 239 دط 1993ص 197.

[3] – المرجع نفسه ص 238

[4] – ينظر: العلامة البناني، المرجع نفسه ص 238

* نراجع مرتبة الألفاظ من الوجود.

[5] – ينظر: د.فايز الداية، المرجع السابق ص 09

معناه (الجناح اللولبي)[1] فالمسمى هنا شيء مركب ضخم ومن (الجناح الدوار) أو (الجناح اللولبي) إلا جزء صغير منه، وكان أن وضع هذا الاسم لذلك المسمى لتلك الملابسة البسيطة بينهما.

وعن عملية الوضع أو التسمية أو الاصطلاح، لا نرى بأسا في الرجوع إلى الوراء قليلا، إذ يمضي سقراط في كلامه، فيشبه عملية التسمية بالحياكة، وكما أنّ المسحاة يستعان بها لفك الخيوط المتشابكة، فكذلك الاسم يستعمل لتعليم الناس وإرشادهم إلى وجه الحقيقة، وكما أن المسدلة هي من صنع النجار، فكذلك الاسم إنما هو من وضح الواضع، فإذا أراد النجار أن يصنع المسدلة، فينبغي أن يعطي لها الشكل المناسب لنوع العمل المرغوب (وذلك قول البناني: ما كان على قانون اللّغة).

وكذلك الاسم فلا بد أن يكون مناسبا للشيء الّذي أطلق عليه وإذا قيل: من يا ترى سيحكم بما إذا كان الشكل الّذي أعطى، والاسم الّذي وضع منا سبين؟ فالجواب على ذلك أن الحكم لمن سيستخدمهما، وبعبارة أخرى، فالحكم سيكون للمتكلم، لأن ه هو الّذي سيقبلهما أو يرفضهما.

وعلى ذلك فالواضع إنما يضع الأسماء مهتديا بآراء جماعة المتكلمين، وما كل إنسان بقادر على أن يضع الأسماء، بل إن هذا العمل مقصور على من يستطيع أن يدرك ماهية الشيء، وأن يعطي لها صياغة مقبولة في قالب الحروف و المقاطع الصوتية[2] فالوضع إذن مرهون بالاجتماع على الموضوع إن وضعا أو استعمالا، واستنادا على هذه التسمية الاجتماعية تصبح الدّلالة بالألفاظ اصطلاحية عند ابن سينا[3]«أما الأدلة

---

[1] – مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 235

[2] – ينظر: د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 23

[3] – ينظر: د.فايز الداية المرجع السابق ص 17

فهي إرادية وضعت قصدا لتفيد شيئا وهذا الوضع تم بالتواطؤ والاصطلاح أي التواضع بين جماعة من الناس لغرض واحد هو التبليغ عند سقراط.

لتعليم الناس وإرشادهم إلى وجه الحقيقة يقول السيوطي «الوضع عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم الثاني»[1] ، هكذا تتكون اللّغة كلما تواضع شخصان على إعطاء فعل ما معنى معينا وفعلا هذا الفعل من أجل التواصل فيما بينهما[2] المعنى الّذي يكتسب قيمته واستمراريته قدر استعماله وتداوله«وكما يقول مالينوفسكي فإن معنى الكلمات يهدف إلى وظيفتها أو منفعتها أو استخداماتها»[3].

بين الوضع و التغير تستمر حياة المصطلح ومفهومه«ويمكن القول بأن الكلمات تمر في حياتها بأربع مراحل:

أ-مرحلة الوضع: أي اصطلاح الناس على استعمال كلمة أو إلتزام قاعدة.

ب-مرحلة التقبل: أي تقبل الكلمة أو القاعدة رغم ما فيها من التعسف(الاعتباطية).

ج-مرحلة الشيوع و التداول: حيث تصبح الكلمة متداولة و معروفة.

د-مرحلة الاضمحلال: وذلك هو مصير الكلمات المهجورة الّتي يتخلى عنها الناس مؤقتا أو نهائيا»[4] .

من نافلة القول أن هذه المراحل تتوقف على دينيا مكية العلاقة بين المصطلح والمفهوم. فالنظام اللغوي (سواء الفصيح أو الدارج) يتأثر مثلا بالنظم الاجتماعية الأخرى، الدينية منها والاقتصادية والسياسية والتربوية والأسرية... فكل نظام في المجتمع

---

[1] – حولة طالب الابراهيم، المرجع السابق ص 19

[2] –ينظر: جوزيف فندرس، نقلا عن النصوص الفلسفية الميسرة للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الجزائر، وزارة التربية الوطنية، المعهد التربوي الوطني،دط، ج1،ص 257

[3] – شوقي عبد حكيم، علمنة الدولة وعقلنة التراث العربي ص 64

[4] – د.حنفي بن عيسى، المرجع السابق ص 58

يتغير و يطبع بتغيره اللّغة السائدة بصبغة خاصة في مختلف مظاهرها النائية أو الدلالية...أو اللّفظية، وذلك أن مقتضيات الحياة الاجتماعية المتجددة قد تحدث مفردات جديدة لم تكن موجودة من قبل أو تهجر كلمات لم تعد الحاجة إلى استعمالها، أو تغير معنى كلمات أخرى مع تغير استعمال مسمياتها في هذه الحياة الاجتماعية، فالمفردات الجديدة تحدث للتعبير عن مستحدث اجتماعي جديد(مخترع مادي جديد، نظام اقتصادي، نظرية علمية، فلسفة جديدة).

كما أن انقراضها يعود إلى اختفاء مسماها في الحياة الاجتماعية، فكلمة «الهركاس»وتعني الحذاء القديم المرقع (بالعامية الجزائرية) ستزول من الاستعمال عندما لايصبح لمسماها وجود في الواقع الاجتماعي[1].إذا المجتمع كما يقول أركون «يبدع ويعيد باستمرار نظاما للكلمات و المفاهيم يقع فوقه نظام الأشياء أودونه أوما وراءه»[2]، ومن هذه الحركية أيضا بين المصطلحات والمفاهيم أن الألفاظ تفقد قيمتها الاجتماعية بفقدانها التأثير البلاغي جراء الاستمرار مدة طويلة في الدوران على الألسنة والأسماع، فتنتقل المعاني من الألفاظ الحقيقية إلى الألفاظ المجازية، أوتنتقل الألفاظ من معانيها الأولى إلى معان جديدة، وهذا جانب من جوانب العبقرية العربية في اللّغة[3].

قد يطرح أحدهم هذا السؤال: هل نحن على بينة من طبيعة العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها في لغة من اللغات؟ وقد يقال له: بما أن الكلام تلفظ بمفردات لغة معينة، فإنه يتعذر التفاهم بين متكلمين لا يعرف أحدهما لغة الآخر، لأن الشيء الواحد يرمز له بألفاظ مختلفة باختلاف اللغات، وهذا يعني عدم وجود ضرورة ذاتية بين الاشارة

---

[1] –ينظر: د.أحمد بن نعمان، المرجع السابق ص 56

[2] – محمد أركون، تاريخية الفكر للإسلامي،ترجمة:هاشم صالح بيروت،مركز الانماء القومي، ط3،1998م،ص214

[3] – ينظر: عمر فروخ عبقرية اللغة العربية، لبنان، بيروت دار الكتاب العربي، دط 1401هـ/1981 ص 58

اللّفظية والمشار إليه[1]، فالعلاقة بين اللّفظ ومعناه، والمصطلح والمفهوم، إنما تكتسي طبيعتها من المجتمع اللغوي الّذي ينتميان إليه، مما تبيناه سلفا في ظلال المعاني أوالدّلالات الحافة أو ما أسماه العلامة البناني في حاشيته بتوابع المنطوق فيقول:«إن قلت: ما الفرق بين المفهوم وتوابع المنطوق؟ قلت المفهوم ويقصد التنبيه بالمنطوق عليه، أمّا تنبيه بالأعلى على الأدنى أو بالعكس أو التنبيه بالشيء على ما يساوية وكل ذلك للمناسبة بينهما، بخلاف توابع المنطوق"[2] .

وعلى هذا نخلص إلى كون تلك العلاقة الّتي تربط بين المفهوم والمصطلح تخضع لعامل التوظيف والاستعمال.

2–العلاقة بين المصطلح والمفهوم:

أ–الصّورة و اللّفظ:

«إنّ ماهية اللّغة تتمثل في اعتبار بعض الأصوات الاصطلاحية المتلفظ بها قصدا، أوما يعادلها، ممثلة لمختلف ثمرات التجربة، فكلمة «منزل» ليست في ذاتها واقعة لغوية إذا قصدنا بذلك فقط الأثر السمعي الّذي تحدثه في الأذن الحروف والحركات الّتي تتألف منها الكلمة المنطوق بها حسب ترتيب معين، ولا تتكون هذه الواقعة اللّغوية من الظواهر الحركية أو اللمسية الّتي تتحكم في النطق بالكلمة ولا من الصّورة اللّفظية الّتي تتكون لدى من يسمع هذا الصوت المنطوق، ولا من الادراك البصري لكلمة "منزل" مكتوبة أو مطبوعة، ولا في الظواهر الحركية أو اللمسية المعتمدة في كتابة الكلمة، ولا من تذكر بعض هذه الفاعليات أو كلها، بل لن تصير كل هذه الفاعليات المؤلفة رمزا أو كلمة وعنصرا من اللّغة إلا عندما ترتبط بصورة منزل إرتباطا آليا، لكن مجرد هذا الإرتباط ليس كافيا، فقد نسمع كلمة في منزل معين في ظروف مؤثرة جدا إلى درجة

1– ينظر: الفلسفة لطلاب البكالوريا ص422.

2– العلامة البناني، المرجع السابق ص 236.

أن الكلمة وصورة المثل لا يعود أحدهما إلى الشعور دون أن يكون الآخر حاضرا في نفس الوقت، فهذا النوع من الترابط ليس هو اللّغة، بل إن الترابط الذي يتحكم في اللّغة يجب أن يكون رمزا بحتا، بمعنى أن الكلمة يجب عليها أن تبعث الصّورة وأن تستتبعها فورا وأن لا تقوم بدور آخر سوى دور البديل الّذي يمكن الرجوع إليه كلما دعت الحاجة إلى ذلك أو اقتضته المناسبة، فهذا الترابط إرادي، وهو بمعنى من المعاني تحكيم يتطلب جهدا كبيرا من الانتباه الواعي في البداية على الأقل، لأن الإرادة سرعان ما تجعل هذا الترابط آليا واسعا في ترابطات كثيرة غيره...»[1]

من قول إدوار سبير هذا يتبين أن هناك تلازما بين اللّفظ و الصّورة الّتي يحملها إلى الذهن حين التلفظ به، فمن الأكيد كما يقول جون بول سارتر، أن ي عندما أكون في نفسي صورة (زيد) فإن (زيدًا) هو موضوع شعوري الراهن، وما دامت هذه الصّورة لم تفسد، فإني أستطيع أن أصف الموضوع كما يبدو لي فيالصّورة، لا الصّورة من حيث هي صورة، ولتحديد خصائص الصّورة من حيث هي صورة، فإنه يجب اللجوء إلى فعل شعوري جديد : إنه يجب (الانعكاس) وهكذا تكون الصّورة من حيث هي صورة ليست قابلة للوصف إلا بفعل من الدرجة الثانية تتحول به النظرة عن الموضوع لتتجه إلى الكيفية الّتي يعطى بها هذا الموضوع، فهذا الفعل الانعكاسي يسمح بالحكم التالي «لدى صورة»[2] هذه العملية الّتي محلها الذهن وتمثل حصول الصّورة وإنعكاسها بالشكل الآلي أو الإرادي حين تستدعي الحاجة حضورها، هي التصور الّذي يعرفه الامدي بأنّه عبارة عن حصول مفردما في العقل كالجوهر و العرض ونحوه[3]، وهناك من يجعل من التصور والمعنى شيئا واحدا هو إدراك العقل موضوعه في

---

[1] – النصوص الفلسفية الميسرة للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، الجزائر، وزارة التربية الوطنيةن المعهد التربوي الوطني،دط،1985،1986،ص255.

[2] – ينظر: محمد يعقوبين المختار من النصوص الفلسفية الجزائر، مكتبة الجزائرية ط2 1972 ص 151

[3] – ينظر: د.عبد الامير العسم المصطلح الفلسفي عند العرب، تونس، الدار التونسية للنشر، دط،1991 ص354

ما هيته دون إثبات ولانفي، إنه يقتضي مجرد وعي موضوع باعتباره معقولا[1]، بينما هو عند أرسطو تعبير بكلمة واحدة عن تعريف الشيء، فهو يعبر عن ماهية الشيء في ذّهن دون الوصول إلى الواقع مع ذلك... فالتصور مجرد إعادة بناء للواقع يرد فيها المذهن كثرة التمثلات الحسية إلى وحدة المعنى العام، وهو من الناحية الذاتية حدس يقيني بقطع النظر عن الصدق و الكذب[2].

إذن فالمحتوى الخارجي للتصور، الاشد موضوعية هو اللّفظ، لكن هذا اللّفظ لايملك بذاته قيمة، إنه مجرد علامة مادية في حين أن التصور يجب أن يكون له محتوى فكريا[3].

هذا المحتوى الخارجي الّذي يصطلح عليه فلسفيا الحد هو تعبير عنه وعلامته كما أن التصور هو علامة الشيء. وقد ميزه أرسطو من الخارج بكونه غير مرتبط بشيء آخر... وكان المدرسيون يعرفونه بأن ه (لفظ دال بحسب الاصطلاح) معبرين بذلك عن طابعه الاصطلاحي[4].

إن للتصور من الناحية المنطقية البحتة صفتين جوهر يتين هما، الإمكان والعموم:

أ- إمكان التصور: إن إمكان التصور هو صلاحيته الميتافيزيائية للوجود.

ب-عموم التصور: هو التصور التقليدي التصور معنى عام، بل هو موضوع التعريف والعلم إذلا علم من الجزئي... والعقل إنما يدرك الكلي[5].

---

[1]- ينظر: جول تريكو، المنطق الصوري ترجمة محمود يعقوبي، بن عكنون ديوان المطبوعات الجامعية دط1419هـ/ 1998م ص63

[2]- ينظر: المرجع نفس ص 64

[3]- ينظر: النصوص الفلسفية الميسرة، المرجع السابق ص 06.

[4]- جول تريكو، المرجع السابق ص 63

[5]- ينظر: المرجع نفسه ص 67-68

فيندرج ضمن التصور في صفته المنطقية الأولى الموجودات الذهنية مثلا الممكنة الوجود (كالمثلث) (أو العدم)، وفي الصفة الثانية (إنسان) تصور عام والجزئي(زيد وعمرو).

وكان المنطقيون في العصر الوسيط يميزون: من جهة بين مجرد الوعي و التصور الّذي هو بناء ذهني ومن جهة أخرى بين التصور الذهني أو الصوري الّذي هو فعل العقل، والتصور الموضوعي الّذي يتكون من الماهية[1]. لكن منطق التصور لا يهتم لا بالتكوين النفسي له ولا بقيمته الموضوعية بل موضوعه الصحة الذاتية للتصور[2].

لقد مربنا أن التصور هو المعنى ويرى الدكتور محمود فهمي زيدان أنه يختلف عن الشيء المادي في أن ه لا يمكننا إدراك الأول إدراكا حسيا بينما يمكننا إدراك الثاني كذلك أي أنّ المعنى واقعا موضوعيا مستقلا عنّا، و إن لم يكن واقعا حسّيا، إن المعاني كما يرى فريجه تؤلف عالما ثالثا غير عالم الأفكار الذاتية وعالم الأشياء المادية[3] وفي عالم التصورات هذا نجد لها تقسيمات عديدة أهمها مايلي:

1-التصورات البسيطة و التصورات المركبة: إن التصورات البسيطة لا تحتوي إلا على عنصر واحد ومفهومها ضيق إلى الجد الأدنى، إنها الحدود القصوى للتعميم مثل: الوجود و الممكن، و بسبب بساطتها فلا يمكن أن يكون بها أي تناقض...

2-التصورات الجمعية و التصورات الكلية: التصورات الجمعية هي التعبير عن فئة من حيث هي فئة مثل : الجيش و الجمعية، و التصورات الكلية هي التعبير عن فئة متحققة في فرد: إنسان، وفيلسوف.

---

[1] – ينظر: جول تريكو المرجع السابق ص 63

[2] – ينظر: المرجع نفسه ص 64

[3] – ينظر: د.محمود فهمي زيدان المنطق الرمزي، نشأته وتطوره بيروت دار النهضة العربية، دط 1979،ص161

3-التصورات الموجبة و التصورات السالبة: التصور الموجب يحدد صنفا من الموضوعات يمكن أن يحمل عليها، ويمكن أن يكون التصور السالبا مجرد نفي للتصور الموجب (مثال: لا إنسان).

4-التصورات العليا و التصورات السفلي: التصور الأعلى هو التصور الّذي يحوى في ما صدقه التصورات السفلى و يسمى التصور الأعلى أيضا (الكل بالقوة) أو الكل المنطقي كما أن التصورات السفلى الّتي يتضمنها تسمىّ (أجزاءه الذاتية).. إن الانتقال من حد أسفل إلى حد أعلى يسمى (صعودا) و الانتقال من حد أعلى إلى أسفل يسمى (نزولا)[1].

وعلى كل فإن التصورات عموما قد تستجيل معان و دلالات، و رموزا، تزيدها الثروة الفكرية ثراء، ويتسع بها فضاء اللّغة بمن يريد البحث في الاصطلاح.

ب-الاصطلاح و الرمز:

لأن الرمز يعتبهر، عامة الناس مفهوما يربطونه بأشياء هي بحاجة إليه لتكتسب دلالات تقحمها داخل اللّغة المستعملة ليسهل التعامل بها و تصبح الكلمات المتداولة لها رموز تمثلها.

«فالرمز هو دلالة مباشرة، أي هدف في ذاته يشكل المادة الخام و لانتاج الدّلالات الفكرية الأخرى، فهو الكلمة الّتي تنتج في سياقها الثقافي و اللغوي المعين، ولذلك كلما تطورت الحضارة وازدهرت إغتنت البنية الرمزية الخيالية، وزادت المعاني و تفرعت وتنوعت، فتر ميز الواقع، أي وضعه في نظام يخدم إنتاج المعنى ومضاعفته هو جوهر الحضارة وعلامة تطورها»[2].

---

[1]- جول تريكو : المرجع السابق ص 73-74

[2]- برهان غليون، اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية، الجزائر، سلسلة مقصاد تحت

وما دام الرمز هو المادة الخام الّتي تتشكل بها الدّلالات الفكرية فإن له دورا كبيرا في إثراء المعاني ونأتي بعد ذلك إلى تعريف الرمز Symbol بأن ه تمثيل لمفهوم ما بطريقة حرفية أي بإعطاء الكلمات الدالة عليه، أو عددية بحيث تمثل للرمز بأعداد يدل عليها أو غيرها[1]

ومن هنا يمكن القول بأن الرمز يسهل أو ييسر للكلمات اكتساب التجديد على مستوى حقل الدّلالات «فعلى مستوى حقل الدّلالات الأولى، أي الرموز الأساسية والأساطير المكونة، تعمل الآداب و الفنون، وتصبح في نفسها مصدرا لتجديد هذا الحقل وإغنائه بدلالات جديدة، فهي خالقة أيضا لبنية رمزية خيامية، بقدرما هي إستمرارلها، ويعكس تطورها نمو هذه البنية المنظمة، كما قلنا للتجربة الشعورية و المثرية لها»[2]

وبما أن الرمز يمكنه أن يطور الدّلالة فلا بأس أن ندرج نقطة مهمة وهي التمييز بين الدّلالة و الرمز أو بمعنى آخر، تمييز العلاقة بين الدال و المدلول و الرمز، فعلماء الدّلالة يرون أن الدّلالة لا تتكون إلا من دال ومدلول، وهي تنجم عن ترابطهما، بذلك تكون العلاقة بين الدال و المدلول واجبة ولازمة أي أنها ليست اصطلاحية وتعسفية والدال ليس له علاقة تشبه بالمدلول عليه ولكنها ضرورية يحصل المعنى بدونها، أما الرمز فهو يربط بين دالين أو مدلولين ضمن علاقة غير ضرورية، وإنما مقصودة[3].

وفي الواقع يشكل الرمز بعدا من أبعاد الحقيقة العلمية ذاتها ويكفينا التدليل على ذلك بما هو عليه حال الاعلام الآلي في أحدث تطوّراته إذ يتبع نظام الرموز في مختلف ميادينه، وتتسم المفاهيم الدقيقة الّتي نستخدمها في سياقات مختلفة بما فيها مفهوم العقل أو السلطة أو الدولة... ببعد رمزي أساسي يعكس التجربة التاريخية لكل ثقافة

---

[1] – ينظر: علي القاسمي، المرجع السابق ص 231

[2] – برهان غليون المرجع السابق ص 303

[3] – ينظر: برهان غليون المرجع السابق ص 101

والاستعمالات الخاصة والاحالات المتعددة الّتي يخضع لها في هذه الثقافة كل مفهوم، بل إن هدف المفاهيم أن تصبح رموزا إذ تتحول إلى دلالات ثابتة ومعطاة لا تناقش، فتصبح أداة لتكوين دلالات أخرى أو علامة أولية[1].

ونخلص من خلال ما سبق إلى أن الرموز كثيرة ودلالاتها متعددة وقد تحدث اختلافات من حيث المعاني أو المقاصد، ذلك ما يجعل بعض الدارسين الدلاليين المحدثين يتنبهون إلى ضرورة تحديد المصطلح و تأطيره بالدّلالة اللّغوية وذلك ما يسهل عملية ربط الرمز بالدّلالة اللّغوية لكي لا يحدث خلط بين الرمز و المصطلح.

ذلك أن "الدّلالة" دخلت مجالات عديدة فيها عموم قد يجعل الباحثين يحملونها إلى اللّغة وهي ألصق بعلم الرموز[2]، ثم علينا التمييز بين أن واع الرمز إذ «يميز "رسل" في نظريته الوصفية بين الرمز التام و الرمز الناقص، الرمز التام ماله معنى في ذاته مستقلا عن أي رمز آخر أما الرمز الناقص فمعناه غير تام إذا جاء بمفرده[3]».

ومن هنا يمكن اعتبار الإسم رمزا تاما إذا ما كان في مرتبة المسند إليه، بينما الوصف المحدد رمز ناقص وهو في مرتبة المسند، ونسمي الرمز تاما حين يفيد معنى تاما في ذاته ولا يعتمد فهمنا له على كلمة أخرى تعطيه معنى، وأسماء الأعلام جميعا من هذا النوع، لكنا نسمي الرمزنا قصا إذا لم يعط في ذاته معنى تاما و إنما يكسب هذا المعنى في سياق معين[4].

---

[1] – ينظر: : برهان غليون المرجع السابق ص 303

[2] – ينظر: د.فايز الداية ، علم الدلالة العربي ص 08

[3] – د.محمود فهمي زيدان، المرجع السابق ص 238

[4] – ينظر: د.محمود فهمي زيدان المرجع السابق ص 238

و الشيء الملفت للانتباه والاهتمام هو كون الحضارة الحديثة قد أهملت كليا وظائف الأسطورة والرمز والعلامة و المجاز في توليد المعنى وبالتالي في توليد كل أن ظمة الدّلالة الّتي يفسر البشر بواسطتها ويبررون سلوكهم وتصرفاتهم في المجتمع وبذلك حصروا كل أن ظمة الدّلالات السابقة في الكلمات والعبارات وبذلك منعوا أي تطور في المعاني فاقتصروا على المعاني السابقة فقط، ويتبين لنا ذلك واضحا جليا إذا ما نظرنا إلى الأمور من الناحية التاريخية و التيولوجية و الفلسفية و الأنثروبولوجية والسيميائية[1]. خصوصا وأن العصر أصبح يعتمد على الكتابة في تواصله ولابد أن يكون تواصله ذا أبعاد كبيرة، خاصة إذا تعلق الأمر بلغة تحدثه أو كتابته، فالرمز مهم للبدء والدّلالة ضرورية لتوضيح المعاني و المفاهيم، وذلك لسبب بسيط وهو أن شفاهة الحوار -عبر الأن ترنيت- تزخر بالانفعالات و تؤازرها-عادة-ألوان متعددة و متظافرة من أفعال الكلام.

ج- *المصطلح العلمي و المصطلحية:*

التطورات التكنولوجية الراهنة دفعت بالعالم إلى إيجاد أو وضع مصطلحات تراها عملية مواكبة للنهضة ولعصر الإلكترون «و نعني بوضع المصطلحات وإعدادها جميع الفعاليات المتصلة بجميع المصطلحات وتحليلها وتنسيقها، ومعرفة مرادفاتها وتعريف ها باللّغة ذاتها أو مقابلاتها بلغة أخرى، وكذلك جمع المفاهيم الخاصة بحقل معين من حقول المعرفة ودراسة العلاقة بين هذه المفاهيم، ثم وصف الاستعمال الموجود فعلا للتعبير عن المفهوم بمصطلح ما أو تخصيص مصطلح معين للمفهوم الواحد[2]»، ووضع المصطلح عملية مميزة وخاصة جدا ولا يمكنها أن تجري خارج مجال متخصصيها، لأن تحديد العلاقة بين المفاهيم دقيقة بالقدر الّذي يبنى عليه المصطلح أو يوضع، فاللّفظ الّذي يضعه

---

[1] - ينظر: محمد أركون الفكر الاسلامي ص 56

[2] - د.علي القاسمي، المرجع السابق ص 33

فرد أو هيئة لدلالة علمية أو حضارية معينة لايمكن أن يصبح (مصطلحا) إلا بعد أن (يصطلح) ويتواضع عليه المستغلون بذلك العلم أو المغيون بذلك الجانب من الحضارة، أما قبل ذلك فهو لا يعد وكونه لفظا مقترحا دعت إليه الحاجة الآنية للتعبير عن فكرة علمية أو حضارية[1]. فعلم المصطلح الّذي يمكن تعريفه بصورة عامة: بـــ:«العلم الّذي يبحث عفي العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللّغوية الّتي تعبر عنها[2]».

يبقى محصورا أو محدودا باللّغة الّتي ينتمي إليها وهذا راجع إلى إختلاف اللغات ومفاهيمها "وقد تختلف المفاهيم وأن ظمتها من لغة إلى أخرى، فهي ليست بالضرورة متطابقة في جميع اللغات، فمدلول المصطلح أو المفهوم الّذي يعبر عنه يتباين من لغة إلى لغة، وهذه الظاهرة العلمية تشكل إحدى الصعوبات الشائكة في عملية الاتصال أو تبادل المعلومات على الصعيدين القومي والعالمي. هذا ما يمكننا ربطه بالترجمة إذ يلقى المترجمون للمصطلحات توحيدا معياريا ينبني على أساس الاتفاق على المفاهيم وأنظمتها (أو بعبارة أخرى على المعاني وحقولها الدلالية"[3].

مثلما أسلفنا ولوعدنا إلى كل ما سبق من ضوابط شاملة لكل من المفاهيم والدّلالات تبين لنا مدى دقة عملية وضع المصطلح العملي وصعوبته فوضعه أمر غير يسير إنه يتطلب تمكنا من المادة الّتي توضع فيها أو لها المصطلحات وفقها في اللّغة وإحاطة بالتاريخ، ووقوفا على النشاط العلمي المعاصر، وللزمن والاستعمال شأنهما في وضع أي مصطلح واستقراره، وذلك ما يحدد زمن المصطلح ودوامه أو انقراضه[4]. إنّ

---

[1]– ينظر: اللسان العربي (مجلة)،الرباط،مكتب تنسق التعريب مطبعة المعارف الجديدة،دط،العدد :27، 1407هـ/1986 ص32

[2]– د.على القاسمي المرجع السابق ص 17-18

[3]– المرجع نفسه ص 34-35.

[4]– ينظر: للسان العربي ع 27-ص18

تشكل المصطلح في كل جانب من جوانب البحث و الدراسة، ورواجه بين الدراسين يعني أنه قد تم لهم مفهومات محددة وذلك ما سبق توضيحه في كون المصطلح لايكون إلا إذا اصطلح عليه.

ولاشك أن تلك الأدوات الاصطلاحية ترسم لنا أبعاد النظر النقدي واللغوي، وتجلو الأسس الّتي اعتمد عليها النقد في عملياته، وقديما أدرك ابن المعتز في كتابه (البديع) قيمة ابتكار المصطلح، أو لنقل: القيام بعمل البلورة-فنبّه كل من يأتي بعده على أنه هو أول من أطلق هذه التسمية (البديع) رغم أن ضروب الصناعة الشعرية كانت ملحوظة قبله[1]. وبذلك نخلص إلى القول بأن الاصطلاح يعطي للألفاظ معان أو دلالات جديدة تجعلها قادرة على الأنضمام الى مجالات مختلفة وبلوغ آفاق علمية لا محدودة قال مصطفى الشهابي :«والاصطلاح يجعل إذن للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللّغوية أو الأصلية».

ثم قال: «و المصطلحات لا توجد ارتجالا ولا بدفي كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي»، وبذلك يكون المصطلح المتفق عليه علميا واضحا وفي مكانه المناسب الّذي أحتير له وقال«ومن الواضح أن اتفاق العلماء على المصطلح العلميّ شرط لاغنى عنه ولا يجوز أن يوضح للمعنى العملي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة، وإختلاف المصطلحات العلمية في البلاد العربية داء من دواء لغتنا الضادية»[2] ذلك ماي قودنا إلى شروط المصطلح العلمي:

1-اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعأني العلمية.

2-اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللّغوية الأولى.

---

[1]- ينظر: د-فايز الداية، المرجع السابق ص 132

[2]- ينظر: د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 56

3-وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللّغويّ.
4-الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد[1] .

قال الجاحظ يصف عناية المتكلمين بمصطلحات العلوم:«وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني و استقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب إسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع»[2]

وقد كأن للعرب علوم يتعهدولها ويتدارسونها، فأقاموا من أجلها المعامل والمراصد، وتتبعوا الظواهر، وأجروا التجارب وأنتهوا إلى كشوف لم يسبقوا إليها، وكأنت لهم لغة علمية متنوعة متحددة فلكل علم مصطلحاته وإذا مارأوا أن مصطلحا لا يؤدي معناه أداء كاملا عدلوا عنه إلى ما هو أدق وأضبط، ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربيا أصيلا أو مستعربا دخيلا، وربما فضلوا اللّفظ الأجنبي إذا كأن أدخل في المعنى وأكمل في الأداء[3]»، ففتحوا الباب واسعا أمام الدخيل و الغريب من الألفاظ للدخول في الاستعمال اللغوي بشرط أن يؤدي المعنى في حالة ما إذا وجد مصطلح في لغته ومكأنه لايؤدي معناه المنوط به واتخذت هذه النقطة بالذات كحجة للذين يعتبرون بأن اللّغة غير صالحة لدخول معركة المصطلحات العلمية ولا تؤدي المعأني المرادة في العلوم إضافة إلى أن ه «لايوجد تناسب أو تطابق بين عدد المفاهيم العلمية وعدد المصطلحات الّتي تعبر عنها، فعدد الجذور في أية لغة لا يتجاوز الآلاف في حين يبلغ عدد المفاهيم الموجودة الملايين وهي في ازدياد ونمو مضطردين، ففي حقل الهندسة الكهربائية مثلا، يوجد حاليا أكثر من أربعة ملايين مفهوم في حين لا يحتوي أكبر

---

[1] – د.أحمد مطلوبن المرجع السابق ص 57

[2] – محمد ضاري حمادين المرجع السابق ص 269

[3] – اللسان العربي المرجع السابق ص 17

معجم لأية لغة على أكثر من سمائة ألف مدخل، ولهذا تلجأ اللغات إلى التعبير عن المفاهيم الجديدة بالنحت والتركيب والالشتراك اللّفظي وغير ذلك من الوسائل الصرفية والدلالية[1] وحتى تتوفر المصطلحات العملية المناسبة فلا بد هناك من طرق يتبعها المتخصصون وسبل تفتح الباب لمصطلحات جديدة الاستعمال ومنها:

1-وضع اللّفظ المناسب له.

2-الاشتقاق

3-النحت

4-التعريب ويأتي الوضع والاشتقاق في مقدمة الوسائل ثم النحت فالتعريب الّذي لايلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى[2]. ولا توجد هيئة لغوية أو علمية واحدة تضطلع بوضع المصطلحات العلمية والتقنية في الوطن العربي، فهذه المصطلحات تضعها

مؤسسات وهيئات وجهات متنوعة متباينة وتنتشر في أرجاء وطننا العربي منها:

أ-الجامعات و وزارات التربية في البلدأن العربية

ب-مجامع اللّغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق وعمأن...

ج-المعجيون الّذين يصنفون المعاجم العامة والمتخصصة أحادية اللّغة أو ثنائيتها.

د-الكتاب و المترجمون الّذين ينشرون كتبهم ومقالاتهم في شتى فروع المعرفة الإنسانية[3]، بالرغم من أن هذه المجمعات قد عملت كثيرا للغة العربية الّتي كأنت لغة العلم العالمية لقرون عديدة خلال ما يسمى في أوربا بالقرون الوسطى، وبالرغم من وضع العلماء والمخترعين والمكتشفين والباحثين المسلمين آلاف المصطلحات العلمية والتقنية باللّغة العربية احتوتها الكتب والأبحاث والرسائل العلمية والمعاجم العامة والمتخصصة، إلا أن هذه المصطلحات العربية ليست معروفة للباحثين المعاصرين

---

[1] – ينظر: د.علي القاسمي المرجع السابق ص 10

[2] – د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 123

[3] – ينظر: د.علي القاسمي المرجع السابق ص 64

وذلك لأسباب كثيرة منها الأنقاطاع بين التراث والمعاصرة، ومنها أن معظم كتب التراث مازالت مخطوطة و لم تنشر وليست متوفرة في المكتبات العامة وزد على ذلك أنها حتى ولو نشرت فأن علماءنا الشباب يفضلون الرجوع إلى المصادر الحديثة ومن هذه الأسباب أن كتب التراث لا تدرس في المدارس والجامعات اليوم وخلاصة القول أن العلماء والباحثين العرب يضعون بعض المصطلحات الّتي سبق أن وضعت على وجه آخر في تراثنا العلمي، وهذا نوع آخر من إزدواجية المصطلحات[1].

وأخيرا نصل إلى نتيجة مفادها أن «المصطلح العلمي أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء، وليس ثمة علم بدون قوالب لفظية تؤديه ويوم أن ينهض العلم ويخطو إلى الأمام، تنمو مصطلحاته، وتدق ألفاظها وتتحدد معانيها، وإذا كانت العلوم في سير مضطرد، وحركة دائبة، فأن مصطلحاتها لا بد أن تلاحقها وتتابع السير معها، ولا يمكن أن تتحقّق نهضة علمية بدون نهضة لغوية واصطلاحية شايرها جنب إلى جنب[2]».

– **المصطلحية :**

«وفي هذا السياق يقول الدكتور علي القاسمي: «مع التطور الهائل في العلوم والتكنولوجية، والنمو السريع في التعاون الدولي في الصناعة والتجارة، والإقدام على إستخدام الحاسبات الالكترونية في خزن المصطلحات وترتيبها أبجديا، ووضع مقابلاتها في اللّغات الأخرى تفي بالحاجات المعاصرة، ولهذا طور العلماء المختصون واللغويون والمعجميون والمناطقة علما جديدا أطلق عليه إسم المصطلحية (علم المصطلح)[3]» فالتطور لا يسمل الجأنب التكنولوجي فقط بل يتعداه إلى اللّغة أيضا.

---

[1] – ينظر : د.علي القاسمي المرجع السابق ص 87-88

[2] – اللسان العربي، المرجع السابق ص 17

[3] – د.علي القاسمي، المرجع نفسه ص 17

وتعريف المصطلحية يختلف باختلاف الباحثين في هذا المجال أو الميدان فالمصطلحية علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية و المصطلحية اللّغوية الّتي تعبر عنها، وهو علم ليس كالعلوم الأخرى المستقلة لأنه يرتكز في منباه ومحتواه علىعلوم عدة أبرزها علوم اللّغة، و المنطق والإعلامية (علم الحاسبات الالكترونية) وعلم الوجود، وعلم المعرفة، وحقول التخصص العلمي المختلفة[1].

ونورد أيضا كتعريف :«المصطلحية (علم المصطلح Terminology) : دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم الّتي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية، ويشمل علم المصطلح من جهة علىوضع نظرية ومنهجية لدراسة مجموعات المصطلحات وتطورها ويشتمل من جهة أخرى، على جميع المعلومات المصطلحية و معاملتها، وكذلك على تقييمها عند الاقتضاء سواء كأنت هذه المعلومات أحادية اللّغة أو متعددها[2]».

نستنتج من هذه التعاريف أن علم المصطلح علم يصب في مختلف العلوم ويدرس العلاقة بين المفاهيم العلمية دون إغفال الأوساط الاجتماعية الّتي تخلق بداخلها المصطلحات.

ويفصل الامام الغزالي في كتابه (المنخول) هذه المسألة جاعلا قضية (الاصطلاحية) قائمة في آفاق الباحثين في اللّغة والفكر والاجتماع[3].«ولقد ساعدت أبحاث النظرية العامة للمصطلحية على التوصل إلى مبادئ أساسية تحكم وضع المصطلحات ومن هذه المبادئ مثلا: مبدأ الأنطلاق من المفاهيم والعلاقات القائمة بينها بدلا من الأنطلاق من المصطلحات للوصول إلى المفاهيم، ومبدأ الاقتصاد في اللّغة عند

---

[1] – ينظر: د.علي القاسمي، المرجع السابق ص 06

[2] – المرجع نفسه ص 217

[3] –ينظر:د.فايز الداية المرجع السابق ص 18

وضع المصطلحات تحقيقا للسهولة في الأداء والاستيعاب ومبدأ الأخذ بالاستعمال اللّغوي وماجرى عليه العرف من المصطلحات وعدم تغيرها إلا لسباب وجيهة قوية[1] »

وفي حقيقة الأمر، تتناول المصطلحية جوانب ثلاثة متصلة من البحث العلمي والدراسة الموضوعية وهي :

1-العلاقات بين المفاهيم التداخلة (الجنس النوع والكل والجزء) والّتي تمثل في صورة أنظمة المفاهيم الّتي تشكل الأساس في وضع المصطلحات المصنفة الّتي تعبر عنها في علم من العلوم.

2-المصطلحات اللّغوية والعلاقات القائمة بينها، ووسائل وضعها، وأن ظمة تمثيلها في بنية على من العلوم، وبهذا المعنى يكون علم المصطلحات فرعا خاصا من فروع علم الألفاظ أو المفردات Lexicologue وعلم تطور دلالات الألفاظ Semasiology.

3-تبحث المصطلحية في الطرق العامة المؤدية إلى خلق اللّغة العلمية و التقنية بصرف النظر عن التطبيقات العلمية في لغة طبيعية بذاتها. وتصبح المصطلحية بذلك علما مشتركا بين علم اللّغة و المنطق والوجود والإعلاميات والموضوعات المتخصصة وكذلك على المعرفة Epstemology و التصنيف فكل هذه العلوم تتناول في جانب من جوانبها التنظيم الشكلي للعلاقة المعقدة بين المفهوم و المصطلح[2]

د-*الاشتراك اللّفظي و الترادف* :

نعود إلى المقابلة بين اللّفظ والمعنى ولعل أقدم صور التعبير عنها كانت لدى صاحب (الكتاب) سيبويه، فهو يضع الرمز الصوتي وصيغته الصرفية في جهة، ويمثل في الجهة الأخرى مدلوله الجزئي، ذلك أن الكلم ينصرف إلى «إسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس بإسم ولافعل» وكل واحد من هذه الأقسام يمكن تسميته «اللّفظ» مما يتفرع

[1] – د.علي القاسمي المرجع السابق ص 36

[2] – ينظر: د.علي القاسمي المرجع نفسه ص 18-19

إلى مسألة :«أن من كلامهم (العرب) إختلاف اللّفظين لافختلاف المعنيين، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد، واتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين»[1]، ويتناول ابن سينا الاصطلاحات وأبعادها في (النجاة) فيقول: « فإمّا أن يكون لفظا مشتركا وهو الواقع على عدة معان ليس بعضها أحق به من بعض، كالواقع على ينبوع الماء وعلى آلة البصر والدينار، وإما أن يكون لفظا منقولا وهو الواقع على عدة بمعان عدة، ولكن وقوعه على أحدها أقدم على أن المتأخر مسمى به على الحقيقة، كلفظة المنافق والفاسق والكافر، ولفظة الصوم والصلاة، وإما لفظا مستعارا وهو الّذي أخذ للشيء من غيره من غير أن ينقل في اللّغة فجعل إسماله على الحقيقة وأن كأن في الحال يراد به معناه، كقول القائل: «أن الأرض أم للبشر»[2]، يصنف ابن سينا المصطلحات بين مشترك لفظي ومترادف يتراوح بين منقول ومستعار، إذ الأول واقع على معان ليس أحدها أسبق من غيره في تعبير اللّفظ عنه، بينما الآخرين (المنقول و المستعار) للإمام الغزالي بيأن فيها في كتابه (معيار العلم)فيقول:

«وأما المنقول: فهو أن ينقل الإسم عن موضوعه إلى معنى آخر، ويجعل إسماله ثابتا دائما، ويستعمل في الأول فيصير مشتركا بينهما، كاسم (الصلاة) و(الحج) ولفظ(الكافر) و (الفاسق)، وهذا يفارق (المستعار) بأن ه صار ثابتا في المنقول إليه دائما، ويفارق (المخصوص بإسم المشترك) بأن المشترك هو الّذي وضع بالوضع الأول مشتركا لمغنين، لاعلى أن ه استحق أحد المسميين، ثم نقل عنه إلى غيره إذ ليس لشيء من (ينبوع الماء) و (الدنيا) و (قرص الشمس) و (العضو الباصر) سبق إلى استحقاق إسم (العين) بل وضع للكل وضعا متساويا بخلاف (المستعار) و (المنقول).

---

[1] – ينظر: د.فايز الداية المرجع السابق ص 32-33

[2] – ينظر المرجع نفسه ص 80

ويستعمل المنقول في العلوم كلها لمسيس الحاجة إليها، إذ واضع اللّغة لما لم يحق عنده جميع المعاني لم يفردها بالأسامي، فاضطر غيره إلى النقل، (فالجوهر) وضعه واضع اللّغة لـــ (حجر) يعرفه الصبر في والمتكلم نقله إلى معنى حصله في نفسه وهو أحمد أقسام الموجودات، وهذا مما يكثر إستعاله في العلوم والصناعات[1].

وهذا من قبيل ما سبق الحديث عنه في المصطلح العلمي، وحمل الكلمة الواحدة عديدا من المعاني يجعلها طيعة في يد مستعملها إذا ما أراد إخفاء معنى في لفظه مثلا أو أراد تورية قصده عن سامعه، يقول امبسون:«إذن فقد يكون للكلمة الواحدة عديد من المعاني المتمايزة، وعديد من المعاني المرتبطة بالآخر، وعديد من المعاني التي يحتاج واحدها إلى الآخرليكمله، تتحد معا، حتى أن الكلمة تعني علاقة واحدة أوسياقا واحدا، وهذا مساق يستمر مطردا،(فالغموض) معناه أن ك لا تحسم حسما فيما تعنيه، أو تقصد إلى أن تعني أشياء عديدة، وفيه احتمال أن ك تعني واحدا أو آخر من شيئين، أوتعني كليهما معا، وأن الحقيقة الواحدة ذات معان عدة»[2]

أن ظاهرتي الاشتراك اللّفظي و الترادف دليل على غنى اللّغة وطواعيتها «إلا أن استغلال بعض المتحاملين لهذه الظاهرة للهجوم على اللّغة العربية وإتهامها بالقصور والضعف والاستشراف على الموت بإعتبار أن ظاهرة التورم اللغوي هذه (المتمثلة في تراكم المفردات اللّغوية الزائدة) هي من صفات اللغات الميتة»[3].

وما هذا إلا ضرب من الأنتقاص من رفعة اللّغة العربية ما أن زل الله به من سلطأن، إذ من طبيعة أي لغة أن يصبح فيها ألفاظ لها أكثر من مدلول واحد، غير أن هذا لا يعفي واضع المصطلحات العلمية والحضارية من ضرورة بذل الجهد قدر

---

[1] – ينظر :د.فايز الداية المرجع السابق ص 80–81

[2] – المرجع نفسه ص 195

[3] – د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 129

الاستطاعة في تجنب مثل هذه الازدواجية عند اختيار أي مصطلح وقديما نبه على هذا أبو علي الفارسي (377 هـ) إذ يقول فيها يسبه إليه ابن سيد (458 هـ):«..اتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألاّ يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلته الأصل»[1]. وهذا القول نجده مأخوذا به في الاستدلال على عدم وجود الترادف في العربية، ومهما اختلف أهل اللّغة في وجوده أوعدمه فأن هذه الألفاظ المدعوة مترادفات ذات فائدة كبيرة في توسيع آفاق الاصطلاح العلمي وسد الحاجة في التفريق بين المدلولات العلمية المتقاربة، فمن الترادف مثلا أن يقال (أذاع فلأن الخبر) أو (نشره)، ولكن من مصطلحاتنا الحضارية الشائعة اليوم إطلاق اسم (المذيع) على الشخص الّذي يقدم البرامج من محطات الاذاعة (المسموعة أو المرئية) في حين أن (الناشر) هو الّذي يصدر المطبوعات ويعرضها للبيع أو التوزيع»[2]. لكن قد يحدث اللبس إذا كأن للموجود العلمي مصطلحان يدلأن عليه، غير أن لهذا الأمر مخرجا ذلك أن شيوع اللّفظة يعطيها مكانة وينبغي أن يؤخذ بالكلمة الشائعة بدلا من وضع كلمة أخرى تقابلها، قال الكرملي: « إذا سبقنا أحد الأدباء إلى وضع لفظة وأدت ما في الخاطر من الأمنية أو من الوضع، فلا يحسن بنا أن نضع كلمة ثأنية وثالثة ورابعة إلى مالا نهاية فذلك ما يؤدي إلى الفوضى» ولكن إذا كأنت هناك كلمتان تدلان على المعنى نفسه فما ذا نفعل؟ يجيب الكرملي قائلا: «إذا كأن عندنا لفظتأن إحداهما حسنة الصيغة والثانية قبيحتها استغني بالحسناء عن الشوهاء، والحال لوقلنا «متحصص» في مكأن «أخصائي» لكأنت أجمل وقعا في الآذان، ولنا هناك ألفاظ أخرى للمتخصص كالمتفرع و الحفي ويعللها تعليلا علميا فيقول:«لأن الإختصاصي منسوب إلى المصدر وليس فيه معنى الفاعليه كما لوقال:«مخص» وهذه قبيحة في اللسان، فالواحد غير الآخر كما أن

[1] – مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 234

[2] – ينظر المرجع نفسه ص 236

الزّارع غير الزّراعي، والفالح غير الفلاحي، والنجار غير النجاري، والمتخصص إلى جأنب ذلك لفظة واحدة، ولو استعملنا «الإختصاص» احتجنا إلى أن نقول :«صاحب الاختصاص» ولا نقول ذلك في اسم الفاعل «المتخصص»[1] .

وبالرغم من أن الشيوع والاستعمال هما اللّذان يحكمأن على المصطلح بالبقاء أو الفناء إلا أن أصواتا ارتفعت في مختلف الأقطار العربية داعية إلى توحيد المصطلحات العلمية «ويعني التوحيد المعياري بصورة عامة تخصيص مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد، وذلك بالتخلص من الترادف والاشتراك اللّفظي، وكل ما يؤدي إلى الغموض والالتباس في اللّغة العلمية أو التقنية، وعلى التحديد يتم هذا التوحيد المعياري بالخطوات التالية :

1-تثبيت معاني المصطلحات عن طريقة تعريفها.

2-تثبيت موقع كل مفهوم في نظام المفاهيم طبقا للعلاقات المنطقية أو الوجودية بين المفاهيم.

3-تخصيص كل مفهوم بمصطلح واضح يتم اختياره بدقة من بين المترادفات الموجودة.

4-وضع مصطلح جديد للمفهوم عند يتعذر العثور على المصطلح المناسب من بين المترادفات الموجودة..." [2] و إلى يؤخذ بهذه الخطوات يبقى من نافلة القول أن توحيد المصطلح سيبقى في الآخر، في جميع الأحوال، رهنا باستعماله وتداوله، فالاستعمال وحده هو الّذي يدخل ويغر بل، ومن ثم يسبقى المصطلح الموحد الّذي يكتب له البقاء[3].

---

[1] – د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 94

[2] – د. علي القاسمي المرجع السابق ص 35-36

[3] – مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 229

الفصل الأول

المصطلح بين اللغة و الفكر

" إن القراءة في القاموس
لاتسرد لنا تاريخ الكلمات
فحسب، بل تكشف لنا أيضا
عن منحى التفكير في الأمّة
التي تتكلم باللسان الذي
نقرأ في قاموسه"

- و. عمر فروخ -

1- اصطلاح اللغة.

2- الفكر و المفاهيم.

3- اللغة و الفكر.

عندما يتلفّظ الإنسان بهذه المفردة في حديثة مع الغير فحتما سيعرف المعنى الذّي يقصده المتكلّم، ويفكّر الغير بأن اللّغة هي ما يتلفظ به من عبارات وكلّمات وجمل لتسدّ الحاجة ويبلغ التفاهم درجة كبيرة بين الناس.

أما ابن خلدون فقد عرف اللّغة بقوله: «اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة التّكلّم عن مقصودة، وتلك العبارة فعل الإنسان فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللّسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم »[1].

أي أنّ اللّغة هي عبارات ومفردات واصطلاحات تتكوّن لدى مجتمع من المجتمعات أوجدها واصطلح عليها وأصبحت لغته المتكلّم بها، غير أنّ هذا لا يمنعنا أن نفرق بين اللّغة كونا لغة مصطلحا عليها، ولغة الكلّام التّي تستخدم ألفاظا يتعلّمها الأفراد في محيط هم الاجتماعي حيث تنوب الكلّمة عن الشيء العيني أو المجرد من غير أن يكون الارتباط بين الكلّمة ومعناها ارتباطا ضروريا ضرورة ذاتية، لذا كان الفرق شاسعا بين اللّغة (الفطرية) ولغة الكلّام، ومن هنا يجوز أن نسمي هذه اللّغة لغة اصطناعية اصطلاحية، وهي تختلف باختلاف المجتمعات، لكن الاختلاف الكبير بين اللّغة الفطرية واللّغة الاصطناعية لا يمنع من اشتراكهما في وحدة الهدف فكلّتا هما تستخدم للتعبير عن المطالب الحيوية للفرد في اتصاله مع الغير جلبا لمنفعة أو دفعا لضرر، وانطلاقا من هذا الاشتراك في الوظيفة يجوز أن ندعوهما «لغة طبيعية»[2]

وهناك من يرى بأن اللّغة اصطلاحية مادمنا نحن الذّين نصنعها ونتعامل بها فيما بيننا وهي تعتبر كذلك في جوهرها، فكما خلقت الآلهة الأساطير والأشياء بتسميتها، كذلك نصب نحن الألفاظ معانيها ودلالاتها هذا ما يحصر الفكر بتقدمه ليلقى في وعاء

[1] –د.عبد الرحمن واقي المختصر في عوامل اكتساب اللغة الجزائر، دار نجوم العمل للنشر و التوزيع،دط 1998 ص14

[2] – ينظر الفلسفة لطلاب البكالوريا المرجع السابق ص 428

اللّغة: فاللّغة هي إبداع الكاتب وخيال الشّاعر، وابتكار العالم، وتحليل الناقد وتوقعات القارئ وتصنيف المعجمّي وقرار المجمعيّ[1] وشبيه بالآراء السّابقة، ما ذهب إليه بعض أئمة العربية، ممن كان يرى بأن اللّغة إلهام وتوقيف من عند الله، ولعلهم تأثروا في ذلك بكون اللّغة العربية هي لغة الوحي[2].

وخير من يمثّل هذه النّظرية من النّحاة العرب، ابن فارس (395هـ-1004)، إذ يقول « إنّ لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله جلّ ثناؤه «وعلم آدم الأسماء كلّها » فكان ابن عباس يقول، علمه الأسماء كلّها وهي هذه التي يتعارفها النّاس من دابّة وأرض وسهل وجبل وحمل وحمار وأشباه ذلك»[3] .

وممّن كان يقول بالاصطلاح و التواضع في أصل اللّغة العالم الشهير ابن جني (300-392هـ/913-1002م) الذّي يرى بأنّ «أكثر أهل النّظر على أنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف وذلك بأنّ يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكلّ واحدة منها سمة ولفظا إذا ذكر عرف به مسمّاه، ليمتاز عن غيره، ويغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب و أخفّ وأسهل من تكلّف إحضاره، لبلوغ الغرض في إبانة حاله» ومن الجدير بالذّكر في هذا المقام أنّ ظاهر الآية الكريمة «**وعلم آدم الأسماء كلها**» يؤيد النّظرية التوقيفية، أي نظرية ابن فارس، مما دعا ابن جني إلى أن يؤول تلك الآية على غير ما فهمها أشياخه، إذرأى أن المقصود من قوله تعالى«علّم» هو«أقدم»أي

---

[1] – ينظر: نبيل علي الثقافة العربية و عصر المعلومات، الكويت، كتاب عالم المعرفة 265 ،دط2000م ص 261

[2] –ينظر :د.حنفي بن عيسى، المرجع السابق ص 24

[3] – المرجع نفسه ص 25

أوجد لدى آدم وبني آدم القدرة على وضع الأسماء فالقدرة من عند الله، أمّا الوضع والاصطلاح فهما من عمل الإنسان»[1].

لكن إذا ما حصرنا الأسماء أو التّسميات في كونها إلهيّة فلن نجد تفسيرا للخطأ الذّي يرتكبه البشر إذ ذاك هو الآخر حتما سيكون مردّه لله سبحانه وتعالى وهذا غير صحيح وهذا ما وقف منه سقراط وكذلك أفلاطون موقفا وسطا: فمن المسلم به أن هناك علاقة وطيدة بين الاسم و المسمّى أي أن الأوّل وقف على الثّاني، ولكن هذا الحكم لا يصحّ إلاّ إذا كان الاسم مناسبا، أي موضوعا على شاكلة المسمّى ليعبر عن ما هيئته ولا ينبغي كذلك أن ننسى أن الواضع قد يخطئ، و بالتّالي فإنّ الأسماء الّتي يضعها، قد لا تنطبق على مسمّياتها، فإذا قيل بأنّ القوّة إلا نميه هي الّتي تضع الأسماء، وهي معصومة من الخطأ فلنا أن نتساءل حينئذ : لماذا يقع الناس في الخطأ ما دامت القوة الإلهية هي الّتي تصنع الأسماء؟ ألا يوجد من الأسماء ما يدل على ضدّين معا، بحيث أنّه قد يلتبس الأمر على المخاطب، فلا يدري من منهما المقصود؟ وهل يعقل أن تقع هذه القوة الإلهية في تناقض؟[2].

وما نلاحظه هنا هو أنّه قد انبثق هذا الحوار عن نظريّتين في أصل اللّغة هما النظرية التّوقيفيّة والنظرية الاصطلاحية (أو التواضعيّة) أمّا الأولى فقد دافع عنها قراطيل، لأنّه إنتهى إلى القول، متأثرا برأي هير قليط (576-480ق.م Héraclite)، بأن الأسماء صادرة عن قوّة إلهية فهي إذن وقف على مسمّياتها.. وأمّا الثّانية، فقد دافع عنها هو هرموجين، متأثّرا هو أيضا بالفيلسوف ديمقراط (من القرن الخامس) ق.م(Démocrate)

[1] – د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 25

[2] – ينظر: المرجع نفسه ص 24

الذّي كان يرى أنّ وضع اللّغة إنّما هو مسألة اتّفاق بين الناس وتواضع فيما بينهم، ولا دخل فيها للقوة الإلاهية»[1]

«و أما النّوع الوضعي أو الاصطلاحي، فهو لغة التفكير و العمليات العقلّية المعقّدة، ولغة الحضارة والتّقدم، وبها يتعامل الناس في حياتهم ويتفاهمون لقضاء شؤونهم، ويتميز هذا النوع من التعبير عن الأوّل بكونه إراديّا ومقصودا، وبعدم اقتصاره على الحاجات الضرورية للبقاء، إذ يمكن بواسطة اللّغة الاصطلاحية أن نعبر عن كلّ شيء، سواء من الضروري أو الكمالي، وسواء كان ماديّا أو روحيا ملموسا أو مجرّدا»[2]، غير أن هناك من يرى بأن اللّغة لم تكن مجرد وضع أسماء لمسميات بل للتّواصل و التّبادل وحدات التفاهم فيما —بين الناس— يقول:«فندريس» في كتابه «اللّغة» ناقد الآراء الّتي تقدمت—:«إنّ دراسة اللغات تعلمنا أنّ نشوء اللّغات ونموها لا يتم في تتابع منطقي ملتزما في سيره طريقا مستقيما» ويقول أيضا«ولقد ساد الاعتقاد—زمنا طويلا— بأن الحقبة الأولى للغة كانت تقوم على إعطاء أسماء للأشياء أي خلق مفردات»[3]

فالضرورة هي الّتي تخلق المسميات واللّغة سدت هذه الحاجات...وذلك يثير الابتسام عند «فندريس» لأنّ «ما هو مهم ليست تنمية الأشياء بهذه الكلّمة أو تلك، وإنّما هو إعطاء الكلّمات بنوع من الإتّفاق الضمني بين المتكلّمين قيمة إسمية، إنّما هو في اتخاذها وسائلاً للتبادل، كما استعيض عن مقايضة الأشياء بعضها ببعض بالنقود أو بالأوراق النقدية»[4]

---

[1] — د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 24

[2] — المرجع نفسه ص 82

[3] —

[4] — ينظر: توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، القاهرة مكتبة وهبة ط2، 1414هـ/1993م ص47

من خلال كلّ ما سبق نستنتج بأنّ هذه الآراء المختلفة كلّها تصب في وجود اللّغة أو وجوب وجود لغة (إذن فلابد من أن تكون اللّغة بداية، وذلك ما دفع بعض المفكرين إلى البحث في أصل اللّغة و تقديم تفسيرات مختلفة تبلورت في نظريات أهمها:

1- نظرية المواضعة:

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللّغة من إبداع النّاس عندما احتاجوا إلى تسمية الأشياء، فوقع الاصطلاح على ألفاظ للدلالة على الأشياء ومن المدافعين عن هذا الموقع جماعة المعتزلة وأهم نقد نستطيع أن نوجهه لهذه النّظرية هو استحالة الموضعية من غير لغة تكون قاعدة للتفاهم والاصطلاح، ووسيلة المواضعة.

2-نظرية الوحي:

ويرى أصحابها أن الإنسان أعجز من أنّ يبدع لغة ولذلك فاللّغة مصدر إلهامي ويستعد أصحاب هذا الرأي إلى بعض ما جاء في القرآن مثل قوله تعالى«**وعلم آدم الأسماء كلها**»كما سبق ذكرها، ولا بأس أنّ نقول في هذه النقطة وكمنا قشة أو كرأي مخالف بأنّ الواقع يثبت الصبغة العرفية في الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها والدليل على ذلك وجود المترادفات والأسماء المشتركة وغيرها مما يدل على الاصطلاح المتجدد-أما الآية المذكورة فيمكن أن تفسر على أن الله أقدر آدم على النطق بألفاظ معينة وجعل فيه القدرة على خلقها بنفسه والتصرف فيها توسيعاً وتعديلا، مثلما لاحظ ابن جني.

3-نظرية النشوء التدريجي:

وهي تفسير نشأة الكلّام بتقليد الأصوات الطبيعية للأشياء والحيوانات ثمّ تكوّنت (من عملية التقليد) الأصوات الأولى الدالة على مصدر الصوت كدمدمة الرعد، وخرير المياه وزقزقة العصافير...»).

ومن حجج هذه النّظرية ما يلاحظ على الأطفال من ولع بتقليد الأصوات قبيل تمكّنهم من الكلّام، وفي نفس الاتّجاه هناك من أرجع نشأة الكلّام إلى تطور الأصوات الصادرة من الإنسان غريزيا مثل: آه،أو.. وغيرها من الأصوات المصاحبة لحالات الانفعال الفردية و الجماعية، ومن هذه الأصوات نشأت الكلّمات معبرة استسهلها الإنسان في تواصله مع غيره.

ملاحظتنا على هذه النظرية تشمل أمرين اثنين:

أولا : إذا كان التقليد كافيا في اكتساب لغة جاهزة كما هو الشأن لدى الأطفال، فإنّه غير كاف في إنشاء لغة من العدم بمجرد محاكاة أصوات قليلة جوفاء.

وثانيا: إنّ تعدّد اللّغات يكذّب نظرية التّقليد، إذ لو كان أصل اللّغة هو تقليد أصوات الطبيعة لكانت اللّغة واحدة عند جميع الناس الذّين قلدوا نفس الأصوات.

وهكذا نجد أنفسنا أمام مواقف متباينة في مسألة نشأة اللّغة، لأنّ البحث في الأشياء لا ينتهي بتفسير حاسم في بعض الأحيان، ومع ذلك يبقى الفكر متطلعا إلى تبرير يرجّح موافقاً دون آخر، ولو أن مذهب الاصطلاح يبدو لنا أرجح المذاهب حتى الآن.[1]

وفي هذا المجال يقول ابن جنّي:«هذا محوج إلى فضل تأمّل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح، لاوحي وتوقيف»[2].

ويبقى ما قدمه لنا العلماء القدماء ثمينا وقيما وبه تطوّرت الدراسات ووصلت إلى نظريات اختلفت فيها الآراء وما اختلفت فيها الاجتهادات، و يظل الباب مفتوحا أمام هذا التراث اللّغوي الأصيل « و الوضوح المطلوب في هذا المجال من التعامل مع التراث اللّغوي هو في تقدير ذاك الرصيد الدّلالي، الذّي يمكن أن تنفيذ منه اليوم بشيء

---

[1] – ينظر الفلسفة لطلاب البكالوريا المرجع السابق ص 430-431

[2] – د.فايز الداية المرجع السابق ص 18

من التحليل الحديث، إضافة إلى عدم الاضطراب في جزئيات المناقشات بين بعض علمائنا القدامى، فإن ما قدمه هؤلاء الأسلاف ثمين ويمثل خطوة في العمل الدلالي، ولا يفترض فيه كذلك أن يسمّي القضايا بما نصطلح عليه اليوم، فالمصطلح يتشكلّ مع نمو الاهتمام في أبواب العلم وبالاحتكاك الثّقافي من مثل ماجد في درس الدّلالة العربية»[1].

وما يؤكّد ذلك هو أنّ العربية تلجأ وفي كلّ مرّة إلى الوسائل المقننة الخاصة بالتطور اللّغوي و النمو المصطلحي المميّز ويمكن تلخيص هذه الوسائل بما يأتي:

1- الاشتقاق

2- المجاز

3- الترجمة

4- التعريب

5- النحت[2]

ونتساءل ثانية:

هل لفصحائنا اليوم أن يرتجلوا؟ من علمائنا من يمنع ذلك، فقد ذكروا أن ابن فارس يتشدد في الوضع و القياس لأنّه«ليس لنا-اليوم- أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه» على أن ذلك التضييق سبّب للكتّاب والأدباء، كما يقول الأستاذ محمود تيمور-حيرة فعالجوا ذلك بكلّ سبيل«طورا ستغيرون كلمة أجنبية على كرهٍ، وطورا ينقلون كلمة عامية وحينا يعالجون اشتقاق كلمة جديدة وإن كانت غريبة المفهوم للقارئ لا يتأتّى إليه معناها المراد»[3] ودعا الأستاذ تيمور إلى بذل الجهد و السعي لتذليل هذا الحرج.

1- د.فايز الداية المرجع السابق ص77

2- تنظر: د.علي القاسمي، المرجع السابق ص 97

3- ينظر: توفيق محمد شاهين، المرجع السابق ص 69

ويدخل في باب المنع و التضييق تعنت أبي عمرو بن العلاء في عدم الاستشهاد بشعر جرير والأخطل و الفرزدق وإضرابهم، وقوله، « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته». ولا شك أن هذا تضييق وتعنت من أبي عمرو، فلم يقصر الله العلم والبلاغة على زمن دون زمن، بالأخص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كلّ دهر كما قال ابن قتيبة، ومن لم يحق لفصحائنا الوضع والارتجال، وليس ذلك مصورا على قوم دون آخرين وهنا نجد الأستاذ «الزيات» قد أجاز الوضع و الارتجال للمحدثين بقوله: «ما الفرق بين سؤالنا: هل للمحدثين حق الوضع؟ وسؤالنا من الذّي يملك على التراث حق الانتفاع به، وحق التصرف فيه؟ الميت الذّي ورث ثمّ غاص في أعماق العدم؟ أم الحيّ الذّي ورث ولا يزال يتحرك ويلغو ليسمّي كلّ وليد تصنعه القريحة، ويعبّر عن كلّ جديد تخلقه الحضارة؟»[1]

وبهذا الصدد أيضا يقول الأستاذ:«عبد الله بن كنون المغربي»:«فلاحقّ لنا ولغيرنا في تقييد الوضع بالزمان والمكان المحددين، ونحن بوسائلنا الميسّرة ربّما أقدر على الوضع ممّن سبقنا، ولن يكون الوضع و الارتجال نهبا مشاعا، إنّما هو من حق المستبرين و الخالدين المجمعين في إطار العرف و المعهود»[2]

وهي وسائل لا بأس بها، متى عملت وسائل الإعلام على إشاعتها، وإذاعتها، حتى تثبت وتعيش ونستغني عن المقابل الأجنبي و الوافد المزاحم وإذا أجيز ذلك للعربي مع استغنائه في بداوته، فيجوز لنا من باب أولى لحاجتنا في حضارتنا، الّتي ترينا كلّ يوم بما يربو على خمسين لقطة من الوافد الدخيل[3]

---

[1] – توفيق محمد شاهين، المرجع السابق ص 71

[2] – المرجع نفسه ص 72

[3] – ينظر: المرجع نفسه ص 72

وختاما نقول بأنّه لسنا بصدد التحقيق من أوجد اللّغة وكيف ولا باصطلاحيها أو توقيفها رغم رجوح الاصطلاح إلا أنّنا نوضّح المهمّ وهو أنّ هذه النزاعات على وضعتها لم تلق في الجو الإسلامي التّظيف ما يعينها على البقاء والاستفحال، و تكاد تذهب الأبحاث كلّها في مهب الريح، ويبقى الباب فاتحا مصراعيه دون قدوم الجديد، ليدخل عبره إلى الحقائق الصّحيحة و النتائج الإيجابيّة.

2-الفكر و المفاهيم :

إذا تحدّثنا عن الفكر فإننا نكون بذلك نتوجه بالدرجة الأولى إلى مركز التفكير و التفكر وهو العقل، هذه الملكة المساعدة على استمرارا الإنسان في فهم المدركات وكافة أمور الحياة.

وما دام الإنسان يفكر فهو حي ومادام حيا فهو يحتاج إلى ما يعينه على التفاهم مع غيره من الأحياء، ما دام يحتاج إلى تفاهم لاستمراره فهو يستعمل مفاهيم أومصطلحات للاتصال مع غيره، وربما تكون هذه المفاهيم مختلفة لديه بعقلية يميز بين هذا وذاك، وفكر الإنسان له الدرجة الكبرى في مساعدته على إنتاج مفاهيمه كما سيذكر ذلك لاحقا في علاقة الفكر باللّغة فنجد أنّه هناك من ربط التفكير باللّغة أوالكلّام وحججهم في ذلك أن الإنسان قبل أن يتكلّم يفكر ثمّ يجسد فكرته باللّغة، وفكرته تتكون لديه بلغته أي أنّه يفكر في شيء ما بشكلّه واسمه.

"ولئن كان التفاهم على مستوى الألفاظ محصورا في رقعة جغرافية محدودة، فإن التفاهم على مستوى المعاني لا يقيم حسابا الحدود الجغرافية القائمة بين الشعوب، وهذا مادي إلى الاعتقاد بأنّه يوجد على صعيد الفكر مستوى معين يتفاهم فيه كافة أنباء البشر مهما اختلفت أوطانهم ولغاتهم، ويسمى مستوى المعاني الكلّية"[1]

[1] – ينظر د. حنفي عيسى المرجع السابق ص 42

وذلك بأن المفاهيم واحدة في كلّ الأوطان وبين كلّ الشعوب وكلّ يسمّيها بلغته وتبقى معانيها المقصودة واحدة، هذا ما يعطينا حاصل القول أن الفكر أو التفكير هو واحد بالنسبة للبشر، والاختلاف إنّما يقتصر على اللّغة وحدها.

غير أنّ هذه النّقطة لا يمكن تعميمها والاصطلاح على صدقها ونجاعتها وذلك أن النّقّاد في ثنايا كتبهم قد تناولوا مشكلّة إيصال المعنى أو المدلول إلى السامع أو قارئ الأثر الأدبي واستندوا إلى حقيقة لغوية أولية هي أن لكلّ لفظ –وهو مجموعة صوتية على نسق معين– محيطا دلاليا اتفق عليه في متعارف المجتمع اللّغوي وهذا ما يفرق بين فكر وآخر وبن مختلف المجتمعات، فإذا ما أريد التعبير عن إحساس واستحضار شيء من الماديات في حديث استحضر المتكلّم –أو الكاتب– الرموز المؤدّية لهذا الغرض وعلى هذا النحو يتم التواصل وتتبادل الخبرات والانفعالات في حياة الجماعة.[1]

ومن الصعوبة أن نجد الفكر موحدا بين المجتمعات إذ أن الدلالات تختلف والمعاني تختلف أيضا و الفكر في تطور والمعاني أيضا.

وابتدأنا نحن المحدثون، بالكاد نستشّف الآن مثلا الوظيفة المؤسسة للمعنى هذه الوظيفة الّتي يشتمل عليها المجاز، والرّمز، و الأسطورة وذلك بالترابط مع تشكيل المتخيل والحلقات التاريخية المتحولة المعنى، فالمعنى لم يعد ثابتا أو راسخا أبديا في التعالي، وإنّما أصبح خاضعا لولادة تذمرية مستمرة ذلك ما يخضع التفكير للتجديد المستمر والدائم–أصبح مولدا بواسطة الإبداعية المعنوية و إبداعية الذات الإنسانية في ظل تأثير الحاجيات الوجودية الجديدة وذاك قيد للتفكير و الاختراع–فإذا أصبح المجتمع بلا حاجة للمفاهيم فهذا يعني أن فكرة سيتوقف، ولن يتكبر الجديد–ومع ذلك فهو يقود

[1] – ينظر: د.فايز الداية المرجع السابق ص 147

بالضرورة إلى تدمير الدلالات السابقة و المعنى السابق، وتحوّلها وتجاوزها، وهذا يعني وجود مجازاة حية وميتة، ومنعشة من جديد (منبعثة إلى الحياة).

كما أنّه قد يعني تدهور الرّمز العالية وانحطاطها إلى مرتبة العلامات العادية بل وحتى اللافتات والإشارات الأدواتية (كإشارات الطرق و المرور مثلا)[1].
وبما أن الحياة الاجتماعية مستمرة وتواكب التقدم فالفكر سيبقى الركيزة الأولى لتوليد المفاهيم وانتشارها في المجتمع.

3- اللغة و الفكر

أ-اللّغة :

«يزخر العالم بآلاف اللّغات وكلّ لغة تحمل العالم في جوفها، واللّغة هي الهواء الذّي بتنفسه، وهي حولنا، تحيطنا من كلّ حدب وصوب، فهي وسيلتنا لإدراك العالم، وواسطتها الّتي تحدد المسافة بيننا وبين واقعنا، وأداة تعاملنا مع هذا الواقع، الّتي نحيل لها المحسوس إلى المجرد، ونجسد بها المجرد في هيئة المحسوس إنها الجسر الواصل بين خصوصية الذات وعمومية الموضوع فهي الّتي تترجم ما في ضمائرنا من معان-كما يقول ابن خلدون في مقدمته- لتستحيل إلى أدوات تشكلّ الحياة، وتوجه أداء المجتمع وسلوك أفراده وجماعاته ومؤسساته،و اللّغة هي قدر الإنسان الاجتماعي فكما تكشف عن طبقته وجذور نشأته تكشف-أيضا-عن عقليته وقدراته وميوله الفكرية-وكما أنّ اللّغة ظاهرة وشائعة، فهي-بالقدر نفسه-دفينة و مستترة، غائرة في ثنايا آلنسيخ الاجتماعي ومتا هة العقل البشريّ، تمارس سلطتها علينا من خلال أياديها الخفية، تعمل عملها في طبقات اللاوعي على اختلاف مستوياته: من اللاوعي الفردي النفسي إلى اللاوعي

[1]- ينظر: محمد أركون الفكر الاسلامي ص 158

الجمعيّ التّراثيّ والسّياسيّ»[1] وفي ذلك يقول أهل النسبية اللّغوية:« لغتي هي عالمي،وحدود لغتي هي حدود عالمي»[2]

وتختلف تعاريف اللّغة كما تختلف رؤية كلّ واحد نحو اللّغة فـــ (هناك من يرى اللّغة نظاما للتواصل ومن يراها آلة للفكر ومرآة للعقل، ومن يراها لعبة مجتمعية وراءها صراع القوى الاجتماعية)[3]

«ويكون تعريف ابن جنّي للّغة أقدم تعريف خصّت به اللّغة حيث قال:"أمّا حدّها فإنها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم" فهو قصر تعريفها على الأصوات دون الكتابة وهذا دليل على أن اللّغة في أصلها منطوقة لا مكتوبة، ومنه يكون الصوت سابقا عن الرّمز الكتابيّ بآلاف السّنين لأنّ الكتابة تعّبر عن مرحلة متطورة حضاريا أفرزها مقتضيات التمدن والتحضر»[4].

وهناك من يرى بأنّ «اللّغة مجموعة من الرّموز تمثّل المعاني المختلفة وهي نوعان لفظية وغير لفظية، نسمعها ونقرؤها مكتوبة، أمّا الكلّام فهو صورة من صور اللّغة يستعمل فيها الإنسان الكلّمات للتعبير عن أفكاره، والكلّام مزيج من التفكير والإدراك والنشاط الحركيّ»[5].

ونجد أنّ البعض يعتبر اللّغة أداة للّتفاهم و للفهم لما في الشّعور والوجدان وحتّى التّفكير والعواطف. «ويرى علماء النّفس بخاصّة عبد المجيد عبد العزيز الذّي ذهب به القول :«إن اللّغة هي مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن

---

[1] – د.نبيل على المرجع السابق ص 227

[2] – المرجع نفسه ص 228.

[3] – د.نبيل على المرجع السابق ص 229

[4] – د.عبد الرحمن وافي المرجع السابق ص 14

[5] – المرجع نفسه ص 30

حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، أو أنّها الوسيلة الّتي يمكن بواسطتها تحليل أيّة صورة أو فكرة ذهنيّة إلى أجزائها أو خصائصها، والّتي بها يمكن هذه الصّورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا، وذلك بتأليف كلّمات ووضعها في ترتيب خاصّ»[1].

«وهناك من يعرّف اللّغة على أنّها من الخصائص البارزة الّتي تميز الكائن البشري علن المخلوقات الأخرى، فهي تقتضي مضمونا فكريّا وشكلًا فيزيائيّا مشكلًا من الحروف والعبارات، وهذان الشّرطان يستلزمان أدوات عضويّة: مراكز مخية لغوية، وجهاز صوتي، لأن اللّغة فعل فزيولوجي، من حيث أنّها تدفع عددا من أعضاء الجسم الإنساني إلى العمل وهي فعل نفساني من حيث أنّها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الإنسان، ثمّ في النهاية هي حقيقة تاريخيّة لأمر فيها نعثر عليه في صور متباينة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة، وقد نجد أحيانا اختلافا في تعريف مفهوم اللّغة، وذلك يعود إلى تباين المنطلقات الفكرية لأصحابها فعلي سبيل المثال نرى أن ابن منظور يذهب إلى تعريف اللّغة على أنّها من الأسماء الناقصة وأصلها لغة من لغا إذا تكلّم، واللّغو: النطق، يقال:هذه لغتهم الّتي يلغون بها، أي ينطقون»[2].

ومن خلال هذه التعاريف نجد أن الكثير منها يربط اللّغة بالجهاز المتمثل في الدماغ وهذا ما سيقودنا إلى التفسير المادي الذّي ذهب إليه العديد من الفلاسفة والمفكرين-نظرا هذا الارتباط الوثيق بين اللّغة والدماغ أمثال الفيلسوف الفرنسي ريبو Ribot (1839-1916م)، وحجتهم في ذلك ما اكتشفه بعض الفيزيولوجيين أمثال الطبيب الجراح بروكا Broca (1824-1880م) الذّي كان مهتما بدراسة أمراض الكلّام المعروفة بالحبسة، وهي أنواع منها عجز المرء عن الكلّام.

---

[1] – د.عبد الرحمن واقي المرجع السابق ص 14

[2] – المرجع نفسه ص13

فقد وجد "بروكا" في مرضاه الذّين يعانون احتباسا في الكلّام خللا في منطقة معينة من الدماغ قرب مراكز أجهزة الكلام. و بهذا يتبين لنا أنّ القدرة على الكلام مرهونة بالسلامة الأجهزة و المراكز المذكورة وبناء على هذا ارتأى الماديون أن اللّغة كغيرها من الفاعلات ليست سوى نتيجة من نتائج النشاط العضويّ.[1]

غير أنّنا نجد و من نافذة أخرى من تناول اللّغة في ذاتها من حيث التركيب والبناء والقواعد الصوتية، ولأن ذلك من اختصاص علوم اللّسانيّات، والصّوتيّات وفقه اللّغة... وعلم النفس اللّغوي... وكما يقول الأستاذ (ج.فندريس) : «إنّ اللّغة مركّب معقد يمس فروعا من المعرفة مختلفة، وتعني بها طوائف متفرّقة من العلماء فهي فعل فسيولوجي، من حيث أنّها تدفع عددا من أعضاء الجسم الإنساني إلى العمل، وهي فعل نفساني من حيث أنّها تستلزم نشاطا إراديّا للعقل، وهي فعل اجتماعيّ من حيث أنّها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الإنسان ثمّ هي في النهاية حقيقة تاريخية لأمراء فيها، نعثر عليها في صور متباينة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة[2]. و نخلص إلى أن اللّغة كما رأينا هي بنت الحسّ العام والتداول اليومي في الواقع الاجتماعيّ تتوارثها الأجيال في جماعات معينة[3].

وإذا كانت اللّغة ملازمة لحياة الإنسان على المستوى الفردي والجماعي، كما هو ثابت، فإنها تتطور مع تطوره الفردي والجماعي —سلبا وإيجابا— وتتفاعل معه، فتعطيه مؤثرة فيه، وتأخذ منه متأثرة به في جدلية مستمرة، ومن ثمّة كان للغة دور تؤديه

[1] – ينظر: الفلسفة لطلاب البكالوريا المرجع السابق ص 421

[2] – ينظر:د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص

[3] – المرجع نفسه (ينظر) ص 165-184

في المجتمع كما أن للعوامل الاجتماعية الأخرى أدوارا تؤديها إزاء اللّغة فتؤثر فينها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر)[1]

واللّغة يجب أن تتطور لأنّ التّطوّر سنة الحياة، ولن متطلبات الحياة اليومية تتجدد باستمرار لعوامل مختلفة أقلها أن الكثير من المفاهيم والوسائل والأدوات قد يصبح بدائيا بمرور الزمن، فيزول ويحل سواه محله، ويتبع ذلك أن ألفاظا كثيرة قد يتضاءل استعمالها[2].

«وما تزال أيّ لغة حيّة ترقى ثمّ ترقى، إلى أن تلتمس رقيّها في التّعبير عن المفاهيم العلميّة الدّقيقة و المعقّدة بكفاءة مثيرة، بعد أن كان قصراها مجرّد التّعبير عن معان بسيطة ساذجة في مرحلة المهد، والتعبير بجمالية فنية في مرحلة ما بعد ذلك، في حين تعد القدرة على استيعاب المفاهيم العملية والفكرية الشديدة التعقيد، المتناهية اللطف: ذروة التطور في حياة كلّ لغة من اللغات الحية»[3]

«واللّغة من حيث أنّها نظام اجتماعي فهي تنشأ و تتطوّر متأثّرة بالحضارة الأمة ونظمها الاجتماعيّة المختلفة»[4] وثقافة كلّ أمة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها وتصوصها. واللّغة –بلا منازع– أبرز السمات الثقافية الّتي تحتويها الأمة وتبني بها حضارتها وتشيدها. وما من حضارة إنسانيّة إلاّ وصاحبتها نهضة لغوية، وما من صراع بشريّ، إلاّ ويبطن في جوفه صراعا لغويا حتى قيل أنّه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللّغوية[5].

---

[1] د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 42

[2] –ينظر: منظمة دول الوحدة العربية، المرجع السابق ص 227

[3] – عبد المملك مرتض، التعددية اللغوية فخ جديد لتمزيق الهوية الوطنية، نقلا عن مجنة العربي، المرجع السابق، ص 27-28.

[4] – د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 53

[5] – ينظر: د.نبيل على، المرجع السابق ص228

«ووحدة اللّغة في الأمّة عنوان وحدتها الفكرية والرّوحيّة، وصفات اللّغة انعكاس لصفات الأمة فدقة التعبير اللّغوي دليل على قوة الملكات والمواهب، وعمق اللّغة دليل على عمق روح الأمة وحبها للتأمل والبحث والتدقيق وكثرة مشتقات اللّغة ووفرة كلّماتها وتنوع عباراتها عنوان على نزوع الأمة إلى الحرية والانطلاق»[1].

وفي التاريخ لدينا أمثلة كثيرة تدل على أن تقدم الأمم في مجال الحضارة مصحوب بتقدم لغاتها، إذا ازدهرت حضارة إحدى الأمم قويت شوكتها وتقدمت لغتها كتقدم اليونانية في العالم القديم، وتقدم العربية في العصر الوسيط، وإذا تأخرت أساليبها على النحو الذّي شهدناه في عصور الانحطاط[2].

«واللّغة تتطور وتنحط وتتطورن وتتقدم وتتأخر بحسب درجة الناطقين بها من الرقي الحضاري والتقدم الاجتماعي، ولذلك فهي ليست ظاهرة إجتماعية فحسب، ولكنها مرآة مجلوة لتسجيل درجة الوعي الحضاري لدى متحدّثيها»[3]

«فاللّغة ليست أداة تستخدمها الأمة كما يستخدم الصانع أداته، يستطيع أن يستبدل بها أداة أخرى أحسن وأفضل، كما استجد ذلك في عالم الصناعة والإبداع لأن اللّغة فضلا عن لونها وسيلة للتعبير عن كلّ ما يجول في ذهن الإنسان، والتفاهم والاتصال بين بني البشر فإنها بحكم اتصالها الوثيق بحياة الناس العقلية والعاطفية، قد أصبحت تمثل جزءا من أفكارهم وقيمهم لا تكاد تنفصل عنها، وإن حياة اللّغة تكمن في حياة أهلها الناطقين بها. فاللّغة لا تحي ببطون الكتب ولكنها تحويا بالاستعمال على

---

[1] – المختار في الأدب والنصوص المرجع السابق ص 158

[2] – ينظر: المرجع نفسه ص 294

[3] – مجلة العرب المرجع نفسه

ألسنة أصحابها وعلى أقلام كتابهم وعلمائهم وأساتذتهم وباحثيهم، وهي بدون ذلك جثة لا حياة فيها»[1].

«فاللّغة تختلف اختلاف جوهريا عن أنواع السلوك الأخرى، حيث تقوم كما أسّس لها دي سوسيور وتشومسكي من بعده، على بنية عميقة قوامها لسق معرفي كامن في العقل يربط بين مدخلات اللّغة (المؤثرات) ومخرجاتها (ردود الأفعال)»[2].

«واللّغة أيا كانت وبصفة عامة لها وظائف رصدها العلماء وأهمها: أداة تفكير وتعبير، وسيلة اتصال، أداة نعلم وتعليم، واللّغة العربية ليست بمعزل عن هذه الوظائف، بل أنّها تجاوزت هذه الحدود»[3]

«ويقول الأستاذ جوفنز jovens في تحديد لوظيفة اللّغة بأنّها:

1-وسيلة للتوصيل،

2-مساعد آلي للتفكير.

3-وسيلة لتسجيل الشيء أو الرجوع إليه مرة أخرى»[4].

غير أن اللّغة كما يرى مالينوفسكي (Malinowski) الذّي كان له الفضل الكبير في تغيير النظر إلى النظام اللّغوي، وتحديد وظيفته يصرح بأن دراسته للمجتمعات لن تصح دون معرفة الوظيفة الّتي تقوم بها اللّغة في المجتمع، وقد خرج برأي في وظيفة اللّغة مفاده: أن اللّغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التوصيل... بل أنّها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، أي أنّها جزء من السلوك الإنساني أو أنها ضرب من العمل،

---

[1] – عبد الكريم خليفة، نقلا عن الأصالة (مجلة)،محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي، الجزائر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة وحدة الرغابة دط،ج3 ، 1995 ص 33

[2] – د.نبيل علي المرجع السابق ص

[3] – عبد الرحمن واقي المرجع السابق ص 19

[4] – د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 49-50

ويرى : أن استعمال اللّغة على هذه الصّورة ليس قاصرا على الجماعات البدائية فقط. بل أن ذلك يلاحظ في أرقى الجماعات البشرية تقدما.

ويمكن أن نضرب أمثلة عديدة لإثبات ما ذهب إليه مالينوفسكي في أن الوظيفة الأساسية للغة ليست التعبير عن الأفكار والتفاهم أو توصيل المعلومات إلى الآخرين فحسب، بل أنّها جزء من السلوك الإنساني وضرب من العمل، ومن أمثلة ذلك:

1-المونولوج (Monologue) كالقراءة الانفرادية، ولتدوين الملاحظات الّتي يقصد بها الكاتب نفسه.

2-استعمال اللّغة في الصلاة والدعاء ومخاطبة الله، وأية كائنات أخرى مقدّسته فكلّ ذلك أبعد من أن يكون نقلا للفكر بأية صورة من الصور.

3-استعمال اللّغة في بعض ضروب السلوك الاجتماعي كالتحيات ولغة التأدب.. فهذا الاستعمال للغة هو صورة من صور العمل الاجتماعي، ووسيلة من وسائله، ذلك أن من طبيعة الكائنات البشرية أن نجد في نفسها الميل إلى الاجتماع ببعضها البعض، والاستمتاع بصحبة الغير، واللّغة من أقوى المستلزمات لتحقيق هذا الميل.

4-اتخاذ اللّغة وسيلة للعب بالأصوات سواء عند الكبار أو الصغار، وذلك بقصد التّلذّذ الانتشاء فقط، ومثال ذلك : إننا كثيرا ما نلاحظ أنا سا كبارا أو صغارا يرددون كلّمات لا يقصدون منها إلا المتعة بأصواتهم، ولقد عبرت عن هذا المعنى أصدق تعبير الكاتبة الفرنسية (Mm.desteil) بقولها عن اللّغة الفرنسية (وهو قول ينطبق على كلّ اللغات).«إنها ليست كما هي عند غيرنا مجرد وسيلة لتوصيل أفكارها واحساساتها وشؤونها ولكنها آلة يجب الإنسان أن يلعب بها، وهي تحريك النفوس كالموسيقى عند أقوام والخمور القوية عند أقوام آخرين».

5-وتستعمل اللّغة أيضا لإخفاء كلّام الناس، ويظهر ذلك في كلّام السياسيين وكلّام اللصوص والخارجين عن القانون عموما حيث يستعملون اللّغة لإخفاء أفكارهم[1].

[1] – ينظر: أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 50-51

«وإذا كانت إحدى وظائف اللّغة تزويد مستعمليها بأداة للتفاهم في شؤون حياتهم اليومية، والإفصاح عن حاجاتهم، والإعراب عن أحاسيسهم فإن ن وظائفها أيضا إمدادهم برموز منطوقة أو مكتوبة للتعبير عن المفاهيم الفلسفية والعلمية والتقنية الّتي تشكلّ حجر الأساس في تطور المعرفة الإنسانية ورقي المجتمعات اقتصاديا واجتماعيا، فاللّغة مجموعة من الرموز الحضارية بل هي الوجه المنطوق للحضارة والوعاء الذّي يستوعب ثقافة الأمة ويشكلّها»[1].

ومادمنا قد لاحظنا فيما ذكرنا سابقا أن هناك من يعتبر اللّغة هي الكلّام فلا بأس أن نتطرق في منهجنا هذا إلى نقطة يشمل الكلّام فيها النسبة الكبيرة من التعبير « إن عامة الناس تستعمل لفظ اللّغة للدلالة على الكلّام باعتباره الوسيلة الشائعة الاستعمال في التواصل»[2].

«فإذا أخذنا مقوما من مقومات الثقافة، وهي اللّغة الّتي بتحدثها الشعب، وهي بالنسبة لنا —شعوب العروبة– اللهجات الدارجة من العربية الّتي تختص بها كلّ شعب من شعوب العروبة،وجدت أن هذه اللّهجة تكونت في بطء شديد من اللّغة الّتي كان أهل الإقليم يتكلّمونها قبل الإسلام، وهذه أيضا خليط تكوّن على قرون طويلة. ثّم ذات هذه اللّغة في العربية الفصح، و نتج عن الذّوبان شيء جديد هو اللّهجة المحلية، وهذه اللّهجة في ذاتها تتفق مع طبيعة الشعب وذوقه وأسلوب حياته، ثمّ إن هذه اللّهجة في تطور وتغير دائمين، فهي تسقط ألفاظا وتأخذ ألفاظا أخرى بحسب حاجاتها اليومية، وهي تغير وتبدل في عباراتها ومصطلحاتها إلا أنّها أداة من الأدوات الّتي يستخدمها الشعب في حياته المتطورة، ولا بدلها من أن تتطور أيضا، ولكنها في كلّ حالة تعبر عن

[1] – د.علي القاسمي المرجع السابق ص 93-94

[2] – الفلسفة لطلاب البكالوريا المرجع السابق ص 418

طبيعة الشعب نفسه، وهي جزء من تكوينه ومرآة لفكره ».[1] ولاشكّ أنّ هذا الذّي نسميه بالازدواجية اللّغوية شيء واقع وموجود فالازدواجية اللّغوية الموجودة بين الفصحى والعامية هي ازدواجية طبيعية فرضها تكوين الإنسان ذاته على أن هذه الثنائية تكون على درجات متفاوتة(إلا أنّها كائنة) في لغات البشر جميعا وفي ذلك يقول "جورج فندريس":«ينحصر الفرق الأساسي بين اللّغة العاطفية واللّغة المنطقية في تكوين الجمل، هذا الفرق الأساسي بين اللّغة عندما تقارن اللّغة المكتوبة باللّغة المحلية، هاتان اللغتان المكتوبة و المحلية تبتعدان في الفرنسية إحداهما عن الأخرى إلى حد أن الفرنسيين لا يتكلّمون إطلاق كما يكتبون ولا يكتبون كما يتكلّمون إلا نادرا، فلكلّ حالة من حالات التعبير طريقة مختلفة في تركيب الكلّمات إلى جانب اختلاف المفردات. إن التركيب المنطقي الذّي نلاحظه دوما في الجملة المكتوبة يتعطل في الجملة المحلية إن قليلا أو كثيرا»[2] .

«فوجود اللهجات العامية في اللغات العالمية ليس مضرا في ذاته كما نرى وهو عفوي ويعبر عن جانب من جوانب الكائن الناطق إلا أن الواجب علينا أن نضع كلّ شيء في مكانه ولا نحمله أكثر مما يستطيع فنحل العامية محل الفصحى، و الفصحى كما رأينا قوامها القواعد والصواب والتركيب المنطقي في جملها.. فهي وجدت لضرورة التفكير والعامية وجدت لضرورة التعبير السريع اليومي العملي التّلقائي العاطفي، فاللّغة ليست حروف بمعزل عن الألفاظ، ولا ألفاظا، ولا ألفاظا بمعزل عن الجمل، ولا جملا بمعزل عن البيان... فاللّغة هي كلّ هذا دفعة واحدة»[3]

---

[1] – حسين مؤنس الحضارة دراسة في أصول وجوامع قيامها وتطورها، الكويت، كتاب عالم المعرفة 237،دط 1419هـ –1998م ص38

[2] –د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 142

[3] – المرجع نفسه ص 143

وفي الأخير نخلص إلى ما يجعلنا نميّز بين اللّغة الحقيقية واللّغة العامية أو المحلية من خلال مميزات اللّغة والّتي نذكرها كالآتي:

«1-تتميز اللّغة بالعمومية: حيث أن كلّ أفراد المجتمع يشتركون في إتباع قواعد اللّغة ونظامها ويتخذونها أساسا للتعبير عن أفكارهم ووسيلة للتفاهم والاتصال فيما بينهم.

2-تتميز بالتلقائية: بحيث أنّها ليست من ضع فرد أو أفراد معينين في المجتمع، بل تبرز تلقائيا من تفاعل الأفراد بعضهم مع بعض في الحياة الاجتماعية ولا أدل على ذلك من أنّ كلّ فرد منّا يولد ليجد نظاما لغويا قائما يسير عليه مجتمعه فيتلقاه عنه كما يتلقى النظم الأخرى الّتي لا يجد بدا من اتباعها و التكيف معها والتطبع عليها. غير أن هذه التلقائية محدودة إذ تتحدد بوجود اللّغة مسبقا هذا ما يمنع ابتكار لغة جديدة، كما أن أي شخص مهما أوتي من العبقرية والقدرة على الاختراع لا يستطيع أن يستحدث لغة بمفرده ولو فرضنا أنّه تمكن من وضع لغة فإنه لا يجد من يتفاهم معه من أفراد مجتمعه بهذه اللّغة ولرماه الناس بالعته (عند أحسن الظروف) ولعل فشل الدكتور (Ludwine) في وضع لغة عالمية لخير مثال على ذلك.

3-تمارس اللّغة على الأفراد نوعا من الضغط : حيث أن كلّ خروج عن قواعدها يعرض صاحبه إلى شتى العقوبات المادية والمعنوية من طرف المجتمع وكثيرا ما نعرف من متحدثين وخطباء وشعراء انفض من حولهم الناس، وثاروا عليهم للحنهم في اللّغة، ولعل ما نال الشاعر العربي جريرا من عتاب و هجو عندما رفع اسما منصوبا في إحدى قصائده لخير مثال على ذلك.

4-اللّغة شديدة التداخل وتبادل التأثير مع غيرها من النّظم الاجتماعية: فللنّظام التربوي تأثيرا على اللّغة وللنظام الديني تأثير، وكذا النظام الاقتصادي والسياسي.

5-تتميز اللّغة بأنّها ليست واحدة من حيث النوع، ولا هي ذات درجة متساوية من حيث القوة و الضعف ونسبة الانتشار، فكلّ لغة لها طابعا الخاص من ناحية النوع،

ولها نسبة مفردات محددة من ناحية الكم تختلف من مجتمع لآخر، ويكفي أن نعلم أن لدى المجتمع الواحد (كالهند مثلا) عدة لغات مختلفة، ناهيك عن المجتمع الإنساني الذّي توجد به آلاف العائلات اللّغوية، كلّ عائلة تضم مئات اللغات المختلفة.

6-تتميز اللّغة بأنّها دائمة التغير مع التحولات الّتي تعتري البناء الاجتماعي ككلّ: فهي تقوي وتضعف وتزدهر وتموت تبعا لمقتضيات الحال، و الظروف الّتي تستجد مع صيرورة الحياة، الاجتماعية و ديمومتها»[1].

و أخيرا نستطيع القول بما ذهب إليه "مارتيني" في فكرته حول تعلم اللّغة حيث أوضح بأن تعلم لغة لا يعني البتة وضع تسميات جديدة للأشياء المعروفة وإنّما التعلم هنا هو التدرب على تحليل مغاير مختلف لما هو عليه موضوع التبليغ اللّغوي[2] «والسؤال: هل سيظل الاستدلال على القواعد مطلوب إلى قيام الساعة؟ إن اللّغة تدرس كي نحسن الكلّام في الحاضر والمستقبل، ويبدو أن أساتذتنا لم يلتفتوا لذلك كما ينبغي... وحلت دروس النحو والصرف والبلاغة إجمالا من التطبيقات والأمثلة الّتي لابد من أن تكون كثيرة وفيرة، فكان ذلك طعنه نافذة إلى اللّغة وتداولها»[3].

«ولا جدال في أن كلّ لغة حية في مجتمع نام متطور تجب أن تخضع لسنة النمو وسنة التطور، فهي يجب أن تنحو لأن ذلك من علائم الحياة، ولأن حياة اللّغة متصلة بحيوية الفكر الإنساني وتقدمه، فهي أداة تفكيره ووسيلة تعبيره، وتوقفها عن النحو معناه سبيلها إلى الفناء والزوال، مثلما يقود ركود الفكر نحو التخلف والضمور والاظمحلال. ونمو اللّغة يعني تزايدا مستمرا في محتواها من المصطلح الحضاري والعلمي

---

[1] – د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 45-46

[2] – ينظر خولة طالب الإبراهمي، المرجع السابق ص 27

[3] – محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، الجزائر نشر مشترك دار المعرفة ودار يغانة، دط 1999م ص188

والوفاء بمتطلبات التقدم العلمي والتقني والحضاري، وهي متطلبات تتعامى يوما بعد يوم، ومن هنا نجد مجمعات العالم المتقدم واليوم غير ما كانت عليه في مصطلح القرن الماضي مثلا»[1].

«ولكن اللّغة تستظل —دوما–قادرة على أن تفاجئنا: فهي بارعة في الانتقام ممن يحاولون تجاهلها، أو التقليل من شأنها، فهي تتشابه علينا أحيانا، وكأنها استسلمت بالفعل: لتنقض علينا بعد ذلك فارضة سطوتها على الفكر الإنساني، فما الذّي يباري اللّغة، من بين سائر أنساق الرموز، في مرونتها وسيولتها وقدرتها الفائقة على الجمع بين التناقضات، بين الوضوح والغموض، بين الإسفار والإضمار، بين الإيجاز والإطناب، بين الحشو والحذف، وفوق ذلك بين فجاجة اللفظ ورقة العبارة، وبين أن تكون سلاحا في يد القوي، ودرعا يحتمي به الضعيف؟»[2].

ثمّ–واللّغة هاتة– هل ناطق اللّغة آوتها لملكة في ذاته أم جبل على اكتسابها فاستعمالها؟

ب–الاستعداد اللّغوي :

من شأن اللّغة أن تستدعيان للنظر والتساؤل —وهي ما هي وسيلة للتعبير والتفكير، والتخصيص والتعميم والاتصال والتعريف — إن كان مستعملا وجدها جاهزة فأخذها لاستعداد في ذاته لاحتواء الوافد والإفادة منه، أم أنّه مفطور عليها وما عليه بعد ذاك إلا توظيفها، أم شيء غير ذلك؟.

فاللّغة من أبرز الخصائص المميزة للكائن البشري عن غيره ن المخلوقات، وهي تستلزم أدوات عضوية (المراكز المخية اللّغوية) ومضمونا فكريا(الرموز الملفوظة أو المكتوبة) وهذان الشرطان اللذان لا توجد اللّغة بدونهما لا يوجدان إلاّ لدى الإنسان، ولا أدل على ذلك من استحالة تعلم الحيوانات —حتى الراقية منها — اللّغة بالكيفية الّتي

[1] – مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص227

[2] – د.نبيل علي المرجع السابق ص 264

يتعلمها الإنسان، وذلك لافتقارها إلى هذه الأدوات العضوية اللّغوية، وكذلك فقدان اللّغة لدى الأطفال الذّين وضعوا في عزلة تامة عن البيئة الاجتماعية (بغرض إجراء التجارب عليهم) بفقدان العيش في المجتمع الإنساني الذّي يعتبر المعلم الأول والوحيد للغة والذّي وفر لها الشرط الثاني للوجود والبقاء[1].

ولعل ذكر مثال الأطفال يحيلنا إلى التأمل في الفرق بين لغة الرضيع ولغة الطفل المتكلّم، فنجد الأولى تعبر مباشرة عن المدلول، فالصراخ ملازم لحالة الهيجان، والمناغاة ملازمة لحالة الانشراح، كما أن تقليد صوت الشيء تجسيد لهذا الشيء من خلال تمثيل إحدى خواصه الحسية، ولذا اصطلح على تسمية هذا النوع من الإشارات باللّغة الانفعالية الفطرية وذلك لالتحام الإشارة بالمشار إليه، ونجد مثل هذه اللّغة عند الأطفال الرضع كما نجدها عند غيرهم في الحالات الانفعالية، كالصراخ والضحك، وكلّ الإيحاءات الّتي يلجأ إلى استعمالها كلّ من تعذر عليه استعمال الألفاظ، وفي هذه الحالات تصدر "اللّغة" من الإنسان بشكلّ غريزي لا يتعلمها من الغير ولذلك يفهمها جميع الناس[2]. واللّغة عدا هذا الشكلّ الانفعالي تستحيل إلى نظام لاكتساب العادات أو نوع من أنواع السلوك يكتسبه الفرد من خلال الخبرة ومن خلال التجربة والخطأ عند "مكيتر" صاحب النزعة السلوكية المحضة في علم النفس المعرفي[3].

فالتكلّم بلغة سليمة أمر مكتسب وليس فطريا[4]، وهذا يفسره استيعاب صعوبات قواعد لغة ما الذّي يتطلب عملا عقليا شاقا بحضور الفكر والانتباه والحصول الوافر من

---

[1] – ينظر: د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 41

[2] – ينظر: الفلسفة طلاب البكالوريا المرجع السابق ص 427-428

[3] – ينظر: السيل علي المرجع السابق ص 248

[4] – ينظر: د.عبد الرحمن وافي المرجع السابق ص 39

الألفاظ والأساليب الّتي ينبغي أن تكون في حوزة المتعلم حتى يفهم الدروس بسهولة[1] أي أن تكون له قدرة لغوية، فإذا تناولنا الحديث عن هذه القدرة، لنقول أنّها قدرة مركبة يمكن تحليلها إلى عوامل أبسط منها حيث أنّها تكمن في جميع أساليب النشاط اللّغوي، هذه القدرة اللّغوية تساهم في تركيبها مجموعتان من العوامل:

المجموعة الأولى: تتعلق بالمضمون مادة عمل القدرة اللّغوية، ومن بين العوامل المتعلقة بها: عامل الكلّمات الذّي يتعلق بالكلّمات في حد ذاتها، أي قدرة الفرد على ممارسة الكلّمة من حيث أنّها وحدة سواء على مستوى قراءتها أو استعمالها استعمالا صحيحا، هذا ما يعبر عن قدرة الشخص على فهم الكلّمات عند قراءتها أو سماعها واختياره للكلّمة الدقيقة الدالة على فكرة معينة، والنطق بها أو كتابتها على وجه سليم.

والمجموعة الثانية: تخص بعامل اللّغة الذّي يتعلق بالعبارة والجملة حيث أن الجملة تفيد معنى صعبا والمقصود منه، قدرة الشخص على فهم العبارات والجمل والتراتيل اللّغوية بغية التعبير الدقيق والطلاقة و السرعة فيه، شريطة إدراك العلاقات اللفظية ومعاني الكلّمات حتى يمكن الفرد من استخدام كلّمات أدق في تعبير معين كتابي أو شفوي[2] .

ومن هنا فالاستعداد اللّغوي يبدو في القدرة على معالجة الأفكار والمعاني عن طريق استخدام الألفاظ الّتي هي عبارة عن رموز مجسمة وقوالب تصب فيها الأفكار، وبدائل عن أشياء وأحداث وصفات وعلاقات، وكما يبدو أيضا في عدة مظاهر منها كما ذكرنا سهولة فهم الألفاظ و الجمل من علاقات مختلفة، علاقات تشابه أو تضاد، سهولة التعبير التحريري والشفوي، استرجاع أكبر عدد من الألفاظ في سرعة وغير

[1] – ينظر: د.عبد الرحمن وافي المرجع السابق ص 23

[2] ينظر المرجع نفسه ص 16

ذلك[1] ويمكن اختبار الاستعداد اللّغوي على هذا الأساس، وهو بما له من فائدة جمة – يقول د.عبد الرحمن وافي «يبقى دائما ضروريا للنجاح في التدريس والتأليف والتحرير والتعبير الكتابي والشفوي»[2].

فإذا عمدنا إلى الطفل مثلا لاستبيان هذه الظاهرة –الاستعداد اللّغوي– جليا، لاحظنا نمو قدرته اللّغوية في الأحوال العادية متوافقة ونموه العقلي، فما هي هذه العلاقة الّتي تجمع بين الملكتين اللّغوية والعقلية؟ أو ما طبيعة ذلك التوافق أو آلا توافق بين لسان وفكر الإنسان؟ .

ج–بين اللّغة والفكر :

1-اللّغة والفكر:

«إذا عبرت الأصوات عن الأفكار فهي لغة»[3] أي إذا حمل الصوت معنى صوت لغوي، أو إذا صيغت الفكرة بأصوات معينة فأدتها إذن هذه الأصوات هي لغة فإلى أي مدى يصح هذا القول؟ هل اللّغة وسيلة تعبير أم أداة تفكير؟ أم كلّاهما معا؟ «فهذا الّذي تدركه حواسنا من المد ارج الكلّامية هو في الحقيقة القشرة والسطح الأعلى وإلا يظهر في البنية العميقة يوجد في ذهن الإنسان، ولا يحققها إلا بتحويلها إلى سلسلة كلّامية»[4] وبالتالي هي تعبيرية، ولكن الأستاذ سجادة الخوري يقول:«إن اللّغة ليست أداة للقول ووسيلة للتعبير كما كان يقال، بل هي وسيلة التفكير وتجسيده، إنها الفكر نفسه في حالة العمل، وليس من فكر حي دقيق بدون لغة حية دقيقة»[1].

1– د.عبد الرحمن وافي المرجع السابق ص 41

2– ينظر المرجع نفسه ص 42

3– عبد القادر عدناني، دليل المقالة الفلسفية مختصر في المذاهب الفلسفية، الجزائر طبع المؤسسة الاخوة مدني،دط 1988م ص 234

4– خولة طالب الابراهيمي المرجع السابق ص 109

واللّغة لدى كلّود شتراوس، ولدى كثيرين غيره هي شكلٌ من أشكال عقل الإنسان، تضاهيه بنية وعملا[2]، وهي بهذا تخضع كغيرها من المهارات المكتسبة عن طريق التعلم إلى قانوني التعميم والتجريد[3]، اللّذين هما من صميم عمل العقل وهي خير أداة للتحليل والتركيب، وهذه وظيفة يمكن إلحاقها أيضا بالوظيفة الفكرية، لأن التحليل والتركيب من رسائل الفكر وأدواته[4].

وألطف ما قيل في هذا المجال، قول د.حنفي بن عيسى:«ولاشيء كاللّغة يكشف عن دروب الفكر الملتوية و لوياته الخفية، فهي له كالقلب، وما أبشع الحياة إذا كانت أدوات الفكر محصورة العدد، وقوالبه جامدة لا تتغير»[5]. علماء اللّغة يقولون بأن اللّغة تشمل أربعة أشياء في آن واحد، هناك أول:ا توصيف للأشياء، ثانيا: تحديد المفاهيم والمدركات، ثمّ هناك ثالثا: ما يسمى بمنطق التعامل مع اللفظ، ثمّ هناك رابعا نظام للقيم يعبر عن ذاته، مثال منطق الفكر التام[6] فعند تناول الكلّمات بالدرس نجد الكلّمة تحمل تصورا أو مفهوما مدركا لدى حاملها ناطقا أو سامعا يستجيب لسماعها حسب منطق تعامله معها وحسب نظام القيم الذّي يصنفها فيه«إن أصحاب نظرية المجال بما أنّهم لا يرون من لزوم لتحليل الكلّام، ودراسته كوحدات و أجزاء، فهم لم يحاولوا أن يتتبعوا بالتفصيل تطور الاستجابات اللفظية وتنقّلها في الزمان والمكان، ويزعمون أن المعالم الرئيسية، أو الخطوط العامة في الكلّام تظل هي، حتى في حالة تبدل الحروف أو

---

1 – شحاذة الخوري، الترجمة ولغةالعلم ابحاث ملتقى الكتاب العربي الجامعي الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،دط 1983 ص188

2 – ينظر: د.نبيل على المرجع السابق ص 180

3 – ينظر: د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 180

4 – ينظر المرجع نفسه ص 77

5 – المرجع نفسه ص 52

6 – ينظر مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 194

المفردات. إن الشيء الذّي يهم في الكلّام ليس الألفاظ، ولا الحروف الّتي تتألف منها، بل الأهمّ منها: هو المعاني الكامنة وراءها، والمتمثلة بها، ولقد تتغير الألفاظ والجمل في الكلّام ولكن دلالتها على المعاني لا يصيبها التغير، وبناء على ذلك فالشيء الذّي يسترعي انتباههم، هو تطور المعاني والمفاهيم، لا تطور الألفاظ، وعنا يتهم منصرفة إلى دراسة الفكر المولد للمعاني وتحصيل السلوك التصوري»[1] ربما نأخذ ببعض ما جاء به أصحاب هذه النظرية ذلك أن المعاني إذا تغيرت معها الألفاظ الدالة عليها بينما بالإمكان الدّلالة على نفس المعنى بألفاظ مختلفة «هذا ويتبين لدارس أن العناية بالجانب الدلالي في اللّغة اتجهت نحو اتجاهين بارزين، اتجاه يعني بدراسة الكلّمة في دلالاتها من حيث هي مفردة موضوعة لتدل على معنى، واتجاه يحاول أن يكشف عن الكيفيات الّتي بها يمكن أن تنظم الدلالات اللّغوية»[2] تلك الكيفيات الّتي قلنا عنها سابقا أنّها من محض العمليات الفكرية.

«ولئن كانت الكلّمة ومازالت وعاء الفطن وحافظة الأفكار وكائنة المعارف، فقد كانت ولا تزال نقطة الارتكاز في بناء الصرح العلمي من خلال القدرة على التعبير عن الفكر والجديد في نتاجاتها المادية والمعنوية للغة من صرف ونحو وإعراب، وما كان في مواجهتها للتيارات الجديدة للفكر اليوناني والروماني وللفكر الرياضي الهندي ولسائر المعارف الفارسية، وهنا بدت ظاهرة الترجمة كعمل علمي محض غير قابل للتحوير والاجتهاد، وغير قابل لوضع المعادلة التقريبية للفكرة أو المعنى، فإما المعنى الكامل وإما لاشيء»[3] فكما سلف الذكر أن المعاني والأفكار هي المقصودة حين استعمال اللّغة لا الكلّمات في ذاتها، وهنا تظهر قيمتها في التعبير عن الفكر العلمي، ولهذا كانت الحاجة

---

[1] – د.حفي بن عيسى المرجع السابق ص 172

[2] – خولة طالب الابراهيمي المرجع السابق ص 116

[3] – يوسف خياط، الترجمة العلمي والتعريب ودور المترجم نقلا عن أبحاث ملتقى الكتاب العربي الجامعي في الجزائر المرجع السابق ص 132

إلى ترجمة الكلّمات الحاملة لأفكار علمية بالصفة الّتي تنقص من المعنى أو الفكرة «فإما المعنى الكامل وإما لاشيء»-وسيلي فيما يأتي من فصول تفصيل في موضوع الترجمة- غير أن مسألة التعبير عن الفكرة العلمية أمر ذوبال يتطلب الدرس والتمحيص، يقول د.عمر فروخ:«وفي حياتنا الفكرية تسيطر علينا اللّغة سيطرة مخيفة، إن كلّمة فلسفة لا تزال في أذهاننا شيئا مبهما، إنها باب مرصود تجثمّ وراءه الأسرار والمغيبات والأحاجي الّتي لا يدرى ما هي، مع أن الفلسفة كما يقول ابن رشد ليست شيئا أكثر من النظر في الموجودات لمعرفة أسباب وجودها، إن عمل الفلسفة تيسير للأمور الّتي عقدها العامة وأشباه العامة بما أضافوا إليها من القصص والخرافة ثمّ توضيح للمقولات الّتي سترها الجهل والاستغلال بألف ستار وستار»[1] ولفظة "فلسفة" هي مثال على ما للغة من دور جم في حياة الأفكار والتفكير. «فاللّغة هي حلقة الوصل بين الذات العارفة، أو المعرفة، وما تسعى إلى معرفته أو تعريفه من موضوعات خارجها»[2] «وقد ربط الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك" (1632-1704) في الجزء الثالث من كتابه "المقالة" مشكلّة المعرفة بقضايا اللّغة حينما قال بأننا إذا أردنا أنّ نفهم طبيعة التفكير و المعرفة، فلا بد قبل ذلك من أنّ نفهم طبيعة اللّغة التي بها نفكّر و نوصل أفكارنا إلى الغير والكلّمات هي إشارات اصطلح عليها، ولكنها في رأيه ليست إشارات تنوب عن الأشياء بصورة مباشرة، بل هي تنوب عن الأفكار القائمة مقام الأشياء، وعلى ذلك، فالكلمة تنوب عن الفكرة والفكرة تنوب عن الشيء، والدليل على ذلك أنك قد ترى الواحد منا يستعمل كلّمة، في حين أن الفكرة الكامنة وراءها غامضة، بل قد نستعمل كلّمات وليس وراءها أية فكرة تقابلها»[3] وما من بدأن تكون اللّغة بهذا قيدا أو تحريرا، فكما قيل «عقل محصور في اللّغة هو عقل سجين» وقد عرفت اللّغة في المقابل «بأنّها

---

1 - د.عمر فروخ المرجع السابق ص 19

2 - د.نبيل علي المرجع السابق ص 243

3 - د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 87

الاستخدام آلا محدود لوسائل محدودة» ولنضرب مثالا عمليا بسيطا لذلك من ضمن تلك الماثلة على أرضنا، وهو يدور حول عبارة هيرودوت الشهيرة "مصر هبة النيل" والّتي سيطرت على فكر المصريين حتى استسلموا إلى أن مصر ستظل دوما سجينة وادي النيل الضيق إلى أن ضاق هذا الوادي بسكانه، وتعالت الأصوات أخيرا تردد شعار «مصر هبة الصحراء» لتنطلق تبحث عن كنوز رمالها، وتبعث الحياة في بيدائها[1].«ومن جانب آخر فإن اللّغة في سعيها الدؤوب إلى ملاحقة التوسع المعرفي، تتوغل في مصطلحاتها لتزداد تخصصا وتحديد، حتى تصبح من شدة انغلاقها حكرا على غلاة المتخصّصين، وعائقا أمّام العامة لاستيعاب معرفة عصرهم، خلاصة القول أنّ إفراطنا في تحديد اللّغة وتقنيتها، لابد سير تبد إلينا انغلاقا في الفكر، وانعزالا عنه»[2]، إذ احتواء فكرة علمية ما في مصطلح ما بات من الإشكاليات الكبرى، خاصة حين تكون الفكرة من لدن غير ناطق اللّغة المراد التعبير بها، فيزداد التضييق كلّما كان هناك غلو في تحديد وتقنين هذه اللّغة، ولكن يبقى أن كلّ قوم يصطلحون على ألفاظ تؤدي معانيهم، وما ضاقت لغة عن التعبير عن أفكار أصحابها إلا إذا ضاق تفكيرهم، «والخلاصة أن كلّ لغة من لغات العالم ما هي في الواقع إلا منظمة من العلامات أو الرموز المتعارف عليها، فالكتابة مثلا هي عملية وضع للصياغة، والقراءة هي عملية كشف عنها، كما أن الكلّام هو عملية صياغة للأفكار الّتي تدور في الذهن، برموز عربية أو إنجليزية أو فرنسية أو غيرها، وفهم المخاطب لها هو عملية كشف لتلك الرموز»[3] فاللّغة إذن دليل إلى فكر صاحبها ولولاها بقي هذا الفكر حبيس ذهنه، بيد أن هذه اللّغة تستمد كيفياتها في انتظام الدلالات وتحليلها وتركيبها وغير ذلك من عمليات من محض عمل الفكر كما علمنا.

---

[1] – ينظر: د. نبيل علي المرجع السابق ص 236

[2] – المرجع نفسه ص 262

[3] – د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 87

2- الفكر واللّغة :

حين يعمد أحد إلى الكلّام لابد عليه من إعمال فكره ثمّ يباشر كلّامه، «وبما أن التسمية لا تتأتى إلا بعد النظر والرؤية، وحصول الفكرة في الذهن كما قال الفيلسوف لوك، فيمكن لنا أن نتناول قضية اللّغة من زاوية فلسفية على النحو الآتي: إن بنية اللّغة قائمة على بنية الوجود من جهة، وعلى بنية الفكر البشري من جهة أخرى»[1] ومتى كانت الأفكار منطقة واضحة جاءت التعبير اللّغوية هي الأخرى واضحة بينة «ولا غرو فإن الوضوح في التفكير ينتج منه وضوح في التعبير، ذلك لأن اللغة وسيلة إلى التعبير عن الفكر كما أن الخطوط والألوان واسطة إلى إبراز خيال المصور»[2] حتى الكتابة الّتي هي رموز اللّغة مشكلّة في خطوط هي وليدة تفكير الإنسان، وحسب المرء أن يقارن بين الكتابة الهيروغليفية وبين الكتابة كما بعهدها في اللغات المتطورة ليدرك النقلة الكبيرة الّتي يبلغها التفكير وهو يتجاوز الصور الحسية إلى المفاهيم المجردة وأسمائها، بل إن التفكير بالرموز العلمية نفسه يمكن أن يعد نوعا من اللّغة يستغني عنها[3]. إذ الأفكار حين تتخذ سبيلها في الذهن لايمكن إلا أن ترتسم جملا وعبارات أو ألفاظا لغوية سواء رموزا علمية كانت أو غيرها « إنّ "واطسن" يرى أن التفكير في حد ذاته نوع من الكلّام الصامت، وحركات التلفظ إن هي في الواقع إلا سلوك لغوي نسميه التفكير»[4]، ولكن السلوكيين يضيفون إلى ذلك أن هذا الكلّام الداخلي الذّي نسميه التفكير، عبارة عن حركات خفيفة تسري في جوارح النطق وإن الإنسان يحس بهذا الكلّام الداخلي عن طريق حركات خفيفة تدب في الفم والذّقن والحنجرة، وأيا ما كان الأمر، فإن التجارب الّتي أجريت فيما بعد، قد برهنت أن التفكير ترافقه بالفعل

---

1 – د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 32

2 – د.عمر فروح المرجع السابق ص 15

3 – ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 45

4 – د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 238

حركات خفيفة في اللسان والحنجرة، ولكن هذه الحركات لا تتواصل طوال الكلام الصامت، بل تنقطع في قسم منه، كما أن هذه الحركات ملحوظة عندما تكون العمليّة الفكرية صعبة، ومعدومة عندما تكون سهلة[1].

ولا يهمنا من هذا كلّه سوى تلك العلاقة الأكيدة الوجود بين اللّغة والفكر«فالعلاقة بين المنطق والفكر وطيدة (مع تنوع موضوعاته) ذلك أن القضايا الفكرية التي نعبر عنها بواسطة اللّغة، هي قضايا منطقية وقضايا اللّغة هي قضايا المنطق، وتخضع قضايا المنطق إلى قوانين صورية (عقلية) محددة هي نفسها القوانين الّتي يخضع لها تفكيرنا ضرورة، فإن اختلت هذه القوانين الفكرية اختل نظام الاستدلال المنطقي وفسد البرهان»[2] وإن غابت العلاقات المنطقية خلال المسار الفكري فحتما، سيسود الاختلال و الغموض، و إذا عدنا إلى علاقة الإدراك باللّغة، قلنا إن لا تميز يؤدي إلى التعميم في التسمية حيث إن عدم وضوح التصور يؤدي حتما إلى إطلاق تسمية عليه هي عموما تسمية مجموعة التصورات الّتي ينتمي إليها، ثمّ إن التمييز يؤدي إلى التخصص[3].

وهذا ما يلزم للاصطلاح العلمي، ولئن كان من الصعب أحيانا التفريق بين عمليّتي التعميم والتجريد، فإن الشيء الذّي لا مراء فيه هو أن العمليتين معاضرو ريتان لتكوين المفاهيم، والمفهوم كما يعرفه الدكتور فاخر عاقل، هو «عملية تمثل وجوه الشبه بين أشياء أو أوضاع أو حوادث مختلفة» و تتبلور المفاهيم في الكلّمات الّتي وضعها البشر ليتفاهموا بها، أي أن المفهوم بما أنّه عملية استخلاص وجه الشبه، فهو إذن فكرة، ولكن هذه الفكرة لابد من أن تنتقل من عالم الفكر إلى حيز التعبير، حينما تجسدها في كلّمة معينة، وعلى هذا فيمكن القول بأن نسبة كبيرة من المفردات الّتي نتعامل بها إنّما

---

[1] – د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 239

[2] – عبد القادر عدناني المرجع السابق ص 34

[3] – ينظر: د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 180

هي مفاهيم، فكلّمات (شجرة،حيوان، جمال، بياض، مرض)،-وغيرها كثير-، إنّما هي ألفاظ نجمع بها في فكرة واحدة ما نعرفه من خصائص مشتركة بين عدة أشياء، و يصح القول إذن بأن المفهوم إنّما هو عملية تكثيف للخبرة[1]

«وقديما قال أبو سعيد السيرا في النحوي (284-368 هـ على الأرجح):«فقد بدا لنا أن مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة، ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أية لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سورا، ولا يدع شيئا من داخله أن يخرج وشيئا من خارجه أن يدخل»[2] فهل يعقل أن يحيط الكلّام بكلّ ما يجول في الفكر؟ هذا ما لا يكون على قول السرافي.

3-بين اللّغة والفكر:

نحن نستشعر حركة الزمان من خلال اللّغة وهي تعبر في ومنيتها عن الماضي والحاضر والمستقبل وعن الشروع والانقضاء، وعن التوقف والاستئناف والتقطع والاستمرار، ونستشعر المكان حولنا من خلال اللغة، وهي تعبر عن البعيد والقريب واللصيق، وعن الغائب والحاضر، وعن المحدود والشاسع، وعن الامتلاء والفراغ، ويأتي المجاز بروعة صوره، ليجسد لنا إحساسنا بالزمان، جاعلا من الوقت سيفا إن لم تقطعه قطعك، ومن العمر قطارا تدور به عجلات الزمن، ومن هبوط الليل رداء يرخي سدوله وتخيم علينا ظلمته، وبروعته التشبيه ذاتها، يجسد المجاز اللّغوي إحساسنا بالمكان، عندما يجعل من العزلة قمقما، ومن الوجود سجنا إن ضقنا ذرعا بهذا الوجود، وعندما يسوغ لنا أن «يبتلعنا اليمّ» و أن «تبكي الأطلال» وأن«تعوي الرياح» وأن «تنهب المركبة الطريق فهبا»»[3].

---

[1]- ينظر: د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 182

[2]- المرجع نفسه ص 33

[3]- ينظر: د.نبيل علي المرجع السابق ص 260

ويا لها من علاقة محيرة حقا تلك الّتي بين اللّغة والفكر، وما أكثر التساؤلات المحورية الّتي تطرحها والّتي تتقي منها ما تراءى لنا ذا مغزى، وهي: هل اللّغة صانعة الفكر أم صنعته؟ هل اللّغة قيد على الفكر أم تحرير له؟ هل اللّغة مرآة للعقل أم للعقل مراياه المتعددة؟ أو بقول آخر: هل اللّغة هي لغة الفكر الوحيدة، أم أنّها أهم لغات هذا الفكر، أم هي مجرد واحدة من لغاته المتعددة؟.

فعن اللّغة صانعة الفكر أم صنعته، يؤكد أهل الحتمية اللّغوية أن الثقافة هي وليدة اللّغة، وهي صانعة الفكر بالتالي، فعلى سبيل المثال، هناك من يرى الفكر الأسطوري وليد التواصل اللّغوي الشفهي، والفكر النقدي هبة التواصل اللّغوي المكتوب، إذ يسمح للقارئ، أن يختلي بنصوصه ويعيد قراءتها،و يتمعن في مضمونها[1]بيد أنّه يوجد في هذا الموضوع —اللّغة صانعة الفكر أم صنعته—اتجاهان، واحد يؤمن بتأثير الفكر والتصور في اللّغة حيث يعتقد بوجود كلّيات لغوية تؤدي في آخر المطاف إلى نفس البنية مطبقة على كلّ اللغات الطبيعية (من مثل وجود الفعل والفاعل في جميع اللغات)، في حين يرى الاتجاه الثاني أن كلّ لغة تنم عن تصور معين للواقع وأن اللّغة هي الّتي تهيكلّ نظرتنا إلى هذا الواقع حيث يقول دوي وسيور:«إن الأفكار لا توجد موضوعة بصفة قبلية ويظل كلّ شيء مبهما قبل ظهور اللّغة» وفي نظر هذا الاتجاه ليست المدلولات الّتي تنقلها دوال تنتمي إلى لغة معينة مستقلة تمام الاستقلال عن نظام اللّغة المخصوص، وكلّ لغة لها نظرتها الخاصة لا تطابق بالضرورة النظرة الّتي تبنيها لغات أخرى[2].

«سبق أن اتضح لنا لزوم دلالات معينة لألفاظ معينة بواسطتها يتفاهم المتكلّمون بلغة واحدة. فهل يلزم من هذا وجود توازن ومساواة بين الألفاظ والرموز الّتي تشكلّ اللّغة وبين المعاني والتصورات الّتي تشكلّ ما ندعوه فكرا؟ وبمعنى آخر هل يمكن أن

[1] – ينظر: د.نبيل علي المرجع السابق ص 260

[2] – ينظر: خولة طالب الابراهيمي المرجع السابق ص 39

تكون للإنسان معان من غير ألفاظ تقابلها: كما قد تصدر منه ألفاظ لا تحمل أي معنى؟

نلاحظ أننا عندما نتكلّم أو نكتب، نتوقف في فترات معينة بين المفردات والجمل، ونتردد في استعمال كلّمات بدل أخرى أو نعرض عن تأليف جملة بشكلّ لنعيد صياغتها بشكلّ آخر، وما يحدث من تردد في الكلّام يحدث مثله في الكتابة عندما نشطب كلّمة أو جملة لنعيد كتابتها بشكلّ آخر. فإذا أردنا معرفة أسباب هذه الظاهرة وأمثالها كنا بصدد البحث في نوعية العلاقة بين اللّغة والفكر، وظهر لنا لأول وهلة عدم تناسب ما يملكه الإنسان من أفكار مع ما يملكه من ألفاظ، فنحن ندرك في أنفسنا حشدا من المعاني تزدحم في أذهاننا، بينما لا نجد من أدوات التعبير إلا ألفاظا محدودة لا تكفي لبيان كلّ تلك المعاني، لكننا إذا تأملنا المعاني الّتي تبدو مستعصية على الصياغة اللفظية لا نجد فيها ما يمكن تصوره خارج إطار اللّغة وتعذر علينا تصور معان متمايزة بدون ألفاظ تحدد معالمها وهكذا نجد أنفسنا أمّام تصورين لعلاقة اللّغة بالفكر تبنا هما اتجاهان فلسفيان:

*الاتجاه الثنائي: يرى معظم الفلاسفة الحدسيين أمثال الفيلسوف الفرنسي برغسون (1859-1941) أن عدم التناسب بن ما نملكه من أفكار وما نملكه ن ألفاظ يعود إلى ما يلي:

أ-الفكر متقدم على اللّغة: ويظهر ذلك من توقف المتكلّم أو الكاتب وترددهما بحثا عن اللفظ أو العبارة المناسبة لأداء المعنى المقصود.

ب-تجاوز الفكر لدلالة اللفظ: إذ اللفظ لا يعبر إلا على ما تعارف عليه المجتمع، وتبقى جوانب كثيرة مما يجده الإنسان في نفسه من المعاني العصية على التعبير.

ج-الفكر متصل والألفاظ منفصلة: الأمر الذّي يجعل اللّغة قابلة للتحليل والتركيب، بينما الفكر في ذهن صاحبه فيض من المعاني المتصلة في تدفق لا تسعه الألفاظ،

وهذا ما يجعل اللّغة معرقلة للفكر لأنّها تقيده وتجمد حيويته حتى قيل «الألفاظ قبور المعاني»،لا شك أن المقارنة بين القدرة على تمثل المعاني وفهمها وبين القدرة على التعبير توحي ببعض ما ذهب إلى الحدسيون لكن الجزم باستقلال الفكر عن اللّغة لا تثبته الوقائع، إذ كيف يمكن أن تمثل في الذهن تصورات لا اسم لها؟ وكيف تتمايز الأفكار في بينها لولا اندراجها في قوالب لغوية»[1].

*الاتجاه الواحدي: إن معظم فلاسفة اللّغة يؤكدون وجود وحدة عضوية بين اللّغة والفكر وحججهم في ذلك ما يلي:

أ-لاوجود لمعنى إلا إذا تميز عن غيره من المعاني، ولا يكون التمايز إلا بعلامة يدركها الإنسان سواء بالتعبير عنها أو بالإشارة إليها مما يسمح للغير بإدراكها.

ب-لقد كشف علم النفس عن تكوين المعاني لدى الأطفال مع اكتسابهم للغة وفقدان اللّغة يلازمه احتلال في المقومات الذهنية كما رأينا.

ج-إذا افترضنا نظريا وجود معان متموجة في تدفق، يبقى هذا الافتراض خياليا إذ لا يكون لهذه المعاني وجود واقعي ما لم تحددها ألفاظ وتلبسها حلّة اجتماعية، فالإنسان لا يمكن أن يتصوّر بوضوح إلاّ ما انتظم في نسق من الألفاظ والرموز المكتسبة، وهو يسمى الأشياء ولو بطريقة سلبية عندما لا يجد لها اسما معينا، باستبعادها عن الأشياء المعروفة، فتتميز باعتبارها الأشياء الّتي لا يعرف لها اسم، وبهذا يتأكد التلاحم بين الأفكار والألفاظ... يقول الفيلسوف الإنجليزي هاملتون (1788-1856):«إن المعاني شبيهة بشرار النار لا تمض إلا لتغيب، ولا يمكن إظهارها وتثبيتها إلا بالألفاظ "إن الألفاظ حصون المعاني" ويمكن تشبيه اللّغة بورقة يكون الفكر وجهها والصوت ظهرها ولا نستطيع أن نقطع وجه الورقة من غير أن نقطع ظهرها في نفس الوقت كذلك الأمر في اللّغة لا نستطيع أن نعزل الصوت عن الفكر، ولا الفكر عن الصوت

[1] – الفلسفة لطلاب البكالوريا المرجع السابق ص 424-425

ولا يمكننا ذلك إلا بضرب من التجريد يؤدي بنا إلى الدخول في علم النفس المحض وعلم الأصوات المحض» أو فلنقل أن الفكر بالنسبة للغة كالروح بالنسبة للجسد، ولاوجود لأحدهما دون الآخر في الحياة الطبيعية.

إذا كنا نوافق فلاسفة اللّغة على رفضهم للاتّجاه الحدسي في القول باستقلال الفكر عن اللّغة، فإنه لا يمكن أن نجاريهم في كلّ ما ذهبوا إليه، فطول دي سوسيور المذكور يوحي بوجود تطابق بين الأفكار والألفاظ، والواقع أننا نلاحظ تفاوتا بينهما، إذ نجد في أنفسنا عدم، التناسب بين قدرتنا على الفهم مع قدرتنا على الأداء، وهذا يعني أن الإنسان يفهم معاني اللّغة أكثر مما يحسن من ألفاظها، فنحن، عندما يحدثنا شخص بلغة لا نتقنها نفهم الكثير مما يقول، ولكننا قد لا نستطيع مخاطبته بالمقدار الذّي فهمناه[1]. وليس الفلاسفة وحدهم من خاض في العلاقة بين اللّغة والفكر، إنّما نال الموضوع قسطا وافرا من الدرس، وكان ولا زال يتجدد السؤال: أيهما ينال السبق اللّغة أم الفكر؟

تقدم الفكر على اللّغة:

يذكر أبن جني في خصائصه الأمر بقوله:«فإذا رأيت العرب قد اصطلحوا ألفاظا وحسنوها، فلا تريدن أن العناية إذ ذاك إنّما هي ب الألفاظ، بل هي عندما خدمة للمعاني، ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحصينه، وإنّما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر بشره ولا يعبر جوهره، كما قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه»[2]، فتحسين اللّغة إنّما هو لا جادة التعبير عن المعاني والأفكار الّتي تدل عليها كما أن سوء العبارة كثيرا ما عاد بالوبال على جواهر الأفكار، ويقول آخر:«إن اللفظ يتبع المدرك ويأتي بعده ضرورة، فالأصل

[1]-ينظر: الفلسفة لطلاب البكالوريا المرجع السابق ص 425-426

[2]- د.فايز الداية المرجع السابق ص 50

في اللّغة المدرك الذّهني ثمّ يأتي الإنسان بالصوت أو باللفظ الذّي يعبر فيه عن ذلك المدرك، وجميع المدارك الذهنية اجتماعية نشأت من صلة الإنسان بما حوله وبمن حوله، والإنسان لم يتكلّم، أي لم يأت بالألفاظ الفصيحة الدالة على مقاصده الفكرية، إلا بعد أن شعر بالحاجة إلى التعبير عما كان يجول في نفسه تجاه كائن آخر مثله»[1] «فالفكر بالنسبة إلى اللّغة يمكن تعريفه بأنّه المضمون المستتر أو أعلى طاقة كامنة للكلّام، أي المضمون الذّي يمكن اكتشافه بإعطاء كلّ عنصر من عناصر اللّغة المنطوقة قيمته العليا كمعنى. وهذا يعني أن اللّغة قد تكون مجرد وجه خارجي للفكر في أعلى مستويات التعبير الرّمزي وأعمّها، ولكي نعبر عن رأينا بشكلّ آخر فإنه يمكننا أن نقول أن اللّغة قبل كلّ شيء وظيفة خارجة عن نطاق العقل إنها تعمل بكلّ تواضع عن الارتفاع إلى مستوى الفكر المستتر في صورها وفي تصنيفاتها والذّي يمكن عند الحاجة تمييزه عنها، فهي ليست كما يعتقد عامة الناس مسبقا وبكلّ سذاجة العلامة النهائية الّتي يزين بها الفكر الكامل»[2].

من قول إدوارد سبير هذا نجد الألفاظ غير قادرة على أداء كمال المعاني وإن كانت تمثل شكلًا خارجيا لها وتحاول إيفاءها تامة، على أن الإنسان لا يعني مما حوله كلّ شيء، فمن الأشياء مالا تدركه الحواس، ومن الأمور ما لا نفطن له –اصطلاح عليه حديثا لا مفكر فيه–[3]، وفي الواقع أن الشعور مقصور على الأشياء الّتي نغيرها انتباهنا، فهي موضوع أحاديثنا وسائر ما يصدر عنا من كلّام، وما عدا ذلك من الأشياء والأمور الّتي لا تحصى، فهي تشكلّ منطقة واسعة هي منطقة لا شعور، وهذه المنطقة، وإن كنا لا نتطرق بالحديث عما فيها، لأنّها غائبة عن الوعي، ولأننا مشغولون عنها، باهتماماتنا الحاضرة، إلا أنّها تظل مع ذلك موضوع تفكيرنا، ومعنى ذلك أن مضمون

---

[1]– د.عمر فروخ المرجع السابق ص 39

[2]– النصوص الفلسفية الميسرة المرجع السابق ص 261-262

[3]– ينظر: محمد أركون المرجع السابق ص

الفكر أوسع من محتوى اللّغة، وأنّه لا ينكشف عن طريق اللّغة من بنات الفكر إلا قليل، وهذا يعود كما قلنا إلى أن الفكر المسبوك سبكا لغويا محصور في نطاق الشعور، أي أنّه مقصور على ما ندركه ونحس به من عالم الموجودات، وبعبارة مختصرة فإن موضوع التفكير يشتمل على ما نشعر به، وكذلك على ما يختبئ تحت الشعور المباشر، أمّا اللّغة، فموضعها في الغالب مقصور على ما يدور في الذهن ممّا نعيه وعيا مباشرا، والدليل على ذلك أن التعبير اللّغوي يزداد صعوبة كلّما أراد الإنسان أن يعرب مما لا يشعر به بصورة مباشرة، وعمّا لا يقع تحت حواسه، ولقد تبلغ هذه الصعوبة درجة تجعل الإنسان عاجزا عن التعبير بالرموز اللّغوية[1] «فالحاجة إلى التعبير» كما يقولون « تولد من استحالة التعبير» أو ما يبدو أن آرتكو كان يعينه حين كتب :«إن فكري يتخلى عني في كلّ خطوة من حقيقة الفكر البسيطة إلى الحقيقة الخارجية الّتي هي تجسيدها المادي في كلّمات...».

ذلك أن هناك من يرى اللّغة تغلق الطريق أو تصنع العقبات أمّام الوعي الجوهري الأصيل، في حين أن اتجاها آخر يعني بشكلّ اللّغة المتلقي وبإمكانات ممارسة جديدة، وهو يتعامل معها بوصفها مادة في سيرورة اجتماعية[2] .

فضل اللّغة على الفكر:

نعود إلى سؤالنا: هل اللّغة هي لغة الفكر، أم للفكر لغته الخاصة؟ «اللّغة مرآة العقل» مقولة أخاذة ونافذة، ومثال فريد عن كيف يمكن أن تمارس اللّغة سلطتها علينا، لمصلحتها —على ما يبدو— هذه المرة، فقد رسخت هذه المقولة في الأذهان مفهوم

[1] – ينظر: د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 241

[2] – ينظر: رايموند ويليامز، طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد، ترجمة فاروق عبد القادر الكويت كتاب عالم المعرفة 246، دط1420 هـ / 1999م ص 111

التطابق بين اللّغة والفكر، وبين بنية اللّغة وبنية العقل أداة إنتاج هذا الفكر»[1] وكما يقال التفكير والتعبير في حقيقة الأمر متلازمان، ولا يستوفي أحدهما كفايته إلا مقترنا بالآخر، مستعينين باللّغة[2] ولئن كان التفكير كلّاما داخليا يختلج في الذهن فإن«بنات الأفكار» كما يقول العرب، لا تنكشف للغير إلا بواسطة اللّغة، أي أن مضمون الفكر يبرز حين ينطلق اللسان، ويخط القلم»[3] إذ الإنسان دون غيره من الحيوانات الأخرى مزود بجهاز يمكنه من توصيل أفكاره إلى غيره من الناس، وعلى هذا لا يجوز الفصل بين اللّغة والفكر. ومن المستبعد جدا أن تحرز البشرية ما أحرزته من التقدم في مضمار الحضارة لو لم يكن لها لغة تخدم الفكر وتقدم له القوالب الّتي تصاغ فيها المعاني، إن اللّغة إذن هي أداة لاغني عنها من جهتين:

أولا : إنها وسيلة لإبراز الفكر من حيز الكتمان إلى حيز التصريح.

ثانيا :فهي عماد التفكير الصامت والتأمل، ولولاها لتعذر على الإنسان أن يسبر الحقائق إلى عمق أعماقها حينما يسلط عليها أضواء فكره[4] ربما لهذا قال أمين الخولي: «ما من علة في فكرنا، إلا و وراءها علة لغوية»[5].

وحدة الفكر واللّغة:

«عندما نتحدث مع أنفسنا فإننا من جهة لا نطق ومن جهة أخرى فإننا نرتب المعاني ونسلسلها على الصّورة المنطوقة مما يبدو لنا معه أن التعبير والتفكير أمران يحصلان معا إلى درجة أننا نعتقد أنّه لا يمكن أن يحصل تفكير بدون تعبير، ولا تعبير

---

[1] – د.نبيل علي المرجع السابق ص 236

[2] – ينظر مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 45

[3] –د.حنفي بن عيسى، المرجع السابق ص 240

[4] – المرجع نفسه ص 78

[5] – د.نبيل علي المرجع السابق ص 246

بدون تفكير»[1] ويتردد صدى ذلك عند عبد الرحمن ابن خلدون (732-808هـ) في مقدمته فيقول :«ثمّ من هذا الأمر الصناعي الذّي هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم، وهي معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب، ومشافهة اللسان بالخطاب، فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلّها إلى الفكر في مطلبك: فأولا دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفها، ثمّ دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثمّ القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق»[2] فالعلاقة وطيدة ومباشرة بين اللّغة والفكر، تتضح لنا ما إن نربط بين تجريدية الفكر وحقيقة أن نظام اللّغة يعمل على مستوى المفاهيم والمجردات من مقولات وعلاقات وسمات وتقابلات[3].

إنها في طابعها العام علاقة «هات وخذ» إن جاز التبسيط: فعندما تجعل الاستعارة المجازية على سبيل المثال من النقاش حربا تخوضها لمهاجمة الآراء والدفاع عن وجهات النظر وإسكات الخصوم، محاصرة الأفكار تتحول مع تكرار استخدامها إلى أداة فعالة لتوجيه فكر الإنسان وسلوكه، مما لاشك فيه أن موقفنا من النقاش كان سيتغير بصورة جذرية، لو تراءى لأهل المجاز أن يجعلوا من النقاش –مثلا– غزلا لا حرب لحل ساعتها التودد لشريك النقاش (لا خصمه)[4].

فهل اللّغة قيد على الفكر أم تحرير له؟ «في إطار هذا التقابل بين كون اللّغة قيدا على الفكر أم تحرير له، تبدوا العلاقة تبادلية بينهما في أوضح صورها، فكما يمكن أن يسمو الفكر بلغته أو ينحط بها، كذلك يمكن للغة أن تسمو بفكر جماعتها أو تنحط

---

[1]– النصوص الفلسفية الميسرة، المرجع السابق ص 261

[2]–د.فايز الداية، المرجع السابق ص 16

[3]– ينظر: د.نبيل علي المرجع السابق ص259

[4]– ينظر: المرجع نفسه ص 261

به. ويشهد تاريخ الفكر أن اللّغة من أشد الأسلحة الإيديولوجية ضراوة، وهي الوسيلة القصوى للسيطرة على الفكر، ويكفي مثلا –هنا–الكيفية الّتي استغل بها سلاح اللّغة في منح تفسير النصوص الدينية مجازيا، ومن يرد مثالا حديثا، فليرصد معنى ما يفرضه بعض المصححين في دورنا الصحافية من قيود على كتابنا في استخدام الكتاب عبارات من قبيل «خلق الأفكار» و«بعث التراث» وما شابه، ويذكرنا ذلك بما أورده جورج أورويل في طوبا يته السوداء (1984)، عندما وضع اللّغة على رأس قائمة أسلحة القهر لإيديولوجية في يد «الأخ الأكبر» فصممت لغة «الكلّام الجديد» كما أسماها أورويل: بحيث تخلو من المجاز، وتضع قيودا صارمة على معاني الألفاظ فمعنى «فقد الحرية» مثلا لا يجب أن يخرج عن المعاني المناظرة لـــ«حبس الطيور في أقفاصها» ومعنى «القوة» يجب إلا يتجاوز معنى الشّدّ والإرخاء كما يعرفه علم الفيزياء. ولم تستهدف صرامة هذه اللّغة محاصرة العقول في نطاق فكري لا تخرج عنه فقط، بل استهدفت –أيضا– جعل كلّ بدائل التفكير الأخرى في حكم المستحيل»[1] وعلى كلّ تبقى الأفكار والألفاظ في تلاحم وتطابق سواء قيد أحدهما الأخر أو حرره،فالمعاني لا تظهر للوجود إلا إذا تجسدت ألفاظا، والألفاظ لا تكتسب قيمتها إلا إذا حملت معنى من المعاني، والجدلية المفترضة بين اللّغة والفكر لا تزال محط اهتمام الكثيرين.

التطور الفكري واللّغة:

إن العلاقة بين اللّغة والفكر وطيدة–كما تقدم– فاللّغة تقدم للفكر تعاريف جاهزة، وتصف الأشياء بخصائصها حتى لا تتداخل مع غيرها، وتساعد المفكر في عمله، إذ تزوده بصيغ وتعابر معروفة، وتضع تحت تصرفه أساليب مدروسة[2] كما يلح عالما يعمد التطور الفكري أساسا في حياته الاجتماعية والرقي الحضاري مقياسا في حياة

[1] – د.نبيل علي المرجع السابق ص 262

[2] – ينظر: د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 78

الأمم، فوحدة الأفكار بين أفراد الجماعة الاجتماعية الواحدة تنم عن وحدة الذات الجماعية.«أمّا اللّغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجودا متميزا قائما بخصائصه: فهي قومية الفكر، تتجدد بها الأمة في صور التفكير وأساليب أخذ المعنى ن المادة، والدقة في تركيب اللّغة دليل على دقة الملكات في أهلها، وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على مثل الأمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل، وكثرة مشتقاتها، برهان على نزعة الحرية وجماحها، فإن روح الاستعباد ضيق لا يتسع، ودأبه لزوم الكلّمة والكلّمات القليلة»[1] يرى الرافعي بقوله هذا اللّغة دليل ميل أصحابها إلى البحث والتطور، غير أننا حين نتحدث عن الحياة الفكرية لأمة ما، نتحدث عن العلية أو المنظومة الفكرية لفئة معينة من هذه الأمة، هي الفئة الّتي كان لها قسط من النبوغ الفكري والحظ في اعتلاء منابر العلم والحكم أحيانا، بينما حياة العامة غير حياتهم «وقد عرج بعض منظريها على علاقة اللّغة العربية بالفكر، في مقام تناولهم جذورنا الفكرية، وتحليل بنية العقل العربي، وعادة ما يكون العقل المقصود أو المنشود في هذه الدراسات، هو العقل المشيد للفكر، أي عقل القلة النابغة، صانع عقول الكثرة الّتي يفترض أنّها قادرة على دمج هذا الفكر في غمار حياتها اليومية، ولكن واقع الحال، أن هذا الفكر الهابط من أعلى يظل في كثير من الأحيان معلقا في الهواء دون توظيف حقيقي على أرض الواقع»[2].

الكثرة الّتي نتحدث عنها أو عامة الناس هي الّتي توظف الأفكار النازلة إليها في الحياة العادية اليومية أولا توظفها فتحكم عليها بالجمود والزوال، وهي الّتي تفتح المجال لتداول السميات الجديدة والمصطلحات المستحدثة أولا تفتح فتسمح لها بالشيوع أو تضرب بها عرض الحائط «وقد وجد العرب في لغتهم طواعية فائقة في التعبير عن أي

[1] – المختار في الأدب والنصوص، النسة الثالثة ثانوي المرجع السابق ص 156

[2] – د.نبيل علي المرجع السابق ص 264

شيء اخترعوه أو اكتشفوه في عالم الإنسان والكون، ولاشك أن أية لغة تعني بغناء أصحابها وتتقدم بتقدمهم وتطورهم، يؤكد هذه الحقيقة العلمية والمنطقية أحد علماء اللّغة الكبار بقوله:«إننا لا تعلم إطلاقا لغة قصرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها، فلا ننصت إلى أولئك المؤلفين العاجزين الذّين يحملون لغاتهم مسؤولية النقص الذّي في مؤلفاتهم لأنّهم هم المسؤولون، على وجه العموم عن هذا النقص، ويقول"ديكارت" أولئك الذّين يفكرون خير تفكير و يهضمون أفكارهم خير هضم ليجعلوها واضحة مفهومة يستطيعون دائما أكثر ممن عداهم أن فهموا الآخرين آراءهم ولو لم يتكلّموا غير البريطانية»[1].

لابد إذن للغة أن تكون وسيلتنا الأساسية لتنقشع الظلمة المخيمة على مناطق شاسعة من فكر إبداعنا، من مثل كون فكر الفنون أصبح مقوما أساسيا في فكر عصر المعلومات إذ ضيقت تكنولوجيا المعلومات المسافة الفاصلة بين العلوم والفنون[2] «إن التقدم في المعرفة البشرية والتكنولوجية والاقتصادية يعتمد إلى حد كبير على تبادل المعلومات وتوثيقها وتستخدم المفاهيم والمصطلحات الّتي ترمز إليها كأساس لتنظيم الأفكار العلمية وجمع المعلومات الأخرى، غير أن التطور السريع في المعارف الإنسانية أدى إلى صعوبة إيجاد مصطلحات كافية شافية»[3] وفي هذا الصدد يقول محمد أركون:« إني أعرف أن اللّغة والفكر في تفاعل مبدع ومستمر، كلّاهما يستمد غذاءه المشترك وديناميكية الخلافة من الممارسة الوجودية (الحياتية) اليومية: أي من التاريخ الفردي والجماعي معا، ولذلك ألح على العلاقة الثلاثية الدائرية التفاعلية (لا الخطية) ولا السببية) بين العناصر التالية، وتكون العلاقة على الشكلّ التالي :

---

[1] – د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 134

[2] – ينظر: د.نبيل علي المرجع السابق ص 256

[3] –د.علي القاسمي المرجع السابق ص 09

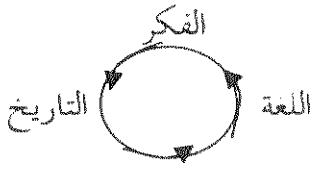

وبمجرد تأمل هذا الشكلّ الممثل للعلاقات الحية بين الفكر والتاريخ واللّغة يستطيع القارئ أن يدرك أسباب الفوضى الدلالية السائدة اليوم في اللّغة العربية فيما يخص التعبير عن الحداثة الفكرية مادام كلّ مؤلف عربي يبدع اصطلاحاته الخاصة دون أن يوفق إلى خلق مدرسة تتبنى هذا الاصطلاح وتذيعه عن طريق الشروح والتعقيبات والمناقشات في المجلات والجرائد والمحاضرات والمسامرات وحلقات الدرس، فسيذهب اجتهاد المجتهد المنعزل والمتوحد سدي، وعندئذ تترك ثّمرات اجتهاده وتتعارض نتائجه بنتائج اجتهادات أخرى منعزلة.

لهذا السبب لم نوفق بعد إلى إيجاد مصطلحات وافية سليمة للدلالة الفكرية الكاملة على مفهمات من مثل (Mythe, Tradition, Orthodorie, Spiritualité) ، ولا يعني ذلك أبدا أن اللّغة العربية غير قادرة على تأدية المعاني التابعة لتلك المفهمات، وإنّما يعني أنّها كسائر اللغات لها تاريخها الفكري الخاص، أي منظومتها الخاصة من الدلالات الحافة المرتبطة بالنزاعات الإيديولوجية، بين القوى الاجتماعية وإنها بحاجة إلى تطوير وتجديد»[1].

فإبداع المصطلح وتوفير أسباب الشيوع، والتداول له كفيل بأن يوفر شيئا من التواصل الفكري بين الأفراد والأمم وهذا التواصل الفكري لا يتم إلا إذا تم التواصل اللّغوي.

[1] – محمد أركون تاريخية الفكر الاسلامي المرجع السابق ص 08

د-التواصل اللّغوي:

«لاشك أن وظيفة اللّغة الأساسية هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلّم إلى المخاطب، ومن العلماء من يأبى إلا أن يحصر جميع وظائفها في الغرض الأول (التعبير) أو في الغرض الثاني (التبليغ) ورأيهم في ذلك أن الأغراض الأخرى ثانوية، وأنّه في آخر الأمر أن تعاد إلى أحد الغرضين السابقين»[1] وعلى ضوء تعريف "لالاند" الفيلسوف الفرنسي (1867-1963) بقوله :«كلّ جملة من الإشارات يمكن أن تكون وسيلة للاتصال» نلاحظ تعميما يحتاج ضبطا وتدقيقا فوسيلة الاتصال إن كانت فطرية غريزية لا يصح إدراجها ضمن مفهوم اللّغة إلا بكثير من التساهل لأنّها في هذه الحالة تشمل الإنسان والحيوان، ولا أحد يجزم بأن للحيوان لغة بمعناها الاصطلاحي الذّي يتضمن وعيا وقدرة على اصطناع وسائل التعبير الّتي تقبل التعديل والتنويع باستمرار، لتحقيق تواصل مقصود[2] وبما أن اللّغة في الأصل هي من نطاق العالم الاجتماعي والنفساني للإنسان، لا من نطاق العالم العقلي المنطقي -كما يقولون- فإن المنطق كان قليل الأثر في سلك الكلّمات وبناء التراكيب عند أمن اللبس في نقل المعنى المراد من القائل إلى السامع[3] .

فجادة الأمر في موضوع اللّغة هو تأمين انتقال المعاني والأفكار من الملقى إلى المتلقي بالوضوح اللازم لتمام التواصل حتى أن "ثورندايك" يرى أن وظيفتها النفسية ليست في التحليل والتركيب بقدر ما هي في إحداث استجابات لدى الأفراد «فاللّغة إنّما هي أداة نستعملها لإثارة أفكار وعواطف لدى الغير»[4] وإذا عدنا إلى النظرية السلوكية فإن الشيء الذّي سنحتفظ به منها هو أن اللّغة كمظهر لنشاط الفكر تبدأ

---

[1]- د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 75

[2]- ينظر الفلسفة لطلاب البكالوريا المرجع السابق ص 419

[3]- ينظر: د.عمر فروخ المرجع السابق ص 104

[4]- ينظر: د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 77

حين يشعر الإنسان، بضرورة التّعامل مع المحيط فهذا الشعور -أو الوعي- هو الشرط الأساسي لحصول ملكة اللّغة أي أنّه لابد من أن يعي الأشياء كحقائق منفصلة عن ذاته، تتأثر بها ويؤثر فيها[1] ولما كانت اللّغة من نطاق العالم الاجتماعي للإنسان، لا يمكن أن نحصرها في كونها وسيلة للتعبير، كما لا يكفي أن يقال عنها أنّها وسيلة نقل الأفكار من المتكلّم إلى السامع، وإنّما هناك إلى جانب هذا النقل شيء آخر يتمثل في استجابة السامع وتلبيته —سلوكيا- لأثر ما أدركه من كلّام[2]. و"ثورندايك" أيضا: «يرى أن وظيفة اللّغة لا تقتصر على التعبير عن أفكار المرء و وجدانا ته، وإنّما تستعمل أيضا لإشارة أفكار ووجدانات عند السامع... أي أحداث استجابة تبعث على سلوك معين عند من توجه إليهم اللّغة، سواء كانت هذه الاستجابات إشارة أفكار أو وجدانات عنده، أو تحريك لإتيان فعل من الأفعال»[3].

ولا تحقق هذه الوظيفة أغراض المجتمع إلاّ بحسب مصطلحاته، وتكون متغيرة مبتذلة بحسب الناس الذّين يتكلّمون بها وهي مجموعة من الرموز تمثل المعاني المختلفة[4] «ولقد تتباين الألسن، إلا أن الناس يمكنهم أن يتخطوا قوالب الألفاظ ليتلاقوا على صعيد الفكر»[5].

ومن هنا نخلص إلى تعريف التواصل الوارد في بعض المعاجم القائل:«إن التواصل عملية مرور الفكر»[6].

---

[1] – ينظر : د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 240

[2] – ينظر: د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 52

[3] – المرجع نفسه ص 52

[4] – ينظر: د.عبد الرحمن واقي المرجع السابق ص 15

[5] –د.حنفي بن عيسى المرجع السابق ص 52

[6] – ينظر: د.عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل ص 79

وهكذا نرى التواصل اللّغوي لا يقتصر على أفراد مجتمع واحد فيما بينهم، لأن مرور الفكر يتم حتى بين الأمم المختلفة «وتزداد اللّغة-يوما بعد يوم-مساهمة اللّغة في تحديد الأداء الكلّي للمجتمع الحديث، سواء من داخله، أو بالنسبة إلى خارجه، ونقصد بالداخل هنا أنماط وحصاد نتاجه المعرفي والإبداعي، وكذلك الإنتاجية الشاملة لأفراده ومؤسساته أمّا ما نقصده "بالخارج" فهو العلاقات الّتي تربط المجتمع بغيره من المجتمعات، والعوامل الّتي تحدد ثقل الإستراتيجي في إطار العوامة أو التكتلات الإقليمية»[1] ومع بروز عصر المعلومات تعاظم الدور الذّي تلعبه اللّغة ضمن القوى الرّمزية ككلّ في صياغة شكلّ المجتمع الإنساني الحديث[2].

[1]- ينظر: د.نبيل علي المرجع السابق ص 232

[2]- ينظر المرجع نفسه ص 229

الفصل الثاني

المعرب و الدخيل

" ربّما خلطة العرب في
الأعجمي إذا نقلته إلى
لغتها".

- أبو عمر الجرمي -

1- المعرب.

2- الدّخيل.

3- المولد.

4- بين المعرّب و الدخيل.

1-المعرب :

احتاجت العرب منذ زمن طويل إلى كلمات تقابل الألفاظ الأعجمية التي استقدموها من أمم أخرى، فالعرب لم تلجأ إلى التّعريب إلا لضرورة وإكراه بدليل أنّ الألفاظ المعربة التي قيست على الألفاظ العربّية السليمة –قليلة ونادرة– ثم إننا الآن بحاجة إلى التّعريب ولكن بقدر معلوم على أن تتقيد الألفاظ المعربة بقواعد أخصها الأوزان العربّي من الوزان القياسية أو السماعية حتى يلائم جرسه جرس الكلمات العربّية فلا ينفر منه العربّي ولا يجد فيه تناقضا مع ما لديه من صنع لغته الكريمة، كذلك ينبغي أن نعرف أن التّعريب إنما تدعونا إليه ضرورة قصوى يقف عندها جهدنا في البحث والاستقصاء وتقليب أساليب اللغة على وجوهها المستطلعة[1] .

غير أنّ هناك من يعارض وجود الألفاظ المعرّبة في اللغة ونذكر على سبيل المثال مصطفى صادق الرّافعي فقد رجح ألا يكون هناك ألفاظ من هذا القبيل، و إنّ العرب لم يستعيروا إلا ما كانت فيهم حاجة إليه، فقال:«ولا يعقل أن يستعمل العرب هذه الألفاظ على أنها مرادفات لأوضاعها في لغتهم، لأنهم لا يبلغون بالمعرب قوة كلامهم بالضرورة من حيث أنه دخيل على الأوضاع العربّية، فهو ليس في معنى الأصيل إلا حيث تخلو اللغة من تنديده»[2]، ومن ذلك نجد الأستاذ الراوي يقول في بحثه "المعرب والتّعريب"«المعرب ما استعملته العرب في كلامها من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها» ثم يقول في التّعريب «هو نقل للكلمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربّية بتغيير أو بغيره، ويسمى الإعراب أيضا»[3].

[1] – ينظر: أحمد مطلوب المرجع السابق ص 58

«و بذلك يكون المعرب لفظ غير علم استعملته العرب في معنى وضع له في غير لغتهم وليس في القرآن وفاقا للشافعي و ابن جرير والأكثر»[1] يتبين لنا إذن أن هناك من عارضوا هذه القضية محتجين بالقرآن وجعلوه المقياس في تمييز المعرب عن العربّي الأصيل والأصلي، ومع أن هناك آراء مختلفة في المعرب إلا أن اللغة العربّية تتيح استعمال الأعجمي من الألفاظ بكل خصائصها الأساسية ولها في ذلك مذاهب، فالكلمات الأعجمية كانت العرب تنطقها بحروف عربية، وبذلك تعربها وتصير عربية، وإن كان أصلها أعجمي، مع مراعاة الأصوات العربّية، فهم يبدلون الحروف التي ليست من حرفهم إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا، وإلا بدال لازم وضروري لكي لا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حرفهم، ربما غيروا البناء الفارسي إلى أبنية العرب[2].

والاختلاف في هذا المجال أو الباب وارد إذ نجد عبد القادر المغربي حين يشترط في المعرب أن يأتي على أوزان العرب يقول«فرتب الكلم إذن عند سيبويه عربية ومعربة ومدار التّعريب عنده على الاستعمال وحده، وقد ذهب مذهبه عامة أهل اللغة فصرحوا بأنه لا يلزم في المعربات أن تجري على أمثلة الأوزان العربّية بل إن جاءت فحسن لتكون مع إلحاقها على العربّية شبيهة بأوزانها، وقد يتفق أن تغير العرب الأسماء الأعجمية التي تعربها تغيير لا يكون معه إلحاق بأوزانها ومناهج كلامها» ثم يقول«على أننا مهما استحسنا رأي سيبويه في عدم أشترطه رد الكلمة المعربة إلى مناهج اللغة وأوزانها ينبغي أن نقف من تسامحه عند حد محدود وإلا تكاثرت الكلمات الأعجمية ذات الأوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى وخرجت على تمادي الأيام

بذلك عن صورها وشكلها وعادت لغة خلاسية لا عربية ولا أعجمية كاللغة المالطية أو كسائر اللغات العربّية العامية في مختلف الأقطار الإسلامية»[1].

وقال «إذا لم نعن بالتّعريب ونفسح مجالا للمعربات على اسلات ألسنتنا وأسنان أقلامنا كنا عاملين على إماتة اللغة أو وقوف نموها»[2].

وإذا ما نظرنا إلى مصطلح "المعرب" من حيث النشوء أو الظهور فسنجده متأخرا ظهر في القرن السادس مع كتاب الجواليقي (المعرب من الكلام الأعجمي) وتوالت بعده المصنفات التي تبحث فيه، ووجد تفصيل لمعنى الكلمة المعربة عند مؤلف متأخر ونورده تقريرا لزاوية تناقش في نتاج المدة القديمة،«فالمعرب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها» أي لم يحدث فيه تغيير على مستوى المعنى وإن تغير شكله وصيغته»[3].

ويقول عبد الحميد حسن :«المعرب هو الكلمات التي انتقلت من الأجنبية إلى العربّية سواء وقع فيها تغيير أم لم يقع »[4].

ومن ذلك تكون الألفاظ الأعجمية التي أدخلتها العرب في كلامها قد استعملتها مصقولة على الوزن والمنهج العربّي، أو تركتها بغير صقل أو أخذتها وتناولتها بالاشتقاق من ذاك الأعجمي أحيانا إذا أمكن، وذلك ما ذهب إليه عباس حسن[5].

ويحكم الاشتقاق في بنية الكلمة "الألوسي" فيقول في "تترى" :«وهذا الذي ذكره أصل المعنى ويشهد له الاشتقاق لأن التواتران يأتي تواترا أي منفردا» وهو يعارض الاشتقاق من المعرب ولا يذهب إليه فيقول:«وهو لا يجرى في الأعجمي ما نقل منه»[1].

---

[1] -أحمد مطلوب المرجع السابق ص 59

[2] - المرجع نفسه ص 59

[3] - ينظر: د.فايز الداية المرجع السابق ص 249

[4]

ولابد –كما ذكرنا سابقا– من وجود أسباب عدة، دعت إلى تعريب الأعجمي من أجل تسهيل استعماله في اللسان العربّي وبذلك يكون هذا المعرب خاضعا للتغيير أيضا إذ يجب تنقيحه وتعديله ليستعمله الجميع، ومن بين أسباب التغيير الذي يلحق على المعرب نذكر:

«1-اشتمال الكلمة الأعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لاوجود لها في اللغة العربّية.

2-أن يكون في الكلمة الأعجمية حركة لاوجود لها في العربّية أو هي موجودة في لغة ضعيفة.

3-الثقل وطول الكلمة.

4-نقص الكلمة الأعجمية، من ثلاثة أحرف.

5-كون الكلمة الأعجمية مبدوءة، بحرف ساكن فيضطر عند التّعريب إلى تحريكه أو زيادة همزة قبله.

6-أن يجتمع في الكلمة الأعجمية حرفان ساكنان سكونا على غير حدة فيحرك أحدهما.

7-تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الإعراب»[2] .

هذا ما يمكنه أن يحدد المصطلح المعرب الذي يصلح للاستعمال في العربّية، مع ذلك نجد من يشك في كون المعرب خالصا ودقيقا دون أخطاء إذ يقول أبو عمر الجرمي:«ربما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغتها»[3].

وربما الخلط واقع أكثر بعد نقل هذا الأعجمي، أهو معرب إذا استعملته العرب، أم دخيل إذ أدخلته إلى لغتها وهو غريب الأصل؟.

---

[1]–ينظر: أحمد مطلوب المرجع السابق ص 76

[2]–أحمد [illegible]

2-الدخيل :

بلغنا من الأقدمين أن علماء العربّية أجزلوا الحديث في المعرب والدخيل و أبدوا آراءهم ووجهات نظرهم في الموضوع كما حاولوا جرد هذه الكلمات لقلتها في اللغة العربّية، لكن تقدم الزمان وتقادمت هذه البحوث، وانتقلت الألفاظ معربة أو دخيلة من قلة في اللغة إلى كثرة ومن ندرة إلى وفرة، وكثر هذا الوافد، وكثرت معه التساؤلات إن كانت العربّية تستطيع له حملا، وارتفعت أصوات بعد طول سبات تجار بواجب أخذ الأمر جدا، والإحاطة بهذا الدخيل تقنينا وعدا، فهل سيجدي ذلك الآن أم فات الأوان؟ أراء الأقدمين كثر الحديث عنها وغنيت بطون المصنفات بها، وآراء المحدثين أيضا، لكن وسط هذا الزخم من العلوم والمعلومات والإعلاميات خاصة لا نكاد نجد لأصواتهم حسا، وإن وجدت غابت عن كثير، لذا نعمد إلى البعض منهم ننتفع مما حصلوه وتقتات مما حصدوه، فهذا الدكتور علي عبد الواحد وافي من المعاصرين يقول عن الدخيل:«هو ما دخل اللغة العربّية من مفردات أجنبية سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم أو ما استعمله من جاء بعدهم من المولدين»[1] ذلك أنهم عدوا قديما أن ما استعملته العرب في عصور الاحتجاج من كلام أعجمي إنما هو معرب وأن ما بعد ذلك دخيل غير أن الفرق حلي بين هذين المصطلحين لدى عبد الحميد حسن، فالدخيل هو اللفظ الأجنبي الذي دخل دون تغيير والمعرب ما قد غير العرب صيغته في الغالب بالزيادة أو النقص أو غيروا من حركاته[2] وهذا هو عين الفرق بين الأقدمين والمحدثين، فالتحديد عند الأولين زماني وعند المتأخرين بنائي، وقد يخلط أحدهم بين الزمانية والبنائية فهذا الدكتور حسن ظاظا يقول:«والدخيل هو لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور العرب الخلص الذين يحتج

بلسانهم وتأتي الكلمة الدخيلة كما هي بتحريف طفيف في النطق»[1] لاختلاف الأصوات من لغة إلى أخرى، ويتفق الجميع في أن المخيل ما كان غير عربي فهو «كل كلمة أعجمية أدخلت في كلام العرب» حالها حال«فلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم»[2] بيد أن هناك من أخضع هذا إلى تعميم وتخصيص إذ لما كان الدخيل كل ما دخل العربّية من غيرها، والمعرب ما دخل وجرى على أحكامها، فالأول بداهة أعم من الثاني[3] إن أسندنا الأمر إلى منطق العقل كل معرب دخيل كلن ليس كل دخيل معرب، ومن المتأخرين أيضا من جعله أعم من ذلك، أمثال عبد القادر المغربي الذي يجعله أنواعا «منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام كسندس وإبريق ويسمى في الاصطلاح معربا، ومنه ما أدخله المولدون في صدر الإسلام ويسمى مولدا، ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثا أو عاميا»[4] وإذا أردنا التمثيل وجدنا من بين المفردات الفارسية التي دخلت اللغة العربّية البوتقة الأسطوانة، الديباج، الخز، البلور، المارستان، ومن اليونان دخلت كلمات الصابون، القاموس، الفلسفة الإقليم، المغناطيس-الإسطرلاب، ومن الفرنسية دخل في العصر الحديث: قنصل، بنك، سكرتير،برلمان، جنرال، ومن مسميات الحضارة العصرية دخل: التليفزيون، الراديو، البيروقراطية، الإيديولوجية، الديمقراطية، البروليتاريا... و غيرها كثير[5].

لكن هذا الدخيل شاع وكثر، واكتسح مجال حياة العربّي كلها، وبات خطرا على اللغة يهدد كيانها وسلامتها فأخذ بعضهم يدعو إلى إبعاد الدخيل من اللغة العربّية، أحيانا سند الدعوة المجمعات العربّية وأحيانا أخرى تلبية للتخوفات التي فضت مضاجع

---

[1]-د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 26-27

[2]-ينظر: المرجع نفسه ص 25

[3]-ينظر: المرجع نفسه ص 28

[4]

من يدعون الغيرة على لغتهم، فنجد أحدهم ينادي «يتحتم على كل عربي قح أن يدفع بجميع ما لديه من وسائل ما يدنس ثواب لغته ولا يقبل اتخاذ حرف دخيل فيها، لأن هذا الفعل يمكن في قلبه حب وطنه وقوميته وعنصره الذي عبر القرون الطوال و لم يصبه أذى، ولأنه حافظ عليه محافظة على حياته»[1].

ناسيا أن تزمته هذا يقضي على لغته بالجمود فالفناء، فلولا أن كانت هذه اللغة فاتحة أبوابها –بقدر– لمثل هذا الدخيل وغيره من عوامل النماء، لبقيت ألسنتنا ونحن في القرن الواحد والعشرين حبيسة خيمة وراحلة وصحراء قاحلة وضبية هاملة.

على كل أسباب هذا السيل الطامي من الوافد الأعجمي يغروها زروق عيسى أسفا عام 1912 إلى أمرين :

1-الاختلاط بالأجانب

2-التباهي بمعرفة الكلام الأجنبي، قال:«إن الداعي إلى استعمالنا الألفاظ الأعجمية هو اختلاطنا بالأعاجم ومشاركتنا إياهم عالم التجارة والصناعة والعلم والأدب، ودرسنا لغاتهم على أنواعها، وتداول كثير من مفرداتها في مخاطباتنا اليومية... أما سبب تهافت أقوامنا على إدخال تلك الألفاظ الغريبة ... فهو افتقار هذه اللغة إليها ولا يسما في الأمور المستحدثة و المستنبطة في هذه العصور الأخيرة وبعض هذه الألفاظ أدمج في كلامنا العامي لعدم وقوفنا التام على ألفاظ لغتنا الشريفة، وكثير منها فشا فسرا بين أظهرنا على أنه يوجد في العربيّة ألفاظ تكفينا مؤونة الاستعارة من غيرها من اللغات الأجنبية... إن جلب البضائع والمصنوعات والآلات والأدوات الإفرنجية التي نتخذها في منازلنا ومعاملنا وتكاد لا تخلو بقعة في مدينتنا منها، ساعدت أيضا على شيوع الألفاظ

الغربية بيننا... بل قد دفعنا حبنا لها المفرط إلى أن اتخذناها هي وأسماءها الإفرنجية غير ملتفتين إلى ألفاظ تقوم مقامها وغير مكترثين لها...»[1].

ربما أوجز وأفصح من قال :«لاحظت أن اللغة العربّية تسير من تسعين سنة في منحدر، فالمفردات الدخيلة تطارد الكلمات الفصحى في كل ميدان»[2]

ولاحتواء هذا الدخيل المتكاثف للعربية أساليبها وطرقها، لو أن أبناءها ينهضون بها ولا ينقصون من شأنهم ولا شأنها.

3-المولد:

ونعمد إلى المولد حيث هو معرب أو دخيل من عصور متأخرة أين تتطور الحضارات وتظهر مستحدثات جديدة واحتياجات جديدة تحتاج إلى مسميات فيلجأ إلى الرصيد اللغوي من المفردات وما يقدمه النظام اللغوي من وسائل الاشتقاق والنحت فتبتكر الكلمات والمفردات الجديدة أو تطور معاني المفردات المثبتة بعد في متن اللغة وتخرج تخريجات جديدة وذلك هو المولد[3]

كما نجده واحد من التعاريف الحديثة،«رمز استعمال زمني يشير إلى أن المصطلح حديث الوضع، أو وقع اقتراضه من لغة أخرى منذ زمن قريب كما تسند إلى كل استعمال جديد كلمة موجودة في اللغة»[4].

والمولد هو «غير النفي الخالص، نقل ابن منظور ذلك ثم قال:«وإن سمي المولد من الكلام مولدا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى... والمولد المحدث من كل شيء، ومنه المولدون من الشعراء، وإنما سموا بذلك لحدوثهما»[1]

---

[1]-ينظر: د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 69

[2]- محمد الغزالي المرجع الساق ص 189

[3]-[illegible]

ولنرى من بنائية التعريف كما رأينا من زمانيته —من حيث كان المولد دخيلا فهذا د.حسن ظاظا مولده لفظ عربي البناء أعطي في اللغة الحديثة معنى مختلفا عما كان العرب يعرفونه مثل: الجريدة، والمجلة، والسيارة، والطيارة[2] وقد يراد به كل لفظ عربي الأصل غيرته العامة بهمز أو تسكين أو تحريك[3] أو «هو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب»[4].

وبهذا هو ينصرف إلى وجهتين إحداهما تتميز عن الأخرى بأنها أعم إذ هي تعني اللغة المتأثرة بالعناصر الأجنبية عموما منذ القرن الأول الهجري في مجتمعات المدن والحواضر، وأخذ هذا المولد في التوسع مع التزاوج وإنجاب جيل موزع بين عربية وعجمية، حتى طغى على معظم المساحة اللغوية الدارجة وإليه يقصد السيوطي في تعريفه إذ يقول :«هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بكلامهم، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح، وهذا المولد بخلافه»[5].

أما الوجهة الثانية فهي كما أسلفنا لغة عربية بناء بمعان حديثة، والطريقة في إحداث المولد والعامي في هذه الحال، قد تكون الاشتقاق كالعربة والبارود والفسقية، وقد تكون التعريب كالبازهر والماهية، وقد تكون التصرف في الاستعمال بأن نستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب كالقطر والقطائف[6].

---

[1]– د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 29

[2]– ينظر: المرجع نفسه ص 32

[3]– ينظر: المرجع نفسه ص 30

[4]– المرجع نفسه ص 22

ويرى الدكتور أحمد مطلوب الألفاظ المولدة أربعة أنواع:

«1-ما استعمله المولدون من مفردات أعجمية لم يعر بها فصحاء العرب.

2-ما نقله المولدون بطريق التجوز أو الاشتقاق من معناه الوضعي اللغوي الذي عرف به في الجاهلية وصدر الإسلام إلى معنى آخر تعو رف إما بين عامة الناس أو بين خاصة منهم كالنحويين والعروضيين والفقهاء، والحاسبين والمهندسين والأطباء وغيرهم. وهذا النقل جار على أسلوب القياس العربّي فهو عربي مبين، وهو عمدة الصناع والمؤلفين والمترجمين وواضعي العلوم، ومنه ومن العربّي الأصيل تكون اللسان العربّي الفصيح: لسان القراءة والكتابة والتعليم والإدارة.

3-ما حرف على ألسنة المولدين من مفردات اللغة العربّية تحريفا يتعلق بالأصوات أو بالدلالة أو بهما معا، ولا يمكن تخريجه على اصل من أصول اللغة الفصيحة، وهذا ما يسمى أحيانا بالعامي وأحيانا بالدارج.

4-ما جرى على ألسنة المولدين من المفردات التي ليس لها أصل معروف في اللغة العربّية ولا في اللغات الأجنبية»[1].

ومجمع اللغة العربّية بالقاهرة لا يجيز اللفظ المرتجل والمحرف في فصيح الكلام[2]

4-بين المعرب والدخيل :

في علم المصطلح نجد لتعريب اللفظ عدة دلالات في الاستعمال اللغوي الحديث والقديم، وهو في المصطلحية يعني نقل اللفظ الأجنبي إلى اللغة العربّية سواء دون تغيير ويسمى دخيلا، أو مع تغيرات معينة لينسجم مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربّية

1

ويسمى معربا[1]. هذه التفرقة بين المصطلحين نجدها أيضا عند د.حسن ظاظا غير أنه يقول بأنها على طريقتين:

«1-إذا جاءت لفظة أجنبية وهذبت من حيث لفظها بحيث أشبهت الأبنية العربيّة القحة في ميزها الصرفي اعتبرت من المعرب، أما إذا بقيت على وزن غريب على اللغة العربيّة فهي من الدخيل...

2-اللفظة الأجنبية التي استعملها العرب الذين يحتج بكلامهم تعتبر من المعرب حتى ولو لم تكن من حيث بناؤها ووزنها الصرفي مما يدخل في أبنية كلام العرب، أما ما دخل بعد ذلك فإنه يعتبر من الدخيل أي الذي جرى على الألسنة والأقلام مستعارا من اللغات الأجنبية لحاجة التعبير إليه»[2].

غير أن هناك من لا فرق عنده بين المعرب والدخيل من أمثال"الكرملي" الذي يرى أن المعرب هو الدخيل « أي الأعجمي الذي دخل العربيّة في عهودها المختلفة» وقد عقد فصلا سماه :«المعرب أو الدخيل في اللغة العربيّة»[3].

ومهما كانت نقاط التقاء المصطلحين أو اختلافهما، بين بعضهما أو بينهما وبين المولد، قديما أو حديثا فإن حاجتنا اليوم إليهم ملحة في تحديد المصطلح الحديث عامة والعلمي خاصة، لهذا كانت الدعوة إلى :

1-تحديد معنى المصطلح تحديدا دقيقا لا يقع فيه اختلاف بين الباحثين والعاملين في حقل التعريب.

2-التخلص من الاختلاف في سماعية المعرب وقياساته وجعل التعريب قياسيا إذا جرى على طريقة العرب.

---

[1]- ينظر: د.على القاسمي المرجع السابق ص 99-100

[2]- ينظر: د.أحمد مطلوب المرجع نفسه ص 27

[3]

3-الابتعاد عن النزاع في محصور الاستشهاد والخلاف في ذلك وتركه للعاملين في الدراسات اللغوية والنحوية والحريصين على سلامة اللغة لا الباحثين في العلم ومصطلحاته.

4-التخلص من الخلاف في تحديد زمن نشوء المعرب أو المولد أو الدخيل، لأنّ ذلك لا يوصل إلى نتيجة ولا يقدم ما ينفع حركة التّعريب[1]

5-الأعجمي وعربية المحدثين:

من الثابت في تاريخ العربّية أن العرب في عصور الفصاحة والسليقة قد أدخلوا في لغتهم كلمات من الأمم المجاورة بسبب من الاتصال والمخالطة، مما جرى ويجرى في لغات العالم قديما وحديثا، وسبقي كذلك قانونا لغويا يتم به التبادل اللغوي المعروف بـــ«الاقتراض» في علم اللغة الحديث[2] فالعربّية استقبلت من الألفاظ الأعجمية قديما كلما دعت الحاجة إلى ذلك فأدخلت وعربت، وأصبحت تلك الألفاظ بحكم العربي الأصيل استعمالا وتداولا، وإن كان هذا داب العرب في النقل عمن جاورهم أو خالطهم أيام الفصاحة والسليقة، فذلك أحرى أن يكون في أيامهم المتأخرة لما كانت الاتصالات والاحتكاكات واسعة بينهم وبين جميع أقطار العالم، وحين عظم نتاج العلوم في غير بلادهم وأصبح لزاما عليهم مسايرة التطور بعد أن ضاعت منهم مقاليد سيادة العلوم التي أضاءت من أرضهم تنير العالم في حين من الزمان.

و الآن لا محيص عن قبول أي قياس يجرى على سنن العرب في كلامها دعت الحاجة إليه شريطة أن يكون هذا القياس صحيحا، تأسيا بالسابقين الذين تصرفوا في ألفاظ اللغة في كل أنواع العلوم اللسانية والعقلية والمادية والاجتماعية. وحتى عد ذلك

---

[1] ينظر: أحمد مطلوب، [illegible]

من اللغة لا يرده إلا من لا معقول له.[1] «هذه الضرورة» هي المحور الذي يدور عليه الخلاف اليوم بين رجال اللغة العربّية، وهم يواجهون سيلا طاميا ابتدأ غزوه منذ بدأ عصر الترجمة العربّية الحضارية قبل أكثر من ألف عام، وجعل يتسع اتساعا لا يعرف الحدود ما تقدم الزمان، ووقف الإنسان على معارف جديدة ما فتئت تتدفق عليه في ميادين الحياة في كليات الأمور وجزئياتها، وفي معاني الأشياء وصفاتها، فكانت الحاجة شديدة ملحة إلى الإجابة عن هذا السؤال وما يتولد عنه: هل في العربّية ألفاظ تقابل اللفظ الأجنبي المستحدث؟

فإن لم تكن فهل نصنعها؟ أم نكتفي بإدخال الكلمة الأجنبية نفسها دون أن تتكلف عناء البحث ومشقة الاصطناع؟»[2]

على كل وأيا كانت طريقة احتواء هذا الأجنبي، فإن سنة الاختلاف تطاله «إن اختلاف النظرة إلى الأعجمي في عصرنا الحديث يعني اختلاف المعيار في باب واسع من أبواب الخطأ والصواب، فما يراه المانعون خطأ من هذه الألفاظ يراه المبيحون صوابا»[3].

«فنجد مثلا: موتور بدل محرك، وسشوار بدل منشف، وكولونيا بدلا من عطر... مع أن كل هذه الكلمات كما نرى أوجدت لها المجامع اللغوية العربّية أسماء مقابلة في اللغة العربّية الفصحى، وتثبتها في القواميس العربّية»[4].

وهذا الدكتور أحمد بن نعمان من المعلوم عنده أن المفردات الجديدة يمكن أن تدخل إلى اللغة العربّية عن طريق إحدى الكيفيات التالية:

---

[1] – ينظر: محمد ضاري حمادي المرجع السابق ص 254

[2] – محمد ضاري حمادي المرجع السابق ص 279

[3]

1-التّعريب: وهو نقل كلمة أجنبية إلى اللغة العربّية بلفظها مثل: كلمة سينما أو تلفزن أو راديو... أو إلكترون أو نيوترون.

2-الترجمة: وهي إبدال كلمة أجنبية بكلمة عربية تؤدي نفس المعنى أو نقل معنى أو أسلوب من لغة أجنبية إلى اللغة العربّية كترجمة السكة الحديدية والقطار وسيارة الإسعاف والكهرباء.

3-الاشتقاق: وهو إذا لم يوجد للكلمة الأعجمية مقابل في العربّية يستق لها لفظ عربي كالسيارة والطائرة والمدمرة والمدفع والغواصة والنفاثة.

4-النحت : وهو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة كالأفرو أسيوية والرأسمالية والفلسفة والفسلجة والرسكلة...

5-التوليد: وهو إدخال ألفاظ جديدة إلى اللغة العربّية لم يكن لها وجود في اللغات الأخرى مثلما وقع في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية عندما كان العر ، يخترعون الأشياء فكانوا يولدون لها الألفاظ مثل: الجبر والكحول واللوغاريتم...

والجدير بالذكر أن علمية التّعريب ونقل الفنون والعلوم إلى اللغة العربّية ليست بنت القرن العشرين، وإنما كانت دأب العرب منذ مجد حضارتهم، وظلت تعاود الظهور وازدادت إلحاحا في العصر الحاضر.[1]

الفصل الثالث

اللغة العربية و إشكالية المصطلح

" إن العربي الذي يقرأ
كتابا بلغته الأم يبذل
مجهودا واحدا لفهم مضمونه
و لكن من يقرأ كتابا علميا
بلغة أجنبية يبذل مجهودين:
أحدهما لفهم اللغة لفظا
وعبارة وآخر لفهم المضمون"

- د. شحاذة الخوري -

1- العربية و الفكر العربي.

2- الفكر العربي والفكر الوارد.

3- الإستشراق و الإصطلاح.

١- العربيّة والفكر العربي :

أ- *خصائص اللّغة العربيّة* :

تتفرع اللّغة العربيّة الحالية من اللّغة السامية وتمتد بتاريخها إلى قرون عديدة قبل ظهور الإسلام ولكن إذا كانت لها نظيرات عديدات من اللغات التي تشترك معها في الأصل السامي، فإنها تميزت بتغلبها على تلك اللغات جميعا بالمحافظة على أقوى الروابط التي تصلها باللّغة الأصل، ويرجع ذلك إلى بقاء العربيّة في حالة عزلة — شبه تامة- في الجزيرة العربيّة، وظلّت إلى حين الدعوة المحمدية غير ذات صلة قوية بالعالم الخارجي، وبعد انتشار الإسلام الذي كانت أقوى وسائل تبليغه للشعور المختلفة، عرفت هذه اللّغة أول احتكاك فعلي باللغات الأجنبية وكان من المفروض أن تتأثر تأثرا يصل إلى درجة الذوبان فيها.

لما كانت عليه تلك اللغات من رقى في ذلك الوقت، كالفارسية والقبطية والرومانية، إلا أنها لم تتأثر بأكثرها بل أثرت هي في تلك اللغات الراقية مع المحافظة على بناياتها بكيفية تبعث على الاستغراب لولا معرفة السر في ذلك، وهو ارتباطها بكلام الله المقدس الذي حفظها كما حفظته، وجعلها تؤثر ولا تتأثر إلا بالقدر الذي لا يمس جوهرها وبنياتها الأساسية، على الرغم من الصراعات العنيفة التي وقعت بينها وبين تلك اللغات التي كانت سائدة في البلدان المفتوحة.. وقد أكد هذه الحقيقة أحد العلماء الألمان بقوله:«إن العربيّة الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنها قامت في جميع البلدان العربيّة وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي رمزا لغويا بوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، ولقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربيّة الفصحى عن مقامها[1].

فلغتنا العربّية سر اتصالنا ولسان وحي نبينا، وثروتنا الرسمية الإسلامية، مفروض علينا نشرها وتعليم غيرنا أن ينشرها[1].

كما يؤكد ذلك الدكتور عبد الوهاب عزام بقوله:«إن العربّية لغة خالدة أنضجها الزمان المتطوع في البقاع الشاسعة من الجزيرة العربّية، وأخرجتها الفطرة السامية والإحساس المرهف والإدراك النافذ لغة كاملة معجبة عجيبة تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطوات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ ونبرات الحروف، وكأنّما الكلماتها نبضات القلوب ونبرات الحياة، فالمعاني المحسة والمعقولة مبنية في ألفاظ تدرك المفروق الدقيقة بين الأشياء المتشابهة، فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته لشبيهة إدراكا للفرق الدقيق بينهما»[2].

فاللّغة العربّية بمثابة كائن تاريخي تعود جذوره للماضي المتين، تحتوي أحشاؤه على بقايا ثقافات اندثرت ومواريث وأعراف، وتنحصر فيه- ولو بدرجات متفاوتة- كل العاميات والخلجات والأشواق وكل الآداب والعاميات والشفويات وآمال سائر الفئات الاجتماعية ومصالحها، ويتميز هذا الكائن بالحيوية الشديدة والمرونة وهو في نفس الوقت يستعصي على القبض والضبط والإمساك[3].

«فقد استمرت لغتنا العربّية محافظة على جوهر كيانها من حيث: اللفظ وقواعد التركيب والبني، ولكنها في الوقت ذاته حافظت على خصائصها في الحياة والنمو

---

[1]- ينظر: محمد الغزالي المرجع السابق ص 193

[2]- د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 117

[3]

والتطور، فالعربّية لغة حية نامية ومتطورة من حيث دلالات الألفاظ واستيعاب المعاني الحضارية الجديدة بل وأساليب التعبير أيضا»[1].

ونخلص إلى القول بأننا إذا ما تأملنا اللّغة العربّية فسنجدها انعكاسا صادقا لنوعية الحضارة العربّية الإسلامية الماضية والسائدة، فهي تتميز بالتفوق في المفردات الكثيرة والعبارات الجميلة المسبوكة المعبرة عن العواطف والمجردات والعبادات.[2]

والشّيء المهم الذي يجب أن نركز عليه أو ننتبه إليه هو كون أن لغتنا تتميز بعدة مميزات تفرق بينها وبين سائر اللغات ومن أبرز هذه المميزات ارتباطها مع القرآن الكريم مما جعلها تثبت ولا تندثر مثل العديد من اللغات التي غابت مع التاريخ.

وما دام نظامنا الديني، لغويا يشع باللّغة العربّية والفصاحة فحتما أنه تأثر بها وأثر فيها، كما أثر في النظام الاقتصادي وتأثر به، وخير دليل على ذلك أنها الركيزة الأولى والمهمة التي تدعم الدين الإسلامي وتساهم في نشره كما ينشرها هو ونجده يفرضها اللّغة على الألسن لكونها لغة تأدية شعاره من صلاة ودعاء وأداء لمناسك الحج. ويبدو ذلك جليا فيما أدخله هنا الدين من مفردات جديدة إليها وما أحدثه القرآن الكريم من أثر في الأدب العربي أسلوبا ومضمونا لدى مختلف الأدباء والشعراء والكتاب[3].

ونجد الدين يضفي على اللّغة سمات أصبحت أساسية فيها من قبيل التسوية بين الشعوب المسلمة والتوحيد بين صفوفها، إذا تخلط العرب بغيرهم وظهروا كشعب واحد.

---

1 – عبد الكريم خليفة المرجع السابق ص 34

2 – [illegible] 62

«كما أن الأمم الأخرى نشطت إلى إجادة العربّية والمهارة في كتابتها والنطق بها، ولما كانت العروبة تعني اللسان لا الدم، فقد أضحى كل متكلم بالعربّية عربيا، دينا وجنسا، وضارع العرب الأقداح في كل شيء، بل سبقهم بتفقه العلمي فأمهم في المساجد، ودرس لهم علوم الكتاب والسنة، وبدا –في أيام التابعين ومن بعدهم– أن الأعاجم سادوا العرب في تلك الساحات المفتوحة ... بل إن الجماهير ما وجدت أي حرج في إقرار هذا الوضع، فإن التعصب للعرق لا يعرفه الأتقياء، وسمة الإنسانية العامة الشائعة في الكتاب والسنة جعلت الفاتحين عسكريا يذوبون في البلاد المفتوحة، وصار الكل عربا مسلمين لا فرق بين أصيل ودخيل...»[1] كل هذا بين لنا أن اللّغة العربّية لغة مميزة حقا.

«ونحن إذا ما تجاوزنا جميع اللغات القومية من حيث هي لغات، ووقفنا عند اللّغة العربّية، وجدنا أنه ينطبق عليها ما ينطبق على لغات بني البشر ولكنها تمتاز عنها بميزتين أساسيتين لا تشاركها فيها لغة في العالم.

الأولى: أنها لغة القرآن الكريم رسالة الإسلام الخالدة، ودستوره الأبدي.

والثانية: الصلة الوثيقة بين حاضر الأمة وماضيها»[2] .

غير أنه لا يمكننا تحديد اللّغة وربطها بهذه المميزات فقط إذ هناك العديد منها مما سيلي ذكره ومن أهم القضايا التي جاء بها الكر ملي وتعرض لها في سعة اللّغة العربّية وقدرتها على العطاء فيقول :«إن لسان العرب فوق كل لسان ولا تداينها لسان أخرى من ألسنة العالم جمالا ولا تركيبا ولا أصولا» وقال أيضا «وأما الصيغ العربّية فهي أوسع ميدانا من الأوزان ولا نظن أن في العالم بغت تعددت فيها الصيغ كما تعددت في لغتنا»[3]

1– محمد الغزالي المرجع السابق ص 194

2 [illegible]

ولا شك أن سعة اللّغة هذه ستتيح لنا العثور على مصطلحات فنية في اللّغة سهلة وميسورة تغطينا أدق المعاني وأجملها تناسقا وألفاظا، تفي بالغرض، وقد واجهت اللّغة العربّية أصعب الادعاءات والطعون ومن ذلك ما قالوه حول عدم سعتها وأنها لا تحوي كل المعاني، وقاصرة على أدائها جميعها ونسبوا ما تفوه عنها للغات الإفرنجية، ويقول محمود شكري «وقد سمعت من لا خلاق له من الناس أنه أدعى أن لغات الإفرنج اليوم أوسع من لغة العرب بناء على احدث فيها من الألفاظ وضعوها لمعان لم تكن في القرون الخالية والأزمنة الماضية.

فضلا عن أن تعرف العرب فتفوه به أو تتخيله فتنطق به، ولا يخفى عليك أن هذا كلام يسعر بعدم وقوف قائله على منشأ السعة، وأنه لم يخض بحار وفنون اللّغة حتى يعلم أن المزيد من أين حصلت، وأما من ذكر من أن مفردات العربّية غير تامة بالنظر إلى ما استحدث بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الأولين فهو غير مشين على العربّية إذ لا يسوغ الواضع للغة أن يضع أسماء المسميات غير موجودة وإنما الشين علينا الآن في أن نستعير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا» وخلاصة ما قال في العربّية :

1-إن اللّغة العربّية واسعة تستوعب ما استجد وما لم يستجد.

2-إن دعوى القائلين بسعة اللغات الأجنبية تدل على أنهم لم يخوضوا بحار اللّغة ولوري أو ماراه اليوم لوضعوا له أسماء خاصة ناصة.

3-إن اللوم يقع علينا فقد ورثنا العربّية ورأينا المستحدثات ولكننا لم نضع لها أسماء على النسق الذي ألفته العرب.

4-إن صوغ اسم المكان والآلة مطرد في كل فعل ثلاثي ولذلك نستطيع أن نصوغ من الأسماء ما شاء الله.

5-إن الدخيل في العربّية يغض عنه إذا لم يوجد في أصل اللّغة ما يراد فيه أو لم يكن

6-إن النطق بالحروف الأعجمية كالباء والكاف الفارسيتين غير مقبول.

7-إن النحت باب من أبواب التوسع وصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ الأعجمية[1].

«وإن نظرة سريعة على خصائص اللّغة العربّية، تبين لنا أسرار حيويتها وكنه طواغيتها لاستيعاب كل ما يجد من معارف، فأسرار حيويتها كامنة في خصائصها الذاتية فالمجاز والاشتقاق والنحت الإبدال والتعريب والقياس هي من جوهر اللّغة ومن خصائصها الذاتية فهي الروافد الأساسية التي تمدها بالألفاظ المناسبة للمعاني المستجدة في كل زمان ومكان، وإن كل لفظة تأتي من أي رافد من هذه الروافد تكتسب الشرعية في عروبتها»[2].

ولو انطلقنا من جانب فقه اللّغة فسنجد هذه اللّغة تتسم بالعديد من الخصائص —كما قلنا سابقا– الجوهرية التي تؤكد عالميها، ومن أهمها، التزامها بالقاعدة الذهبية فيما يخص التوسط والتوازن اللغوي فاللّغة العربّية جمعت بين العديد من خصائص لغات مختلفة على مستوى جميع الفروع اللغوية بتوازن دقيق وتآخ محسوب بين فروع اللّغة المختلفة.[3]

«وقد تحدث الكثير من العلماء العرب والمستشرقين عن خصائص اللّغة العربّية ومميزاتها وعيوبها بين اللغات العالمية، ومن بين هؤلاء الأستاذ أحمد أمين، الذي يقول:«إنها أرقى اللغات السامية كما يقول دارسو تلك اللغات، فلا تعادلها الآرامية ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي، وهي كذلك أرقى لغات العالم فهي تمتاز حتى عن اللغات الآرية بكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها... وما فيها من مجاز وقلب وإبدال ونحت هو الذي مكنها من أن تكون لغة القرآن والحديث، وما فيهما من معان حتى

---

1 – د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 77-78

2 – عبد الكريم خليفة المرجع السابق ص 41

منتهى السمو والرفعة، وما فيها من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم، كما استطاعت فيما بعد أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم... وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة بالعربيّة والعرب الذين لم يكونوا يعلمون شيئا من مصطلحات الحساب والهندسة والطب ولا شيئا من منطق أر سطو وفلسفته أصبحوا في قليل من الزمن يعبرون عن أدق نظريات إقليدس ونظريات بطليموس وطب جالينوس وحكم بزر جمهر»[1].

«ويكاد يجمع الباحثون في اللغات السامية (وأقواهم العربيّة) على أنها تنفرد بخصائص تميزها عن كافة اللغات الأخرى ومن ذلك:

1-تتميز العربيّة بأن غالبية كلماتها ثلاثية الأصل، يضاف إلى أولها أو آخرها حرف أو أكثر فتتغير دلالات اللفظ تغيرا جذريا.

2-وتتميز العربيّة بأبرز خاصية بين اللغات وهي الاشتقاق، وهو على أنواع مختلفة، تصل إلى عشرات الكلمات المشتقة من فعل واحد، فنحن نستطيع أن نشتق من فعل (علم) مثلا: معلم،ومتعلم، وعالم، وعلامة، ومعلومة، معلمة، مستعلم، ومتعالم، كما نشتق عن الأسماء ذاتها كقولنا: إست رجلت المرأة أي أصبحت تشبه الرّجل وهذا التشابه الملاحظ في اللّغة العربيّة له فوائد جمة في عمليات التعلم، لأن معرفة معنى كلمة واحدة من الكلمات المشتقة من أصل واحد يمكننا من الفهم التقريبي لمعظم الكلمات الأخرى.

3-ويلاحظ في العربيّة وجود انسجام وتناسق صوتي بين الكثير من الألفاظ ومعانيها، ومن ذلك إننا نجد الكثير من الألفاظ الدالة على صوت أو فعل تشابه أصواتها

أصوات الظهر التي تعبر عنها في الطبيعة مثل: الولولة، والقهقهة، والدندنة، والمهلمهة، والتأوه، والتأفف...

4-التعويض: وهو إقامة كلمة قام كلمة بنفس الوظيفة كإقامة المصدر مقام الأمر والفاعل مقام المصدر مثل:«ليس لوقعتها كاذبة» والمفعول بمقام المصدر مثل «بأيكم المفتون» أسم الفاعل مقام أسم المفعول كقول الشاعر الخطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فأنت الطاعم الكاسي»[1]

ومن ذلك يتبين لنا أن العربّية تحتوي على رصيد لغوي هائل. وذلك ما ذهب إليه "الرازي" حيث جعل الرصيد اللّغوي في أقسام وهي:

1-إما قديمة موروثة، وهذا يقابل ما نشير إليه بالشطر المستمر من الدلالات.

2-وإما جديدة، تضاف دلالتها وإن لم تكن حادثة أي أنها تحتمل زيادة في المعنى أوتطويرا بالتخصيص أو بالنقل وكانت صيغها مستعملة من قبل في دلالات أخرى.

3-وإما جديدة في صيغتها ودلالتها، وهي من البنية الصرفية العربّية.

4-وقد تكون الكلمات محولة ومكتسبة من اللغات الأجنبية «على أن تستوعب وتتمثل بوضعها في قوالب صرفية معتمدة»[2].

و في إطار هذا التناسق الجميل بين الألفاظ والعبارات التي تحتويها لغتنا نستطيع القول بأنها لغة التحضر والتمدن، فهذا "مصطفى صادق الرافعي" يقول "«وإن من أقصى شروط التمدن الاجتماعي: الحرية و النظام والنمو وهي التي تتخلف عن معانيها الاجتماعية آثار المدنية التي تدل على حضارة الأمم الخالية كالأبنية والمخلفات الأدبية والعلمية والفلسفية، ثم الثروة الاعتيادية التي تدير حركة العمران من التجارة والصناعة والزراعة، ثم الشرائع، وهذه الشروط هي كذلك من أخص مميزات اللّغة العربّية فهي

حرة في أوضاعها بما يطابق الحرية الشخصية والسياسية، منتظمة في أجزائها بما يماثل نظام القوانين و الشرائع، حتى أمكن أن يحصى منها كل كلمة جاءت شاذة في بابها نامية في مجموعها، بما فيها ثروة الأوضاع التي تكافئ معاني الاقتصاد السياسي، وعلى أتم وجوهها»[1]

وباختصار نقول أن اللّغة هندست العقول وكيفتها فهي تعبر عن الحياتين المادية والروحية وتطبع كلا منهما بطابعها الخاص، كما أنها جانست بين سكان القارات الثلاث وخلقت منهم خلقا متجانسا ذا طابع واحد خاص وفريد[2].

ب-اللّغة العربّية والحياة الفكرية:

«لقد رأى زكي الأرسوزي أن العبقرية اللسانية العربّية هي جوهر العبقرية العربّية ذاتها باعتبار اللسان حاملا لكل مكونات الهوية»[3] فإلى جانب الصراع الحضاري المادي الذي تعرفه الأمم يسير صراع حضاري فكري، إذ اللّغة المتكلمة الثابتة النحو القواعد ذات الأساليب المختلفة في التعبير تغلب على غيرها، فإما تحمل اللغات الأخرى وتجعلها لغات محلية وتصبح هي لغة عالمية، وإما تدخل في صلب اللغات الأضعف منها وتغزوها بألفاظها وتعبيراتها وعروض شعرها وبحروف كتابتها في الكثير من الحالات، وقد أنتقل قصب السبق في هذا الصراع اللغوي من أيدي المصريين القدماء إلى السورية والسريانية ثم الإغريقية ثم اللاتينية، فسادت كل منها لغات عصرها وفرضت ثقافة أهلها على البلاد الأخرى، ومن الواضح أن الصراع اللغوي لا يمكن أن يكون غزوا

---

[1]- د. أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 117

[2]- ينظر: زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة وحققه وعلق عليه: د.فؤاد حنين علي الجزائر قسنطينة مكتبة رحاب، دط 1986 ص 273

[3]- د. رضوان السيد [illegible]

لغويا فقط، لأن اللغات ألفاظ وعبارات، والألفاظ والعبارات تحمل الأفكار والآراء والعقائد، وهذا هو الميدان الأوسع للصراع الثقافي، لأن الأفكار والآراء والعقائد هي التي تسير التاريخ.

وما حدث عند قيام الإسلام وخروج العرب من جزيرتهم لنشره في نواحي الأرض هو أبرز مثل لغزو ثقافي فكري، فقد قامت الدعوة له على أساس القرآن، والقرآن جاء بلسان عربي مبين، فانتشر الإسلام وانتشرت اللّغة العربّية معه، والإسلام عقيدة شاملة جامعة لأمور الدين والدنيا[1].

«وهو آخر رسالات الله إلى البشر، ورسالة الله إلى البشر في صممها واحدة، وقد جاء القرآن حاملا للبشر نص الرسالة الإلهية في آياته فلقيت هذه العقيدة القبول الواسع في كل مكان وصلت إليه، واتجه الذين آمنوا بها إلى قراءة القرآن فكان لابد أن يتعلموا العربّية، والعربّية لغة كاملة، خرجت إلى الدنيا —خارج الجزيرة–مكتملة النمو بنموها وصرفها وبلاغتها وكتابتها أيضا، فغلبت على غيرها من اللغات لأنها لغة القرآن أولا، ثم بفضائلها الذاتية ثانيا، فأصبحت لغة الناس في العراق والشام ومصر والأندلس، وقرب نهاية العصر الأموي كادت اللّغة العربّية تقضي تماما على كل اللغات التي كان الناس يتكلمونها في إيران، ولكن الفتن التي قامت بين العرب في إيران، ثم قيام الدولة العباسية على أكتاف عرب خرا سان، وانتقال معظم هؤلاء إلى العراق جعل عدد العرب الباقين في إيران قليلة لا تكفي لإحداث التعريب الشامل، لأن العرب هم حميرة التعريب، ومن دون عرب فلا تعريب، وبينما ظل عرب مصر في مصر وعرب المغرب في المغرب، وعرب الأندلس في الأندلس فصارت اللّغة العربّية لغة أهل البلاد جميعا، توقفت عملية التعريب في إيران، وعاد الناس إلى لغتهم الأولى وقبسوا من العربّية

حروفها وأخذوا من ألفاظها ألوفا، وأخذوا كذلك أساليبها البلاغية وعروض شعرها،وعلى أساس هذا كله قامت اللّغة الفارسية السارية إلى اليوم في إيران»[1].

ومع الإسلام واللّغة العربّية أخذت الشعوب التي استعربت تقاليد العرب وأخلاقهم وعاداهم وأمثالهم وأساليب تفكيرهم، فأصبحوا مسلمين وعربا في نفس الوقت، وهذا أكبر مثل للغزو الثقافي عرفه التاريخ، فإن ثقافات هذه البلاد كلها — وكانت عريقة وأصيلة– تلاشت مع لغاها أمام الإسلام والعربّية... ومع ذلك فإن العرب لم يضعوا أي سياسة لنشر العربّية، بل كان القرآن الكريم هو دافع الناس الأكبر إلى تعلمها، ثم تكفلت اللّغة العربّية ببقية التحويل اللغوي بفضل ما امتازت به من فضائل داخلة في صلبها وتركيبها وقد ذكرناها، أي أن الغزو الثقافي هنا كان في الحقيقة عملية انتشار ثقافي: ديني متمثل في الإسلام والقرآن، ولغوي فكري متمثل في انتشار اللّغة العربّية وكتابتها وآداها شعرا ونثرا[2].

«فالحديث عن اللّغة لا ينفصل عن الحديث عن دالة الفكر العربي»[3]. ففي العصر العباسي–وقبله– لم يعجز العرب عن نقل المعارف البشرية للشعوب السابقة والمعاصرة لهم،ولقد اغتنى الفكر العربي بها كما أغنى العالم بعد ذلك بما طوره منها وبما اكتشفه من علوم ومعارف[4].

وكما يقول أحدهم:«إن العربّية لم تخدم مدنية خاصة بأمة، وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة مدنية الخير العام و النفع العام و لم تخدم علما خاصا بأمة، وإنما خدمت

---

[1]– رايموند ويليامز، المرجع السابق ص 63

[2]– المرجع نفسه ص 64

[3]– مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 190

[4]– [illegible]

العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة، ومن يستقرئ خاصة هذه اللّغة لعلم الطب وحده يتبين مقدار ما فاءت هذه اللّغة على البشرية من خير ونفع»[1] وهذا الصافي يتحدث عن اللّغة فيقرن بها ارتقاء الأمة و تطورها أو سقوطها وتدهورها سواء فكريا أو عقائديا:«فإذا أردت أن تعرف مبلغ كل أمة من العلم والصناعة والتجارة والسياسة وغير ذلك من أحوالها الاجتماعية فانظر في لغتها فإنك تعرف بها مبلغها من ذلك كله، وذلك لأن اللغة تابعة في أطوار أهلها المتكلمين بها، فإذا ارتقى أهلها في العلوم والفنون كانت لغتهم بالضرورة مشتملة على مصطلحات تلك العلوم وإذ أكان أهلها راقين في الصنائع كانت لغتهم مشتملة على كل ما يتعلق بتلك الصنائع من الكلمات، وبالجملة فهي تلو حالتهم الاجتماعية وتبيع ارتقائهم في مد ارج المدنية، فأينما تقدموا تقدمت معهم وحيثما تأخروا تأخرت معهم»[2].

«وكما أن المستوى الاقتصادي والعقلي الاجتماعي للإنسان في عصرنا الحالي يتطلب امتلاك السيارة والتلفزيون، فإن المستوى العربي فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر كان يقاس بالمكتبة الخاصة»[3]، فمقياس الرقي الفكري والرفعة الثقافية والحضارية كان حجم المكتبة الخاصة التي يملكها كل فرد، فكان السعي حثيثا في تحصيل الكتب كلما كانت الفرصة متاحة لذلك،والحال حال أهل هذا الزمان في التسارع نحو تحصيل منتجات الحضارة الحديثة، أما إذا أردنا الحديث عن الحضارة:« فكل بلاد العروبة تسير في طريق تحديثها قدر ما تيسر لها، ولكل بلاد العروبة مجتمعة تراث حضاري ضخم، ولكن التقدم العلمي البعيد المدى السريع الخطى خلال العقود الثلاثة الماضية يجعل هذا التراث العلمي القديم أبعد فأبعد عن مفهوم العلم الذي نطلبه لننهض به..»[4].

---

[1] – المختار في الأدب والنصوص الثالثة ثانوي المرجع السابق ص 274

[2] – د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 103

[3]

والنهضة مفهوم أو مصطلح سميت به مرحلة اليقظة العربّية التي أعقبت إجهاض تجربة محمد علي انطلقت من الفجوات التي خلفتها هذه التجربة وحاولت أن تعيد لحم عناصر الجماعة العربية من خلال الفكرة والإيديولوجية الاصطلاحية والأدبية، وقدمت مساهمات كبرى في هذا المجال سواء ما تعلق منها بتجديد أسس العقائد الدينية أو تجديد الآداب واللّغة العربّية.[1] «ولعل أهم الأحداث الفكرية التي شهدها مستهل القرن العشرين في الربوع العربّية إقبال العلماء والمفكرين العرب على تدبر التراث العقلي والفلسفي القديم وإحيائه وتدارسه، بعد انقطاع صلتهم بذلك التراث طوال قرون عدة، فبينما شهد القرن التاسع عشر قيام نهضة فكرية استهدفت إحياء الأدب واللّغة العربيين، كان روادها إبراهيم الحوراني وناصف اليازجي وبطرس البستاني وجرجي زيدان، اتصفت النهضة الفكرية في القرن العشرين بطابع عقلي أوسع مدى وأبعد غورا، فالتراث الأدبي واللغوي الذي كان من مفاخر العرب لم يكن إلا الإطار الشكلي الذي عبر العرب من خلاله، قديما وحديثا، عن أهم شجونهم العقلية والروحية لذا كان من الطبيعي أن تمهد النهضة الأدبية للنهضة الفكرية، وأن يعمد العرب إلى معالجة شؤون الفكر والروح معالجة رصينة، مستوحين تراثهم الفكري القديم أولا، وما ضن قدما بالحياة الفكرية في شتى أشكالها ثانيا»[2].

فالمجتمع العربي يشهد اليوم أكبر مراجعة فكرية، تبرز في الجرأة على طرح موضوعات جديدة أو في العودة إلى طرح المسائل الكبرى التي طرحت في عهد النهضة الأولى، وتعبر عن حاجة الفكر إلى أن يعيد فحص مفاهيمه كخطوة أولى على طريق إعادة تأسيس نفسه كفكر فاعل وإيجابي[3].

---

[1] -ينظر: برهان غليون المرجع السابق ص 6

[2] -

ثم يساوي ذلك من حيث الأهمية ضرورة إعادة قراءة التراث اللغوي العربي من منظور حديث، يقول د.نبيل علي :«نريد أن نرى بلاغة الجرجاني وقد كشف عن مكنون "أسرارها ودلائل إعجازها" بوضعها تحت مجهر الدلالة الصورية القائمة على الرياضيات المنطقية، ونتوق كذلك إلى مقارنة يعقدها بعضنا ما بين فكر سيبويه المعتزلي، وفكرنا اللغوي الحديث ذي الطابع الانعزالي»[1]، ويثني الغزالي «إن الآداب العربّية التي نريد إحياءها هي نماذج من صميم التراث العربي الأصيل، تمتاز أولا بأنها هتاف فطر صافية عالية، والإسلام دين الفطرة، وتمتاز ثانيا بأنها بناء بلاغي محكم يعين على بقاء اللّغة سليمة الأداء، رفيعة المستوى، وأخيرا فهي تربط عصرنا بأصوله، وتجعل حاضرنا امتدادا له»[2] .

فاللّغة ليست رابطة بين جيل من أبناء الأمة الواحدة فحسب، و إنما هي العامل الأساسي للترابط بين أجيالها السابقة وأجيالها اللاحقة، فيها تحفظ علومها وآدابها وبواسطتها تتوارث ثقافتها[3].

ولعل من الغلاة من رأي ويرى اللّغة العربّية وقفا على العلوم الدينية والثقافية القرآنية ووضعها وسط هالة من التقديس تجعل من درجها في ميادين العلوم العقلية وغيرها من أقبح الأمور، وفي المقابل نجد من يحفز شأنها ويجعلها قاصرة عن الإيفاء بحاجة العلوم اليوم وحصر دورها فيما شابه الزوايا والكتاتيب، وفي هذا الشأن يقول محمد أركون:«لم تعد ثقافتنا الحديثة بقادرة على الانغماس في هذا الجو الذي تعتبره جوا سحريا وخرافيا ولا واقعيا ولا عقلانيا وخياليا وعجائبيا مدهشا ومختلقا وأسطوريا (بالمعنى غير الأنثروبولوجي للكلمة)، وكل هذه المفردات التي عددتها تعبر عن رفض ثقافتنا لتلك العقلية التي سادت أزمانا طوالا، وتعبر عن احتقارنا لها وابتعادنا عنها بدلا

---

[1]—د. نبيل علي المرجع السابق ص 248

[2] [illegible]

من أن تحاول تفهمها ودمجها داخل المعقولية الواسعة والمتفهمة: أقصد المعقولية القادرة على احتضان واستقبال كبيانية الوقائع والظواهر البشرية الممكنة التحليل والدرس، أي بدلا من رفض التقليد بين واحتقار تصوراتهم الأسطورية ينبغي أن نستو عبهم ضمن المنظور الواسع المعقولية الحديثة»[1].

أما الفكر النقدي فيصاب بالشلل من جراء هذه "القيم" المعنوية والدلالية والبلاغية التقديسية للغة الوحي، ولهذا السبب —يقول "أركون"— أنه ينبغي على الباحثين المثقفين العرب أن يقوموا بالاشتغال البطيء والصعب على المفاهيم والمصطلحات داخل العربّية بالذات، وذلك قبل استخدامها من أجل نشر فكر علمي حديث[2].

وعلى هذا تبقى اللّغة العربّية مع الحياة الفكرية عامة والعربّية خاصة في حركة مد وجزر: صلاح الفكر من حيث إصلاح اللّغة، ونماء اللّغة من حيث تطور الفكر.

ج—*اللّغة العربّية والعلوم*:

«واللّغة —أي لغة—لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين، ولا أن تستقل استقلال الحي، لأنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والأغراض لا تنتهي، والمعاني لا تنفذ، والناس ليمكن أن يعيشوا خرسا وهم يرون الأغراض تتجدد، والمعاني تتولد، والحضارة تهديهم كل يوم بمخترع، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلحات لفظية على الأقل، لأنها كائن اجتماعي حيّ، وتطورها هو الأصل التجريبي لفهم سير الحياة بالكائنات على اختلافها...»[3]. هذا الأصل معروف في اللّغة العربّية التي ظلت اللّغة العلمية الأولى، إذ

---

[1]- ينظر: محمد أركون الفكر الإسلامي المرجع السابق ص 94

[2]- ينظر: المرجع نفسه ص 16

كانت لغة العلوم والتكنولوجيا والطب طوال تسعة قرون من الدهر على الأقل،«أفلا يسعى العرب اليوم، إذا قصرت بهم همهم عن أن يكونوا قادة العالم سياسيا –كما كانوا– أن تكون لغتهم على الأقل في مستوى اللغات العالمية الكبيرة حتى تتخلص من الطفيليات التي تعلق بها، هنا وهناك، ومن هذه اللهجات التي لم تنشئ قط حضارة، ولا قادت إنسانية، ولا أشعت بدين، ولكن بشر بها مستعمرو الأمس ليبثوا الشقاق وسوء الأخلاق بين الشعوب التي كانت أبليت باحتلالهم، لتتمزق هي، من حيث يتفرجون هم عليها، ويتشفون منها، كميا تسود لغاتهم وحدها»[1].

وقد كانت هذه اللّغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظالمات الجهل هي اللّغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته «وكان الإنسان العربي فاعلا ومنفعلا معها في علمه وثقافته وإنتاجه الفكري، وعندما فقد هذه المكانة فقدت لغته مكانتها العلمية إذ أن اللّغة أداة تعبير وليس لها أن تتقدم وتشيع بين لغات العالم إذا لم تتقدم العلوم التي تعبر عنها ويتقدم الشعب الذي أتخذها آداه للتعبير»[2] فقد تطورت العربّية بمفرداتها ومن بينها ما وضعته لمصطلحات العلوم وما عربته منها، وبأساليبها وفنون التعبير بها وبعلومها وما أدت إليه من تأصيلها وكشف القواعد التي تتحكم بها نحوا وبلاغة ونظما ونحتا، فكانت بجميع ذلك وعاء صان المعرفة الإنسانية بفلسفتها وعلومها تفاعلا مع السابق لها، وإبداعا في مجالاتها، وإبلاغا لمن تلاها[3] فإذا قصرت عن العلم الحديث فلأننا نحن المقصرون وإن واكبته فلأننا واكبناه، وإذا الحق الذي لا جدال فيه أن اللّغة هي الإنسان الناطق بها فلا يمكن أن نتقدم وتقصر لغتنا وأمامها أبواب الوضع والاشتقاق والتوسع و المجاز والتعريب والاستعارة[4] مما يثبت أنها غير عاجزة عن

---

[1]– د.عبد الملك مرتاض المرجع السابق ص 29

[2]– د. عادل البكري، المرجع السابق ص 146

أداء دورها الحضاري، وأن العجز في أبنائها الذين ساروا في طريق التفرنج وناموا في ظلال الكسل واعتمدوا على ما يقدمه الأجنبي[1] .

إن الركود الذي ساد المجتمع والفكر العربيين طال اللّغة أيضا كما لا يخفى على ذي لب، لذا فليس من الغريب أن لغتنا العربّية في مرحلتها الحالية لتطورها لا يزال ينقصها التعبير العلمي المناسب من أجل نقاش بعض الأطروحات الحديثة الرفيعة إن حالة اللّغة تعكس مدى تطور الفكر وبالتالي لابد من إدخال كلمات جديدة للتعبير عن مفاهيم جديدة[2] «وهنا نطرح تساؤلات كثيرة، حول قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والتقنيات الحديثة، وفي مدى استعدادها لكي تكون لغة العلم والحضارة... بل وتطرح تساؤلات كثيرة حول المشكلات التي تواجه اللّغة العربّية، في مجال استيعاب المفاهيم والمصطلحات العلمية والتقنية الحديثة التي تتدفق متسارعة يوما بعد يوم في عهد الذرة والأقمار الصناعية.

لاشك أن بعض هذه الأسئلة تجاوزها الزمن، ولاسيما تلك التي تنصب على مدى صلاحية اللّغة العربّية من حيث هي لغة، لكي تكون لغة العلم والحضارة، فقد خاضت لغتنا هذه التجربة في تاريخها الزاهر... فاستطاعت أن تستوعب حصيلة ما وصل إليه الفكر الإنساني إذ ذاك»[3] فما بها اليوم تبرز من بين مشكلات العلوم الحديثة إشكالية وضع مصطلحاتها في العربّية؟ ولقد بذلت جهود محمودة في هذا السبيل دلت على كفايتها باستيعاب هذه المصطلحات بوضع ما يقابلها، من بين من نهض بها المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد، ولكن تلاحظ الحاجة إلى تنمية الاتفاق في أساليب وضعها وضعف التنسيق بين المؤسسات المعنية بها وقلة الإنتاج إزاء تفجر المعرفة العلمية وتنامي.

---

[1] – ينظر: د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 95

[2] – ينظر: [illegible] 1990 ص 13

مصطلحاتها والعقبات القائمة في سبيل إذاعة ما يوضع منها، وإشاعة استعمادا. كما يلاحظ ضعف الحوار بين المتخصصين باللّغة العربّية والمتخصصين بالعلوم الحديثة، وحاجة كل جانب إلى الأخذ بنصيب من تخصص الجانب الآخر وتقدير أبعاده ومفاهيمه ونظرياته[1].

فعدم التعايش العلمي بين هؤلاء وأولئك أحدث تلك الفجوة الكبيرة التي أرجعها البعض إلى عجز في اللّغة ودعا إلى تركها جانبا وتناول العلوم باللغات العالمية كما يقولون، وحتى وإن سلمنا بقلة المصطلحات المعبرة عن المخترعات العصرية في اللّغة العربّية فذلك ليس تأكيدا للدعوة إلى التخلي عنها إلى لغات أخرى، وإنما هو التنبيه إلى المغالطة وتحديد مسؤولية العجز في الناطقين باللّغة، وليست في اللّغة بأية صورة من الصور، كما أنه لا يمكن أن يقال أن العربّية هي التي تحمل بذور العجز وعدم مسايرة الحضارة العصرية وهي ما هي. بما لها من خصائص قد رأينا بعضها[2] «واليوم هناك أيضا مشكلة التعريب وخلق العقل العربي العلمي بروح اللّغة العربّية التي تتكلم بها القوم»[3] لمّا كان النقص في أصحاب اللّغة، فالعلة في كيفية إعادة بعث الروح العلمية فيهم حتى يصبح التفكير العلمي عربيا، وهنا مربط الفرس وبيت القصيد، فقد أصبح اليوم هذا الأمر شغلا شاغلا للباحثين فيه والغيورين على لغة القرآن، وهذا واحد منهم يرى: «من أحسن الوسائل للنهوض باللّغة العربّية اتخاذها أداة لتدريس العلوم كلها لا لتدريس علم دون آخر، لأننا إذا درسنا العلوم المادية والإنسانية بإحدى اللغات الأجنبية لم تبلغ من التربية القومية غايتنا، ولأن الطالب الذي لا يدرس العلوم باللّغة العربّية يظل ضعيفا في التعبير عن خوالد نفسه —وكلما كانت اللّغة

---

[1] – ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 73

[2] [illegible]

الأجنبية من فصيلة اللّغة القومية كان هذا الخطر أعظم»[1] وآخر يقول:«فمن أخطر التحديات التي تواجه اللّغة العربّية هو عدم تبنيها كلغة أساسية في جميع مراحل التعليم وجميع فروعه العلمية والأدبية (أو الحضارية والثقافية) وليس من المبالغة أن نقول بأنه لم تظلم لغة في التاريخ من طرف الناطقين بها كما ظلمت اللّغة العربّية في عصرها الحاضر»[2]، لكن الخطر ليس قائما في المؤسسات التعليمية فحسب، ولو أقتصر عليها لكان الأمر أخف ضررا إنما الطامة في حياة الناس العامة، عند العامل في معلمه والتقني في ورشته والميكانيكي في مر آبه، وغيرهم لأن مدار العلوم في الميدان وفي الحياة الناس لا بين دفات الكتب.

د—العربّية والعامية :

اللّغة أية لغة —حين يستعملها أهلوها مدة من الزمان، يدرج على ألسنة الناس ألفاظا منها دون أخرى وعبارات دون غيرها، ثم إن خاصة من الناس يحتفظون باللّغة سلمية ويحافظون عليها خلاف عمتهم إذ يجري على ألسنة التغيير والتحريف، والزيادة والنقصان، يقول "حسين مؤنس":«حتى اللّغة يمسها التغير، فاللّغة اللاتينية مثلا، تخطة واختلطت بألفاظ وعبارات جرمانية وفقدت قواعدها ونحوها، ونشأ عن ذلك ما يسمى باللاتينية الدارجة... واللّغة العربّية حدث لها هذا في عصور الانحدار، ففقدت على ألسنة رجال الدولة وغيرها ضبطها وقواعدها وحلت محلها لهجة عامية، ويبلغ الأمر أن العرب أنفسهم فقدوا ملكتهم اللغوية واستعجمت ألسنتهم في عصور الانحطاط، ولهذا يسميهم ابن خلدون بالعرب المستعجمة»[3] ومن قبيل هذا التغيير الذي يصيب اللّغة والتطور الذي يطرأ على نظامها ما يتجلى في الصحافة المكتوبة أين نجد

---

[1]– المختار في الأدب والنصوص المرجع السابق ص 295

[2]–د. أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 136

اللّغة المستعملة فيها تتطور وتتغير باستمرار، فتزول كلمات وتحل محلها كلمات مستحدثة ككلمة (كوادر) مثلا التي كانت تستعمل بدلها كلمة (إطارات) وهي كلمة ما تزال مستعملة عند نافي بلاد المغرب العربي، وكذلك كلمة (وطني) و(قومي) فهما تستعملان بمعان مختلفة بين البلدان العربّية، ومثلها عشرات الكلمات التي تطورت في لغة الاستعمال بحكم التغير المستمر الذي تدور في فلكه الحياة الاجتماعية[1].

وعند كل قوم من أهل اللّغة الواحدة نجد لهجة عامية مختلفة عن التي عند غيرهم يقول برها رد:«ونجد اختلافا كبيرا لأريب في لهجات اللّغة العربّية العامية، لكنه لا يصعب عليك أن تفهمها جميعا إذا ما تعلمت إحداها، وذلك على الرغم من أتساع البلدان التي يتكلم أهلوها بها.

وقد يكون الاختلاف البلدان تأثير في اختلاف تلك اللهجات التي هي عذبة في أودية مصر والعراق الدنيا، وجافة في جبال بلاد البربر وسورية، وأعظم فرق كما أعلم هو بين لهجة المغاربة في مرّاكش ولهجة الأعراب في الحجاز...»[2] بيد أنه كما أشرنا آنفا. ما درجنا على تسميته لهجة عامية، لا تمثل كيانا قائما بذاته له قواعده وأركانه المعلومة، وإنما تمثل إهمال قواعد اللّغة الفصحى و الابتعاد عن أصولها، ولذا فهي تشكل في الوقت الحاضر خطرا جسيما على اللّغة كمقوم فكري واجتماعي للمجتمع العربي والأمة الإسلامية قاطبة[3].

لما رأيناه من آثر وحدة اللّغة على وحدة الفكر، ولعل أقرب تمثيل لفضل الفصحى على العامية ما قاله "د.طه حسين" :«الذين ينادون بإحلال العامية لسهولتها محل الفصحى لصعوبتها هم أشبه بمن ينادون بتعميم الجهل لأنه سهل وإلغاء العلم لأنه

---

[1] – ينظر: د.أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 57

[2] – المرجع نفسه ص 142

صعب المنال» ذلك أن أصواتا ارتفعت مجلجلة تطالب باستعمال العامية في التدريس والتأليف بحجة يسرها ومعرفة الناس لها، واستعمالهم في الحياة اليومية كلمات لا وجد لها في اللّغة الأم، وبالتالي فهي تقصر عن أداء أغراضهم، لكن لاشك في أن دعواهم باطلة وحججهم مردودة، وهناك من شحذوا أقلامهم أسيافا للدفاع عن لغة الوحي، وهذا "محمد الغزالي" يقول:« والعلاج الحاسم أن تضع لجان متخصصة الكلمات المختارة بدل الأجنبية ثم تقوم لجان أخرى بفرض رقابة حكومية وشعبية على ترويجها، وإشعار الجماهير أن ترك العربّية الفصحى في مهب الريح كبيرة من الكبائر، وأن الأمة التي تفقد لغتها كالفتاة التي تفقد عرضها، وأن المسلمين —من بين أمم الأرض خاصة— مكلفون بالدفاع عن العربّية ضد كل هجوم، لأن الهجوم في مراحله الأخيرة يتجه إلى وحي الله ...»[1] فالاستغناء بالعامية أو غيرها عن اللّغة الفصحى يقضي بفنائها وفناء أصحابها إذ يحدث الانفصال عن الأصل والماضي، والانفصام في الحياتين الفكرية والاجتماعية.

2-الفكر العربي والفكر الوارد:

أ-انتقال الفكر:

من الطبيعي أن تنتقل المجتمعات فكريا من مرحلة أو حالة إلى أخرى فتتطور، ولنا أن نأخذ جانب العقل الوضعي الرأسمالي كمثال ارتبط به التاريخ الإسلامي المعاصر، فقد أدى هذا العقل إلى إحداث الكثير من الأخطاء حيث نقلت كل التطبيقات المنهجية الإثنوغرافية منها والإثنولوجية والسوسيولوجية والدياليكتيكية التي كانت تحتاجها المجتمعات الإسلامية بطريقة تعسفية وهذا راجع طبعا إلى العقل الوضعي والتاريخي[2].

1

وقد تضررت المدنية العربّية ودخلت في قلب هذه الأزمة التاريخية، ومع التطور الأوروبي والغربي الذي عظمت هيمنته تحطمت المدنيات الكلاسيكية وتحللت بنياتها السياسية وساقها إلى التأزم المادي والروحي الذي أسهم هو أيضا في هدم المدينة العربّية...[1].

ولقد قاد انهزام أو انهيار السلطة العثمانية إلى البحث عن توازنات عقلية وسياسية واقتصادية وذلك لمواجهة الخلل الذي يقود للتحلل الكامل والتلاشي بسبب ضغط المرحلة الاستعمارية التقليدية، فحاولت الجماعة العربّية في نهاية القرن الماضي وحتى منتصف هذا القرن إعادة بناء وتشكيل مدينة فاعلة ضمن الحضارة الجديدة وذلك بتكوين عناصرها ولحمها وتشكيل نفسها، أي كذات مستقلة وعاملة[2].

ولكي تسير المجهودات والتجديدات بخطى سليمة وتبلغ المراد كان لابد من التركيز على الناحية الجمالية واتخاذها كنظرية تؤجر لهذا النقل وتطور آلياته وتضبط التحول مع ضمان الثبات والصلابة والمحافظة على جمال الذوق العام وإخضاعه لمعايير فكان لابد من تحديث وتطوير فن العمارة كما في الموسيقى والأدب، والفن غير أن الخطأ أو الخطر هو في النقل أو التقليد الأعمى الذي شهدته كل المجالات حيث نقلت كل الأشياء الأجنبية بطريقة عشوائية وفوضوية دون مراعاة لخصائص اللّغة ودون اعتبار لأي ظروف بيئية، وتراث ثقافي وقيم اجتماعية[3].

وقد أدى ذلك إلى أن جلب لنا الرحالة العثمانيون والشرق أوسطيون والمغاربة الذين زاروا أوروبا أفكارا وعقليات باردة وعادوالنا بطموحات وثقافات ساذجة غالبا، غير أنها كثيرا ما ألهمت إما مؤلفات كلاسيكية جديدة وإما مؤلفات منفتحة بشكل

---

[1]- ينظر: برهان غليون المرجع السابق ص 05

[2]- ينظر: المرجع السابق ص 05

صريح وواضح على الأنواع المكتشفة سابقا عند الغرب وعلى أساليب وطرق التعبير وأطره ومضامينه[1].

«ومنذ أوائل القرن التاسع عشر أزداد عدد الغربيين القادمين إلى البلاد العربّية للعمل في المؤسسات الثقافية المدنية كخبراء أو مدرسين في المدارس والمعاهد الهندسية والطبية وما يتصل بالعلوم، وكان معظم القائمين بالتدريس يدرسون بلغاتهم الأوروبية طلابا لم يتقنوا دراسة العربّية غير أن بعضهم يدرس في معهد الطلبة البالغين لهم بعض الدراية بالعربّية، كما أن عددا من العرب تابعوا دراساتهم الجامعية في البلاد الغربية وخاصة في ميادين العلوم والتقنية التي أخذت تتقدم ويتوسع دورها في الصناعات وغيرها، ومعلوماتها تختلف أساسيا عن المعلومات التي تتوفر في التراث الفكري العربي، ومعظم الطلبة الذين يقومون بهذه الدراسات سواء كانت دراستهم في الغرب أوفي بلادهم العربّية هم من الشبان الذين لم يتعمقوا في دراسة الآداب العربّية ولم يتدربوا على أساليب الكتابة بها، وأدى انغمارهما في دراساتهم العملية إلى عدم توفر الوقت الكافي لهم لرفع مستواهم في دراسة العربّية خاصة وأن نظم التدريس الحديثة تتطلب السير على برامج معدة مسبقا وتستغرق معظم وقت الطالب فتغمره في اختصاصه ولا تنتج له وقتا كافيا لقراءة ما يجعله متقنا لأساليب اللّغة العربّية وبذلك بدأت تظهر الهوة العميقة بين الدارسين للعلوم الغربية سواء أكانت دراساتهم في الغرب أم في الشرق وبين الذين يتابعون دراساتهم في المدارس القديمة، غير أن مما خفف آثار هذه الهوة قلة الإنتاج الأدبي»[2]

ويقودنا هذا القول إلى نتيجة واحدة ووحيدة تظهر لنا جليا هو أن هذه العلوم التي تقدم في بلداننا العربّية أو النامية هي دليل على مركزية الغرب ولغاته سواء الفرنسية

أو الإنجليزية، ومادامت اللّغة العربية خارجة عنهما فهي لن تؤدي مهمتها العلمية في التبليغ، وهذا من ناحية شكلها، أما المضمون أو المحتوى نستطيع القول بأنّ فهم لغة ما هو الوسيلة لتوصيل الفكرة وكلما زاد هذا الفهم سيطرت اللّغة على العقل البشري وعندما تسيطر تقود نحو التخلي عن الثقافة الأصلية والذاتية والابتعاد عنها نهائيا، وهذا ما يولد مظهرا من مظاهر الاغتراب الذي تعانيه جل المؤسسات التي تدرس العلوم باللغات الأجنبية (اغتراب على الصعيد الأيديولوجي والنفسي والسلوكي).

و تأثر اللّغة العربيّة باللغات الأجنبية في الجوانب التي تخصها حضاريا جعلتها تتميز كما في السابق —مثلا— فمعظم ما انتقل إلى العربيّة من الفارسية واليونانية يتصل الجوانب المادية أو الفكرية التي امتاز بها الفرس أو الإغريق وأخذها عليهم العرب عند احتكاكهم الحضاري بهم[1].

«مع التنبيه إلى نقطة هامة في هذا الصدد، كان لها دورها المؤثر —سلبا— على سير التعريب في البلدان العربّية الحديثة العهد بالخروج من نطاق الهيمنة الاستعمارية الغربية... والتي بادرت بكل عزم وإخلاص إلى محاولة استعادة مقومات شخصيتها العربّية التي عمل الاستعمار على مسخها، طيلة عهده الطويل في البلاد، إلاّ أنّها مع مرور الزّمن أحسّت من جرّاء عدم التّشجيع الّذي بدا من بعض البلدان الشقيقة في المشرق العربي، بأنها مستعجلة أكثر من اللازم، فتريثت أكثر من اللازم في الاندفاع نحو التعريب الكامل، مستمدة الحجة من تلك البلدان التي تتوفر على إمكانيات هائلة لتعريب الفروع العلمية، في الكليات والمعاهد العليا و لم تفعل!! فأوحت من حيث لا تدري للمترددين والمشككين في قدرة اللّغة العربّية على مسايرة التطور الحضاري، بعجز هذه اللّغة على القيام بهذه المهمة الحضارية الضرورية لبقاء اللّغة وبالتالي بقاء الأمة»[2].

1

غير أن مذهب التعريب لم يكن عند البعض سوى حركة ترجمة ليس إلا فهذا "إدوار الخراط" يقول في مقال له عن الثقافة العربيّة والعالمية:

«أما عن متابعة المنجز الغربي والعالمي الحديث نسبيا في النظرية النقدية أو النظرية الثقافية العامة، فأتصور أن ما حدث في الغالب وليس على وجه الإطلاق والتعميم —هو مجرد نقل شيء لمقولات نقدية أو فكرية سيئة الترجمة، وغير مستندة إلى أصولها الفكرية كان يجب أن يتواكب هذا مع حركة الترجمة الحقيقية الشاملة لأمهات الفكر العالمي ومع أمرين: التحليل والمقارنة كان هناك في الواقع اندفاع نحو ترجمات كثيرة —معظمها غير مهضوم—لمنجزات النقد الغربي أو الفكر الغربي[1].

وفي حقيقة الأمر، إن مشكلة الإبداعية الأدبية كانت قائمة وما تزال زيادة على إدخال القيم والدلالات الفنية الحديثة في الأدب العربي وكتابنا وأدباؤنا لم ينتظروا نظرية الفن و بنظيراتها حتى يتمكنوا من تقديم ما هو جديد وحديث، بل إنهم يعلمون ويدركون بأن حسمهم الأدبي والفني له الدرجة الأولى في تحديد قدرتهم على استيعاب هذه الدلالات الجديدة التي تعتبر بمثابة مقياس يحدد مكانتهم من الإبداع العالمي العام، وتعطي الأدب المقام والقيمة التي يأمرونها وتجمع حولهم الجمهور المرجو وما هذه النظرية إلا صفة شرعية مدعمة بحجج عقلية تغطيهم حق هذه الممارسة، وبذلك يبقى دعوة حضارية فنية أكثر منها عقلية، ومن الطبيعي أنها لم تفد: الذين يقومون عمليا بها من حيث هي عقلية، وفقدان هذه النظرية حتما سيؤثر على الإبداع في الأدب العربي ويجعله على مستوى الاقتباس الخارجي والتلقائي فيصبح بالتالي ميالا لأي تعقب جديد، وهكذا أصبح الإبداع الأدبي الغربي هو النموذج المحتذى بكّل إبداع، وأصبح معيارًا لكلّ تجربة قائمة في درجة محاكمتها وإيجابيا هذا النموذج، وأصبح دور النشاط الأدبي

الفني العربي هو في الواقع إعادة إنتاج المخيلة الرمزية الغربية في فضاء العقل العربي[1]. وفي الواقع كانت العلاقة بين الأدب والعلم مفقودة المعالم في عالم الترجمة والنقل وتحليل الشكل فـ «ولدت نظرية الواقعية الاشتراكية المحلية التي تربط جمالية الأدب أو تقلصها بالمحتوى الأيديولوجي وإليه، و عاشت النظرية الأدبية العربّية على هذه الأفكار إلى أن جاءت ترجمة النصوص اللسانية المعاصرة فعملت في الجو الأدبي العربي عمل النار في الهشيم، وتبناها الكتاب والنقاد معا، فقد أصبح من الممكن أخيرا إيجاد هذه العلاقة الجوهرية المفقودة بين العلم والأدب، وأصبح من الممكن استيعاب النشاطات الرمزية والمجازية من منطلق العلمية حتى لو بقي ذلك على مستوى تحليل الشكل»[2]

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عمر فروخ:«ومن أجل ذلك يجب أن نقبل كل هذه المصطلحات العلمية والفنية، وإن كان بعضها بعيدا عن المعنى اللغوي المقصود، لأن الاستعمال هو الذي سيقربها في النهاية من المعنى المراد[3]».

وكلما كانت صفوة التطور محافظة على دورها القيادي وما دامت تحمل أفكارها وتحتفظ بها في قلوبها وتحمل الطموح والتطلع الكبيرين وروح الابتكار والاختراع، فستكون الأمة مواكبة للنهضة و الحضارة فإذا فقدت هذه الصفات أو انقرضت وحلت محلها جماعة من التقليد بين همهم الوحيد هو المحاكاة والمجاراة والمحافظة على الموروث، فقدت دورها القيادي وتراخت في الأمة قوى الاختراع والابتكار التي تعينها على مواصلة المسير فركدا وركدت مسيرة حضارة الأمة وهنا لا يكون هناك

---

[1] – ينظر: برهان غليون المرجع السابق ص 288-289

[2] – المرجع السابق ص 288

محيص من التأخر والضعف ثم الانحلال و الجماعة في رأي"توينبي" في هذه الحالة لا تزال بخير مادامت صفوفها بخير[1].

وفي أدبنا الراقي والكبير يقول محمد الغزالي :«قد قرأت حماسة أبي تمام، وامالي القالي، وتصفحت العقد الفريد، ومررت بروائع من المشاعر والحكم، والمدح والقدح، والوصف الدقيق، والغزل العفيف وملاحقة مواقف الإنسان مع الحياة خفضا ورفعا، ونعمة وبؤسا وضحكا وبكاء، نوجد في آدابنا القديمة ما يجب أن يرى نور الحياة وينتفع به المعاصرون أكثر وأجدى مما يقرأ الآن من آداب الإنكليز و الفرنسيين والروس...»[2] وكما أشرنا سابقا أن في مجالنا الأدبي أثرا كبيرا للحداثة التي هزت أركانه هزة عنيفة في التذوق الفني، وبذلك فتح بابا كبيرا للنقاشات والجدول الذي لم نيته ولن ينتهي بسرعة ولكن جوهر ما أنتجته في هذا المجال هو دون شك شعور عميق وشامل بفقر المخيلة العربّية القديمة بالصورة والمعاني، والأفكار مقارنة مع الواقع الجديد، ورفض تلقائي لها أو الاستمرار في العمل في إطارها[3].

فثقافتنا العربّية تشكل عقبة بالنسبة لكثير من الناس وعائقا أمام تحقيق أهدافهم كما تشكل سلاحا ومركز قوة بالنسبة للبعض الآخر[4].

ولو تمعنا الكتابات بالأساليب الجديدة فالغالبية المطلقة للذين يكتبونها هم عرب في دمهم وأصولهم ومعظمهم ممن أتم دراسته، كلها أو معظم مراحلها الأخيرة، في مدارس أجنبية في داخل البلاد العربّية أو في البلاد الغربية، وكتاباتهم تعبر عن تكوينهم الثقافي وتظهر لنا تقديرهم للثقافة الغربية، وهي تؤدي في آخر المجال إلى نشرها، بين

[1] – حسين مؤنس المرجع السابق ص 119

[2] – محمد الغزالي المرجع السابق ص 193

[3]

الناس وما كتاباتهم بالعربيّة إلا إدراكا منهم لأهمية هذه اللّغة غير أن بعدهم عن الأساليب العربيّة المقبولة تظهر عدم إتقانهم لها، وغرابة مفرداتها وأساليبها تدفعهم إلى الإيمان بضرورة ووجوب زيادة العناية بدراسة مفردات اللّغة وأساليب الكتابة وقد اتخذوا الغرابة مبررا ودافعا للاستمرار في البحث[1].

وفي الأخير نخلص إلى القول بأن الإشكالية تكمن في كيفية فهم المنهجية الغربية بشكل كاف ترجح كفة النجاح والتطور لتراثنا وكيف يمكن تطبيقها على تراثنا ليس كنوع من التبعية للغرب كما يظن بعضهم وإنما كنوع من المشاركة في البحث العلمي المعاصر من خلال وضع هذه المنهجيات على محك ثقافتنا وتراثنا[2].

ب-لغة العرب وفكر الغرب:

قد نبحث عن الكمال (النسبي) في لغتنا، وقد نسعى وراءه، وقد نتعرض لمواطن الضعف الحقيقية فيها، ونستعرض الاتهامات المغرضة الموجهة إليها كي تكون على بينة، إلا أننا قد يأخذنا التغاضي عن تقصيرنا، فنظلم هذه اللّغة بجهلنا لها وبانقيادنا وراء ماراه أعداؤها في الأحكام الاعتباطية التي يطلقونها عليها لأهداف خفية لا تظهر منها إلا المسحة الخارجية الموشاة بالموضوعية التي تسلب أفكارنا[3]،واللّغة كما علمنا هي ما هي، فن جميل تترجم في ألفاظها وتراكيبها ومعانيها خصائص الأمم ومقوماتها، وهي بهذا ملك لكافة أفراد الأمة، ووليدة أجيالها خلفا عن سلف بحيث لا يمكن فرضها عليهم، مثلما كانت تجربة فرنسا مع أفراد المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال[4]، وهي في عصرنا تواجه الهجوم ممن يفضلون عليها اللّغة الإنجليزية التي يرونها لغة العلم والابتكار

---

[1]- مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 181

[2]- ينظر: محمد أركون المرجع السابق ص 254

[3]

والتقدم، أو لغة التجارة، أو غير ذلك، ويرون القصور في العربّية عن ملاحقة التقدم العلمي، ويرون أيضا أن قواعدها معقدة وكثيرة من العسير الإيمان بها والسير وفق أحكامها، حتى أنهم يرون في استخدامها تخلفا وفي استخدام غيرها تحضرا[1].

هذه الهجمة الشرسة من قلب الأمة بالموازاة مع تلك التي تشن من خارجها على لغة الوحي، شكلتا خطرا داهما وضربة حقيقية أصابت دينا مبكية اللّغة وحركاتها الفاعلة في الحياة الفكرية العربّية «وكان قد صدر حكم بطرد العربّية من ميادين الطب والهندسة وسائر المعاهد العلمية، كما أن ألفاظ الحضارة تفد كل يوم وتزيد حاملة طابعها الأجنبي لا يكاد ينفك عنها، وفارضة الوحشة على لغتنا، والغريب أن علماء الأزهر آثرا كلمات "ماجيستير" و "دكتوراه" على غيرها، وما أبدع أن يقال: دكتور في الفقه، ودكتور في النحو...»[2].

ولما كانت اللّغة عندنا تخضع لألوان الحكم وأشكال الاكراهات، وتخضع للضبط الإيديولوجي الصارم المفروض على المجتمع منذ الستينيات، إضافة إلى التعريب أوالفرنسة للحياة القومية، فإن ذلك كله أدى إلى تعميم الرقابة الذاتية والاكراهات السيمانتية المعنوية والبلاغية وبالتالي راح الفكر النقدي يتلاشى وينفقد مواقعه كلما اتسع التعريب واتسع المواقع[3] وأصبحت هذه الحالة علة مستعصية، خاصة وأن اللغات الإسلامية لم تشارك إلا قليلا في التفكير في مسائل الحداثة الفكرية وما شابهها، وأضحت راء عضالا، حتى أننا نجد كتابا يكثرون من استعمال كلمات عربية في أصولها، غير أن دلالاتها على المعاني التي يقصدون التعبير عنها ›موفقة‹، «...فهم يكثرون من اشتعال الكلمات الأعجمية مكتوبة بحروف عربية، أو يستعملون صيغا واشتقاقات

---

[1] – ينظر: د.حسين نصار المرجع السابق ص 25

[2] – [illegible]

غربية للكلمات العربّية، ما يظهر تمكنهم فعليا من اللغات الأجنبية وإيمانهم بكفاءتها في التعبير، فجهودهم اللغوية تنصب على تطويع العربّية للتعبير عن الثقافات الأجنبية التي يفوق اطلاعهم عليها معرفتهم بالعربّية»[1] .

غير أن هؤلاء فاتهم «أن المصطلحات العلمية في كل لغة تظل مدركة بتعريفها فقط ولا تسبح في لغة الحديث ولغة التعبير العامة»[2] ذلك أن الكلمات مهما كانت تخريجاتها و إشتقاقاتها عربية أو غير عربية فإن مكانها في المجتمع اللغوي لا يرتسم حتى يدرك هذا المجتمع معانيها بموقعها نظامه الفكري، فإن كان هذا النظام متطبعا بالفكر الغربي فإن سبك التعبير العربّية على الطراز الغربي لا ضير فيه طالما سلمت الأفكار، واللّغة كما علمنا ما هي إلا أداة خادمة للفكر، وإن كان عربيا صرفا فإن ذلك السبك يعد من قبيل صك العملة في غير قالبها، فلا لغة نفع ولا فكرا رفع، وقد زادت العناية بالمصطلحات بعد أن كثرة الفنون وتشعبت العلوم وأصبح لزاما على العرب أن يضعوا لما يستجد مصطلحات تجعل اللّغة قادرة على استيعاب هذه العلوم ومواكبة التطور العلمي، والحضاري.

وهذا ما يدعوا العاملين في مجال التعريب إلى الحرص على صفاء ألفاظهم كما حرص الأقدمون فلم يلجئوا إلى التعريب إلا عند الضرورة القصوى[3] «فالحاجة الحضارية إذن من الأسباب الهامة لتطور النظام اللغوي بإثرائها إياه بالمفردات المختلفة التي تشتقها من اللّغة ذاتها، أو تعربها من اللغات الأجنبية إذا كان مسمى الكلمة ليس من إنتاجها، وأوضح مثال على ذلك، المفردات العربّية التي دخلت إلى اللغات الأوروبية –قديما– أيام ازدهار الحضارة العربّية، والمفردات الفرنسية الجديدة التي دخلت اللّغة العامية

[1] – مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 181-182

الجزائرية –حديثا– في غياب معرفة العامة من الناس في الجزائر لمسميات الحضارة العصرية في اللّغة العربّية، نتيجة العزلة التامة التي فرضها المستعمر الفرنسي على المجتمع الجزائري لمنعه من تعلم لغته العربّية والاحتكاك الفكري والثقافي بأبناء أمته في المغرب والمشرق العربيين... وليسهل التأثير في لغته العربّية»[1].

رافق التقدم الذي حدث في مختلف ميادين العلوم في الغرب توسع في مفردات لغاته قام لا على الأصول الموجودة في تلك اللغات، وإنما كثيرا ما كان على مفردات اعتباطية كالنسبة إلى الأشخاص أو إلى الأشياء، ولكنه اكتسب معان خاصة ساعدت على إنماء المعاجم الغربية بشيوع استعمالها، وسبب بذلك صعوبات جمة في إيجاد مقابلات لها في العربّية، بيد أن هذا هو الفرق الشاسع بين المعاجم العربّية وتلك المعاجم الغربية ذلك أن الأولى حرصت على تدوين "الفصحى" التي يعنون بها اللّغة السائدة عند بعض القبائل العربّية، ولم تدون كثيرا من الكلمات التي استعملت في عصور ازدهار الحضارة العربّية، باعتبارها مولدة أو دخيلة، وبالرغم من هذا التحديد إلا أن ما أقرته في المعاجم من مفردات تفوق ما في اللغات الأصيلة الغربية «تتضح معاني الكلمات من استعمالاتها، وأعدت في العقود الأخيرة قوائم بالكلمات التي وردت في بعض الكتب خاصة في ميادين الفلسفة وعلم النفس والطب وما بنبعه من تشريح وتشخيص وأدوية ونباتات وهي تقدم مادة غنية لمن يعمل في تعريب المفردات،وكان التباين بين عدد المفردات العلمية في اللغات الغربية وبين عددها في المعاجم العربّية من حجج بعض دعاة العزوف عن استعمال العربّية في دراسة العلوم، وقد غفلوا عن أن كثيرا من كلمات المعاجم الغربية هي مبتدعات اعتباطية وأن أسس اللغات الغربية ليست بأمتن وأوسع من أسس اللّغة العربّية.

وأن اللّغة العربيّة أفلحت في استيعاب كثير من أبواب المعرفة في الماضي فضلا عن أنّ الأسلوب العربي أكثر انسجاما مع الهوية الثقافية للعرب»[1].

ثم إن مبعث الدعوة إلى استعمال اللغات غير العربيّة ليس الاعتقاد بعجز اللّغة العربيّة بقدر ما هو من إعجاب يصل حد الاستسلام للحضارة الغربية.

إن للّغة شأنا خطيرا في ميدان العولمة «حيث من المتوقع أن يتخذ أنصار العولمة من علوم اللّغة مرتكزا أساسيا لعولمة الثقافة، فهؤلاء العولميون لا يقرون بالخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب، ويقفون بشدة ضد النسبية الثقافية والنسبية اللغوية، وبالتالي، وهم —بلا شك— سيجدون طالبتهم في التنظير اللغوي الحديث، حيث تتدرج جميع اللغات الإنسانية في إطار النظرية العامة للغة، لقد استوعبت هذه النظرية القواسم المشتركة بين اللغات، وكذلك مواضع اختلافها وتباينها، علاوة على ذلك، فقد تبنت هذه النظرية النموذج الذهني للغة الذي يفترض كونها غريزة إنسانية يشترك فيها البشر كافة»[2] وهي خطوة ذكية تلك القفزة من المستوى الشكلي إلى المستوى الذهني، وذلك التجاوز للإطار اللغوي من أجل التوجيد الفكري، مثلها مثل الاحتكاك بالأفكار اليوناني الذي اعتقد في حين من الزمان أنه يشرح الخطاب القرآني أو يفسره في حين أنه كان يسقط عليه مفاهيمه وتحديداته الخاصة بزمن آخر.

وإذا توقفنا على مستوى القرآن و في اللّحظة الأوّليّة التي ظهر فيها، نجد أنّ كلّ شيء فيه متحرك ومتموج ومفتوح ومليء بالاحتمالات، نجد أن اللّغة والفكر آنذاك — أي لحظة انبثاق القرآن —مرتبطات بشكل مباشر ووثيق بالواقع العاش»[3]

---

[1] — مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 178

[2]

وهذا عين الفرق الموجود بين قديم العربيّة وحديثها أين أصبحت اللّغة تعبر لقومها عن فكر غريب عنهم، أو أصبحت أحيانا غريبة لا تعبر عن فكرهم.

«إن اللّغات الإسلامية وخصوصا اللّغة العربيّة، تفقد قد سبتها بالتدريج تحت تأثير الضغط المتزايد للحضارة المادية المستوردة المصحوبة بنماذجها الثقافية، يضاف إلى ذلك أن الفكر الإسلامي المعاصر، وبالتالي الفكر العربّي يزداد إيديولوجية وتصبح الإشارة إلى الأعمال والمؤلفات الكلاسيكية نادرة جدا أكثر فأكثر»[1].

مما يجعل إلقاء نظرة فاحصة على وضعية المصطلحات العربّية في الوقت الحاضر يكفي لتلمس حقيقتين مؤلمتين «أولاهما التخلف العلمي والتقني (بالمقارنة مع الدول المصنعة) الذي تعانيه أمتنا العربيّة، وهذا واضح من قصور المصطلحات العلمية والتقنية كما وكيفا، وثانيهما، تمزق الأمة العربيّة وتشتتها سياسيا وإداريا، وهذا ظاهر للعيان من ازدواجية المصطلح العربي، إذ نجد كثيرا ما يعبر عن المفهوم العلمي الواحد بعدد من المصطلحات التي تختلف من قطر عربي إلى آخر»[2].

وفضلا على الإيديولوجيات الفاعلة في تحديد اللّغة، هناك أمر أخر أشد تأثيرا في اللّغة وأكثر فاعلية ألا وهو الإعلام إذ بإمكانه أن يكون فاعلا إيجابيا كما بإمكانه أن يكون سلبيا في مجال نشر مصطلحات اللّغة العربّية وتعميم استخدامها، فوسائل الإعلام استطاعت أن تكون لغة فصيحة مبسطة يفهمها الجمهور الواسع من الشعب، أصبحت شائعة ومتداولة في كل الوطن العربي، في حين أنها ساعدت على دخول عدد من المصطلحات والكلمات الأجنبية لا يستهان بها في التداول كما أنها تساعد على نشر الأخطاء النحوية والاستهانة بقواعد اللّغة، ونشر انحرافات لغوية في مجال التراكيب وطرق التعبير، إذ «إن لكل لغة طريقة في التعبير وطريقة في التركيب ولكل لغة

---

[1] [illegible] 25

مفاهيمها، فعندما نتكلم بالعربّية علينا أن نستخدم مفاهيمها وطريقتها في التعبير، وتراكيبها، لا أن نترجم ما هو موجود في لغات أخرى و نزجه في اللّغة العربّية، الأمر الذي يساعد بمرور الوقت على وكالتها وفقدانها لأصالتها وشخصيتها المستقلة. هناك أخطاء شائعة كان لوسائل الإعلام الدور المهم في تعميمها وبالتالي ترسيخها»[1].

ولتفادي كل تلك المطبات التي ترتبت عن تتبع الفكر الغربي حرفا بحرف وشبرا بشبر، فأوقعت اللّغة العربّية في مهالك التقليد والتميع يقول الدكتور أحمد مطلوب:«إن الحفاظ على العربّية وبذل الجهود في وضع المصطلحات والدقة في اختيار الألفاظ أهم ما ينبغي العناية به لتحتفظ الأمة بنقائها وتصون كيانها فلا تذوب في شعوب الأرض بعد أن كانت خير أمة أخرجت للناس، وبعد أن كرمها الله بلغة كتاب العزيز وفصيح كلام نبيه الكريم»[2].

3-الاستشراق والاصطلاح:

لا يعد والاستشراق أن يكون دراسات غربية لأمم شرقية، وتكلمنا كتابات (سيلفان ليفي) عن نظرة الغرب للشرق فتقول:«إن الغرب هو المسؤول عن الشرق، وينبغي أن يوجهه، لقد أخذنا على عاتقنا مسؤولية التدخل في تطورهم.. ونحن ندعي خطأ أو صوابا، أننا نمثل حضارة أسمى، وبسبب الحق الذي يمنحنا إياه هذا التفوق، فقد وضعنا جميع تقاليدهم موضع تساؤل»[3] هذه هي القاعدة التي تنطلق منها العملية الإستشراقية التي تبقي ظروفها الخاصة الفاعلية العلمية تحت مستوى هدفها المعلن، «كانت المستعمرات القديمة والروح التبشيرية للمسيحية قد وجهت مواهب وأعمال

---

[1] – مركز دراسات الوحدة العربية، المرجع السابق ص 11

[2] – د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 45

[3]

المستشرقين، بعد حصول الاستقلال، راح الحنين إلى الفرص التاريخية الضائعة والهوى الرومانتيكي الذي كان الشرق يغذيه باستمرار، والرغبة في لعب دور جديد ضمن المنظورات والآفاق التي افتتحتها سياسة التعاون ثم الصراع العربي الإسرائيلي بالنسبة للمستشرقين اليهود، أقول راح ذلك كل ذلك يستمر في آثاره الاهتمام بالدراسات العربيّة والإسلامية في الغرب»[1] غير أن هناك فرقا كبيرا بين أسلوب البحث العلمي المطبق على المجتمعات الغربية وأسلوب البحث المطبق على المجتمعات الأخرى «صحيح أنه لا يمكننا أن نطلب من المستشرقين القيام بعمل تقع مسئوليته بالدرجة الأولى على الباحثين العرب والمسلمين بالذات ولكن يبقى مع ذلك صحيحا أنهم بسبب احتلالهم لموقع ثقافي مهيمن، وبسبب من ممارستهم لنوع من الأستاذية الثقافية بحكم طبيعة الأشياء (حتى و لو لم يكن ذلك إلا لأنهم يشرفون على أطروحات الطلبة العرب والمسلمين العديدين الذين يدرسون في الغرب)، إنهم يظلون متضامنين مع ثقافاتهم ومجتمعاتهم التي يوجهون إليها منتجاتهم العلمية، ولكن جمهورهم وشعبهم قليلا ما يقرئهم ويظلون بذلك هامشيين حتى ضمن جدران جامعاتهم بالذات، ولهذا السبب يشعرون بالفخر والاعتزاز، إذ يلقون صدى واسعا واهتماما لدى المجتمعات الإسلامية التي لا يفكرون فيها أبدا عندما يكتبون»[2].

لعل هذه شهادة من أحد المفكرين العرب الذين عايشوا ويعيشون مع المستشرقين في بلادهم وجامعاتهم، يشير فيها إلى المكانة الهامشية التي يحتلونها على ساعة الفكر الغربي بالذات بالقياس إلى بقية المفكرين الآخرين، ويقول هاشم صالح:«إننا لا نجد لهم أي صوت كبير في مجتمعاتهم ولا يكاد أحد يعرفهم، في حين أنّ أسماء ليفي شتراوس وميشيل فوكو وبيير بورديو وجورج بالانديه ورينه جير ارو موريس

1 [illegible]

غولدييه... أشهر منار على علم، إن المستشرقين ليسوا آلهة وليسوا مشهورين إلا في بلادنا حي سنعتقد أنهم قادرون على حل مشاكلنا، هناك بعض الاستثناءات النادرة بالطبع»[1].

إن الأسلوب الاستشراقي في نقل المصطلحات إلى المجال الإسلامي وتطبيقها عليه، يعبر عن النظرة الأوروبية المركزية (الإثنوغرافية) التي تهيمن على الكثير من الدارسين الغربيين[2]، غير أن هذه النظرة لا تحول دون موضوعية بعضهم وهذا كلام حول اللّغة العربّية التي درسوها وتمعنوا فيها عن قرب (بالمقارنة مع لغاتهم المختلفة)، يقول "وليم ما بي" :«هناك ميزة خاصة باللّغة العربّية تسهم في الأخذ بنصيب من هذا العنصر الأساسي للشعر ألا وهي: أن الحروف الساكنة في هذه اللّغة هي من قوة الواقع بحيث لاشيء يحجب أصول الكلمات عن المتكلم وسامعيه ولهذا السبب تنقشع الكلمة دائما في هذه اللّغة عن الجذور التي تحدث عنها، وربما كان الشعور بالجذور أشد من الشعور بالكلمة، كل جذر عربي هو إذن غيارة لا يمس وترمن أوتارها إلا خفقت للمسه سائر الأوتار، وكل كلمة تبعث بالإضافة إلى وضعها الخاص تواق يع حنية لأخواتها من الكلمات، وإنها تتخطى حدود معناها المباشر موقظة في أعماق النفس موكبا من المشاعر والصور...»[3].

وهذا أكبر المستشرقين الروس الدكتور "شاربا طوف" يرى أن «اللّغة العربّية تتوفر على ما يمكننا من مسايرة تطورات الحياة والعلوم، كما أنها قابلة للتعبير عن جوانب التقدم العصري، وإن كل لغة تحظى باهتمام أصحابها قابلة للمسايرة التطور الاجتماعي، وقد أظهرت اللّغة العربّية قوتها في القرون الماضية وتستطيع هذه اللّغة اليوم

---

[1]– محمد أركون المرجع السابق ص 246

بفضل ثراء أصلها التاريخي، وبما اكتسبته من الظواهر الجديدة مثل كثرة المصطلحات العلمية والفنية الجديدة، ومثل تيسير بعض القواعد والتراكيب اللغوية المعقدة... أن تساير التطور في جميع مراحله ومجالاته »[1] وفي مقابل مثل هذا القول الذي يجعل من اللّغة العربيّة بل يعطيها حقها، في كونها لغة مكتملة من حيث القواعد والأسس ومتطورة من حيث قابليتها للنماء والإيفاء بحاجات العصور المختلفة مادام العرب يعترفون لها بهذه القيمة ويمضون بها قدما نحو الأمام، نجد آخرين يدعون إلى نبذ العربيّة وتأليف الكتب عن قواعد اللّغة العامية (في مصر مثلا) مثلما فعل المستشرق الألماني "ولهلم سبيتا" الذي كان موظفا بدار الكتب المصرية، لهذا يقول محمد الغزالي ساخرا: «ولا بأس في طريق القضاء على اللّغة العربيّة أن يستعان بأوروبيين يعينون في مؤسساتنا الثقافية»[2].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

1 ... ١١٥ ١١٨

الفصل الرابع

الترجمة و التعريب

" و قد يكون كفرا أو
تدنيا في المراحل الحضارية
أن نقول أن الفن من
الكمليات، و لكنه كفرا
وتدنّ أكبر ان نحسب أن
الترجمة من الكمليات، هي
فن رفيع، و لكنه ضرورة
للبشرية كي تتفاهم"

د. أحمد سعيدان.

1- الترجمة.

2- التعريب.

3- حركات النقل و الترجمة.

4- تعريب المصطلح و تغريب الفكر.

1-التّرجمة

أ-حول التّرجمة

مفهوم التّرجمة :

أورد.د.عمر فروخ في كتابه «عبقرية اللّغة العربية» أن التّرجمة «كلمة أعرابية وردت في اللّغة الأكادية وفي الآرامية وفصيلتها السريانية وفي العبرية والحبشية، ومعناها الأصلي: تفسير الكلام، وفي القاموس المحيط (4: 83) وفي المعجم الوسيط (ص83 أيضا) وفي تاج العروس (8: 310) ولسان العرب (مادة : رجم) ترجم الكلام: فسره ووضحه، وللترجمة معنيان آخران: سيرة فرد من الناس أو تاريخ حياته، ثم نقل الكلام من لغة إلى لغة»[1]. والّذي يقوم بعملية التّرجمة هو المترجم أو الترجمان وهي كلمة فارسية معربة، وترجمنا أي نقلنا إلى لغة من لغة أخرى، والترجمان بهذا هو الّذي يترجم بين لسانين أو يفسر عن لغة ما يقال بها إلى لغة أخرى[2]. والتّرجمة غير التّعريب الّذي هو إيجاد لفظة عربية تامة لمعنى لا كلمة عربية له، ولنأخذ مثالا: لفظة "هاتف" هي ترجمة للفظة Téléphone أما "تلفون" فهو تعريب Téléphone و"تلفن" تعريب للفعل اللاتيني، أما كلمة "هتف" يهتف بمعنى تكلم بالهاتف، فهي ترجمة تامة وكاملة للمعنى، ومن هنا نجد التّعريب من التّرجمة[3]، إذ هي نقل المصطلح إلى العربية «أي وضع مصطلح عربي يقابله، كنقل كلمة تلفون إلى هاتف، في حين أن التّعريب يعني اقتباس اللفظ الأجنبي ذاته، محورا أو غير محور... إنه زرع اللفظة الأجنبية في تربة عربية، مقلمة أو غير مقلمة، وقينا، لن يقع لبس بين الدلالتين»[4] والتّرجمة عند علي القاسمي «هي نقل المصطلح الأجنبي إلى اللّغة العربية بمعناه لا بلفظه، فيتخير المترجم من الألفاظ العربية ما يقابل

---

[1] - د.عمر فروخ المرجع السابق ص 282

[2] - ينظر: يوسف خياط المرجع السابق ص 134-135

معنى المصطلح الأجنبي، وعلى الرغم من أن التّرجمة المباشرة هي الغالبة، فإن المترجم قد يلجأ إلى التحوير أو الحشو أو الحذف لكي يوفق بين اللفظ المترجم والسليقة العربية أوالذوق العربي»[1] .

والتّرجمة دور جليل في نقل المعارف والعلوم وإثراء الثقافة وانتقال الحضارة بين الشعوب، وكانت نافذة أطل منها العرب على الحضارات واقتبسوا منها حضارتهم التي أنارت العالم قرونا طويلة، وبدأت حركة التّرجمة عندهم أيام العصر الأموي حوالي عام 687 م[2] بيد أن تلك الحركة التي شهدتها الحضارة العربية في أوج قوتها لا تشبه حركة التّرجمة اليوم لا في مضامينها ولا في آثارها، فهي في ذلك الزمان دليل قوة، وفي أيامنا رمز ضعف.«أي أنها تحصل في شروط متباينة بحيث أنها لا تواجه مقاومة تذكر في الماضي، بينما تواجه في الحاضر أنواعا مختلفة من المقاومات نتيجة لما تثيره من مشاكل يصعب السيطرة عليها على مستوى اللّغة و الآداب وعلى مستوى القيم التي تنقلها والمتميزات الاجتماعية التي تخلقها، وعلى مستوى الشعور بالهوية والذاتية والمشاركة في الحضارة»[3] ومن بين المشاكل المفتعلة المتعلقة بالتّرجمة قول بعضهم: نترجم بعد أن تجز وضع المصطلح، أو : ندرس بالعربية بعد أن نضع المصطلح ونترجم، والمعلوم أن بين هذه الأمور الثلاثة، ترابطا واتصالا وتكاملا، فالتّرجمة هي تعريب العلم و السبيل إلى تعريب التعليم، ولا تتم إلا بتوافر المصطلح العلمي، والمصطلح العلمي لا يستقر ولا يهم إلا بالتّرجمة[4].

---

[1]- د.علي القاسمي المرجع السابق ص 101

[2]- ينظر: زغريد هونكه المرجع السابق ص 283

[3]- [illegible] 364

وإذا تحدثنا عن التّرجمة إلى العربية فهذا لا يعني قصر التّرجمة على ذلك، وإنما التّرجمة كما علمنا تكون من لغة إلى أخرى، وعرف التاريخ التّرجمة من العربية أيضا، تقول المستشرقة الألمانية زغريد هو نكه:«من ذا الّذي لا يبهره جمال اللّغة وجرسها ونغمتها الحلوة؟ حتى الجيران قد سحرتهم العربية كما هو الحال مع الأساقفة الأسبان الّذين كثيرا ما شكوا من هذا الوضع مر الشكوى وحتى غير المسلمين كانوا أطوع إلى تعلم العربية، ودراستها والعناية بها من غيرهم كرعايا لهذه الدولة العربية، وماتت اللّغة القبطية والآرامية لغة يسوع المسيح أخذت تفسح الطريق أمام لغة محمد، كما اضطر الباباوات إلى إصدار القرارات والمراسيم الدينية إلى الأقليات المسيحية في الأندلس في القرن التاسع ومترجمة إلى اللّغة العربية وذلك لجهلهم اللاتينية وحتى بعد استرداد أسبانيا وجدت الكنيسة نفسها مضطرة إلى ترجمة العهد الجديد إلى العربية اللّغة التي يفهمها المسيحيون بعد تحررهم»[1].

وقد تطرق كثيرون في حديث عابر للترجمة، أهي علم أم فن أم ذوق؟ وكيف نعرف صاحبها "المترجم"؟ و ما هي سماته؟ وكيف يفكر؟ وتطرق قليلون إلى دور المترجم في نقل المعارف والعلوم.

المترجم:

إنّ لمترجم البارع من يأخذ النص من لغته فيتدبره ويفهمه ويدرك أغواره ثم يعمد إلى اللّغة التي يريد أن يترجم إليها فينقل ذلك النص لها تام المعاني مستوفي الألفاظ لا يجعل لكل لفظ مقابله حتى تصبح الكلمات من لغة في بناء من لغة أخرى، ولا يضع النص جانبا ويؤلف من محض فهمه لمحتوى النص، ثم هذا الفهم أو نقص، فللترجمة مقاييس وقواعد سيرد ذكرها في محلها، ولا بد للمترجم أو الناقل أن يعرض للمواقف

الحرجة مثلا حينما يريد ألا يكتفي بنقل الألفاظ وحدها ويريد نقل شعور المؤلف (في الآثار الأدبية خاصة)[1].

«وهنا نجد مدى الفضل الّذي قد يتفضل به المترجم على المؤلف، وهذا الفضل يتوقف على ميل المترجم وشغفه بالكتاب وفهمه وإدراك كنهه وحسن اختياره، فترجمته هي التي تفرض الكتاب على المجتمع وتمهد له الطريق إلى الأوساط العلمية والثقافية»[2]

ونموذج المترجم الحق معروض لمقاييس تختلف باختلاف البيئات الفكرية والمجتمعات العلمية وتختلف باختلاف الأشخاص وحاجات الأشخاص عبر الأزمان، فنموذج المترجم عند الجاحظ مثلا: «أن يتكلم على تصحيح المعاني في الطابع ويكون ذلك معقودا بالتوحيد» إن إلزام المترجم الإحاطة بالتوحيد يتخذه الجاحظ أساسا في توفر ثقافة المترجم، ليكون من يترجم أقدر على تفسير (المعاني في الطبائع) من جهة النظر المعتزلية[3]، والمترجمون يعرضون على أصناف ثلاثة :

- قسم يريد اتخاذ الألفاظ الأعجمية الجديدة وأساليب سبكها وإدخالها في لغتنا، وأصحاب هذا الرأي هم المهاجرون العرب النازلون في أمريكا وأوربا، وعذرهم أن الحياة في تغير وتبدل، وإن هذه الزيادة غنى وثروة للغة.
- قسم لا يريد شيئا من ثروة الأعاجم ولو كان زهيدا، وهم جملة الأقلام في سورية وفلسطين والعراق وبعض مصر، وحجتهم أن الغنى لا يتوقف على ما يعيق حركة جسم اللّغة بل ما يعينها ويمثل دمها وأعضاءها فتكون لها قوة جديدة وعونا وثروة، وإلا فما كان مخالفا لأوضاع العرب ولغتهم فإنه لا يتحداها بل يشينها ويمرضها،لا بد ربما أودى بحياتها.

---

1 – ينظر: د.عمر فروخ المرجع السابق ص 288

2 [illegible] 288

- وقسم يقول بأن خير الأمور أوساطها، فعلينا أن نأخذ من لغة الأجانب ما لايمكن أن نحققه في لغتنا ولا نجد فيه ما يؤدي معناه، أو أن ما يقابله في اللّغة الضادية هو اليوم مجهول فيتخذ المعرب من كلام الأعراب ريثما نعرف ما يعوضه عنه في لغتنا، وأرباب هذا الرأي منتشرون في جميع الديار العربية اللسان.[1]

عملية الترجمة :

التّرجمة أو النقل من لغة إلى لغة ليس بالأمر اليسير فهي أصعب من التأليف نفسه، حيث يستطيع المؤلف اختيار المعاني التي يريدها ويعبر عنها بالألفاظ التي يختارها، أما النقل، فإن الناقل أو المترجم مقيد تماما بالنص الّذي بين يديه، فأولا وقبل كل شيء عليه أنّ يلتزم أربعة شروط معا:

-براعة في اللّغة المنقول منها.

-براعة في اللّغة المنقول إليها.

-معرفة بالموضوع المنقول.

-ثقافة عامة في موضوعات مختلفة[2]

إذ لا يعقل أن يعمد أحد إلى لغة لم يعرفها من قبل فيترجم منها أو عرف بعضا منها كفك هجائها، فليس من الممكن له أن يترجم نصا بكل ألفاظه وتعقيداته، والكلام نفسه حول اللّغة المنقول إليها، والطامة أكبر حينما يكون هذا المترجم بعيدا عن الموضوع لا يعرفه وليس له دراية به، فحتما سينقل منه ما ليس فيه، أو يخلط في معاني النص، أو في أحسن الأحوال يأتي بترجمة حرفية جوفاء.

وأما عن الثقافة العامة في مختلف الميادين، فلأن النص المترجم وليد بيئة صاحبه وثقافته، ولن يخلو من استطراد أو تعليق —مثلا— خارج عن الموضوع المؤلف فيه، فإن لم يكن المترجم ذا ثقافة واسعة نسبيا فقد يفوته من الأمر الكثير كأن يرد في النّص قول أو تعبير ذو دلالة معّنية في مجتمع المؤلّف، أو عبارة من العبارات المسلوكة الشائعة في لّغة المصدر، و لا نبتعد كثيرا فقد تكون بعض الأحداث أو الظروف المحيطة من أسباب كتابة النص ومناسباته، فعلى المترجم أن يتحقق لديه الحد الأدنى من الثقافة العامة كما يحيط بكل الدلالات الحافة للنص.

وللنقل من لغة إلى أخرى طرق عديدة تتفرع عن اثنين:

«الطريقة اللفظية: وهي أن يجيء الناقل إلى كل جملة من النص الّذي يريد نقله فيضع فوق كل كلمة في النص الأصلي ما يقابله في اللّغة التي يريد أن ينقل ذلك النص إليها (وكثيرا ما يلجأ هذا الناقل اللفظي إلى القاموس يستخرج منه معاني الكلمات المطلوبة، وربما اكتفى بالمعنى المألوف في بيئته، وكان يشترط في هذا النقل اللفظي أن يكون عدد الكلمات في النص الجديد من اللّغة الثانية مثل عدد الكلمات في النص الأول). وهذه الطريقة اللفظية يلجأ إليها واحدا من ناقلين: ناقل غير ضليع من إحدى اللغتين أو منهما كليهما فلا يثق بنفسه بل يلقى تبعة ما يختار من الكلمات على القاموس، وأما ثاني دينك الناقلين فهو الّذي يعهد إليه بنقل أثر سام كالكتب المقدسة والوثائق الرسمية.

الطريقة المعنوية : وهي أن يقرأ الناقل النص كله قبل أن يبدأ النقل حتى يستطيع أن يعرف منحى المؤلف الأصلي واتجاه تفكيره ونوع ألفاظه وصورة تركيبية، فإذا عاد الناقل ليبدأ عمله قرأ كل جملة تّامة ثم أدارها في ذهنه حتى يوقن أنه قد فهم معناها ومرماها، بعدئذ يختار لها الألفاظ التي تعبر عن مقصد الكاتب لاعن تراكيبه فقط،

ويسوق الجملة في اللباس العربيّ الموافق، وليس عليه أن يكون عدد الكلمات في جملته مثل عددها في النص الأصلي أو أكثر أو أقل»[1]

وعن التّرجمة الحرفية تحدث "شاكر شقير" عام 1308هـ/1891م فقال:«ولا يجهل أحد أن لكل لغة اصطلاحات وأساليب خاصة لتأدية المعاني فلا يصح إتخاذ الأسلوب الإفرنجي بصورة عربية، ولا العربي بصورة إفرنجية، فالفرنسيون يقولون مثلا c'est bien connu comme bonjour فهل يصح أن نترجمها حرفيا ونقول: (هذا معروف جيدا مثل صباح الخير) ؟ ولكن هذا الضرب من التّرجمة قد غزا العربية كسائر ألوان الدخيل الأخرى، بعيدا عن طرائق العربية الخاصة المؤدية ما تحمله تلك العبارات الأجنبية من مقاصد ومدلولات»[2].

لكن هناك حالة أين يصح هذا النوع من التّرجمة، وذلك إذا طابق المعنى اللغوي للمصطلح المنقول مدلوله الاصطلاحين أو أن أحدهما قريب جدا من الأخر وهكذا أمكن مثلا أن يختار لمصطلح résistance المقاومة، أما إذا كان الاختلاف كبيرا بين المدلولين اللغوي والاصطلاحي للفظ الأجنبي –وهو الغالب–فلا بد من الاعتماد على المعنى الاصطلاحي في وضع المقابل العربي، وإلا أدت التّرجمة الحرفية للنصوص العلمية إلى ارتكاب أفدح الأخطاء[3].

فإن تعذر وضع المقابل العربي للمعنى الاصطلاحي استعين بالقياس، قال "رشيد بقدونس:«وإذا عجزنا أتينا بكلمة عربية واصطلحنا عليها في ذلك المعنى ولو لأدنى ملابسة، وإذا عجزنا عن هذا أيضا فإني أذهب إلى أبعد من ذلك فاخترع كلمة مهملة

---

1 – د.عمر فروخ المرجع السابق ص 288-289

2

من أحرف عربية ثلاثية أورباعية أو خماسية أو سداسية موافقة للأوزان العربية وأضعها لذلك المعنى وأنشرها ولا أستعمل كلمة أجنبية مهما كانت قيمتها»[1].

وربما في هذا الكلام مبالغة، لأنه ليس لأي كان وضع الكلمات في اللّغة، وإلا لأصبحت اللّغة غير اللّغة والكلام غير الكلام، وربما أصوب منه قول أحمد فتحي الّذي خلص لنا إلى النتيجة الآتية: «إذا عرض لنا لفظ أعجمي ترجمناه إلى لغتنا، وإذا تعذرت ترجمته اشتققنا له اسما من لغتنا، وإذ أتعذر ذلك أيضا استعملنا مكان الأعجمي كلمة عربية مصوغة بإحدى طرق المجاز، وإن لم يكن شيء من ذلك نلجأ إلى تعريبه أسوة بالمعربات الشائعة في لغتنا»[2] وتتعد سبل وضع المقابل العربي، ولا بأس أن نعرض للأسس التي وضعها الرصافي وسار عليها فهي:

1-الاشتقاق من الفعل إن وجد

2-استعمال ما استعملت العامة مع إجراء بعض التغيير.

3-التّعريب والاشتقاق مما استعملته العامة

4-التوليد، وذلك بوضع كلمة قديمة لمستحدث جديد[3].

لا جرم أن ترجمة المصطلح الأجنبي مشكل عويص، يستعص على العربية حله إذ أفسحت صدرها للألفاظ الجديدة تعريبا وتوليدا واشتقاقا ومجازا ونحتا واصطلاحا أيضًا.

إلا أن هناك مشاكل أخرى تعترض عملية التّرجمة، لكن من ناحية اللّغة المترجم منها، خاصة فيما يخص المصطلحات العلمية والتقنية أهمها:

---

1 – محمد ضاري حمادي المرجع السابق ص 280

2 [illegible] 204

أ-تعدد مصادر المصطلحات التقنية: إذ يستقى المصطلح من لغتين مختلفتين أو أكثر مما ينجم عنه:

1-اقتراض المصطلح مرتين (من الإنجليزية والفرنسية) مثلا وبالتالي الحصول على إسمين لمفهوم واحد، وهذا ما يؤدي إلى ازدواجية المصطلح في اللّغة العربية.

2-عندما يكون مصطلحات من فصيلة اشتقاقية واحدة ويترجمان إلى العربية فإننا نحصل على مصطلحين عربيين ينتميان إلى فصيلة اشتقاقية واحدة كذلك، أما إذ أترجمنا أحدهما من لغة والأخرى أخرى، فإننا قد نحصل على مصطلحين ينتميان إلى فصيلتين اشتقاقيتين مختلفتين.

ب-ازدواجية المصطلح في لغة المصدر: وإن أقتصر المترجمون على لغة واحدة، فإن ازدواجية المصطلح فيها تنتج عنها ازدواجية في المصطلح العربي واللّغة الإنجليزية مثال على ذلك، إذ تختلف في أمريكا عنها في بريطانيا.

ج-الترادف والاشتراك اللفظي في لغة المصدر: فقد لا يدرك المترجم إلى العربية أن اللفظين مترادفان، فتحدث ازدواجية في المصطلح العربي، ومن ناحية أخرى فإن الاشتراك اللفظي في لغة المصدر قد يؤدي إلى ترجمة المصطلح الواحد بالمقابلين عربيين مختلفين[1]

ها نحن كلما نظرنا في التّرجمة كلما تأكد لنا سؤال : أهي علم أم فن أم ذوق؟؟

ب-الترجمة العلمية :

يقول الدكتور البكري في إحدى محاضراته حول التّرجمة ولغة العلم بأن التّرجمة عرفت منذ أن صار الإنسان يتكلم لغات مختلفة على بقاع عديدة فقد وجد نفسه بحاجة إلى تعلم اللغات الأخرى ليستطيع التفاهم مع أخيه الإنسان في الأسفار

والمعاملات التجارية وعند تبادل الأسرى والمفاوضات في الحروب وغيرها، غير أن المقصود بالترجمة هنا الترجمة العلمية وهي نقل علوم وأفكار من لغة إلى لغة أخرى ومن شعب إلى آخر، وقد عرفتها بعض الجماعات منذ العصور الأولى من الحضارة الإنسانية لاسيما في زمن اليونانيين والرومان، وكانت على شكلين أولهما الشكل المرتبط بالمجهود الفردي كما هو في الترجمة العلمية الحاصلة بين اليونانية والرومانية و السريانية و غيرها، وكانت تحدث بصورة مستمرة وبطيئة خلال فترات طويلة من الزمن إذ لم تكن هناك هيئة مختصة بالترجمة، كما لم يكن توجيه من سلطة عليا ولا رعاية حكومية لمثل هذا العمل، وكانت غايتها الاستفادة من الفلسفة والعلوم على نطاق فردي أو شخصي[1].

«وحديثا بدأت حركة الترجمة بصورة عامة والترجمة العلمية بصورة خاصة، في القرن لماضي، ثم تبعت حتى منتصف هذا القرن بجهود أفراد أو مؤسسات للترجمة والنشر خاصة، ومنذ الخمسينيات أحدثت في بعض الأقطار العربية مؤسسات رسمية تعنى بالترجمات وتشرها في نطاق وزارات التربية أو الثقافة أو الأعلام أو التعليم العالي والجامعات، ولكن المتتبع لهذه الحركة يلاحظ أن الترجمة من مجال الآداب والفنون والجغرافيا والرحلات ومشكلات التنمية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية تأتي في المقدمة وتليها الكتب العلمية بمستوياقا الثلاثة: المبسطة، والمنهجية والموسعة»[2].

وما يمكن ملاحظته على هذه الظاهرة هو أن الترجمة تتوقف مجالاتها على الأشخاص المعينين بها وحسب اهتماماتهم وميولاتهم والكتب الفنية والأدبية والسياسية هي أكثر الكتب انتشارا في عالمنا العربي مقارنة بالكتب العلمية، وكما أسلفنا سابقا أن معظم مترجمي الكتب العلمية معرفتهم ودرايتهم بالثقافة الغربية أكثر من الثقافة العربية،

1 [illegible] 142

وهذا ما يؤدي إلى ترجمة ناقصة غير مؤدية للمعنى الحقيقي والأصلي في اللّغة التي وجدتا النص أول مرة.

ولنا أن نتصور الفجوة الفكرية التي تستجم عن ذلك، صنف إلى ذلك أن معظم الكتب العملية المترجمة لا تعدو أن تكون كتبا مدرسية تستعمل في الدراسات العليا التي بدأ يزداد فيها عدد الدارسين والباحثين في ميادين العلوم الصرفية والتطبيقية ويمتد أثرها بدرجة أقل إلى ميادين العلوم الإنسانية والفنون أيضا لمتابعة التطورات الحديثة[1].

غير أن ما تعانيه التّرجمة هو كون المترجمين للعلوم غير متخصصين في مجال ترجمتها والعالم أو المترجم إذا أتقن اللغتين استطاع إتقان التّرجمة بينهما من غير عثارو لاكبوة وذلك ما يرجوه علماؤنا اليوم[2] خصوصا في محاولات ترجمة القرآن ويقول محمد أركون:«ونلاحظ هنا أنه من الصعب ترجمة مفردات القرآن وصياغته إلى لغتنا الحديثة المعلمة أي المنزوع عنها غلاف التقديس (كاللّغة الفرنسية مثلا) فهذه اللغات أصبحت مقطوعة عن أنظمة الدلالات الحافة والمحيطة الخاصة بالخطاب الديني في اللغات السامية (كالعربية والبرية مثلا)»[3].

كما أن في ترجمة أو نقل النصوص من لغة إلى ثانية طريقة فاسدة تتميز بإعجاب القارئ بالكتاب الّذي يود ترجمته فيتخذ مجريان في ترجمته:

1-بعد قراءة الكتاب يأخذ الجمل التي تعجبه أو التي يظن أنها أعجبته أو أنه فهمها فيجعلها في لغة من عنده قد تكون معبرة عن النص الأصلي وقد لا تكون.

---

[1]- ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 179

2-أحيانا يحذف الجمل الصعبة التي بإمكانها أن تكون حاملة لمعان جيدة وجديدة، ثم يذكر على غلاف الكتاب أنه قد نقله أو يهمل ذلك تماما[1].

وكم هو صعب وشاق أن يبدع نفر و يجددوا ويشقون في التعريب ثم يأخذ إنتاجهم مترجمون يشوهون الفكر إذا نقلوه ويكرهون الناس بالعلم الّذي صوروه، فإذا كنّا قد أيقنا أن نقل الفكر العلمي إلى العربية ضرورة لازمة فسيكون ذلك أمرا خطيرا لا يجب أن تغض الطرف عنه[2]. ويدخل في نطاق الاهتمامات الأولية الكتب المدرسية التي يتوجب أخذ الحذر في ترجمتها ويجب معرفة كف وماذا يترجم، فأول ما يلفت الانتباه المصطلحات العلمية ولاسيما التكنولوجية منها[3].

فوضع المصطلحات جديدة في أية لغة لتقابل ألفاظا اختصاصية مستحدثة في لغة أخرى من الأعمال الاختصاصية التي يلزم لمن يقوم بها أن يكون متمكنا في كلتا اللغتين فضلا عن وجوب المعرفة الدقيقة بالمدلولات العلمية أو الحضارية لتلك الألفاظ، ولما كان كثيرون من المتخصصين في العلوم ولاسيما بعض الّذين حصلوا على تخصصهم في بلاد أجنبية، تعوزهم المعرفة الكافية باللّغة العربية ووسائلها في الاشتقاق ونحوه -كما أسلفنا سابقا- فلا بد لهم في هذه الحالة بالاستعانة بأهل اللّغة عند وضع المصطلحات العربية أو اختيارها.

ولعل هذه الأسباب لا تكفي واضع المصطلحات أن يكون عارضا باللغتين متمكنا فيهما لقيامه بهذه المهمة، لأن ذلك لا يمكن أن يغنيه عن العالم المتخصص في مادة المصطلح العارف بدقائق مدلولاته العلمية التي كثيرا ما تقصر الدلالة اللغوية عن

---

[1]- ينظر: د.عمر فروخ المرجع السابق ص 200

[2]- ينظر: د.أحمد سعيدان، ترجمة المطبوعات العلمية ومشاكلها نقلا عن أبحاث ملتقى الكتاب العربي

إظهارها[1] وقد أكد ذلك الجاحظ بقوله أن المترجم يجب أن يكون «أعلم الناس باللّغة المنقولة والمنقول إليها».

وقوله أيضا:«لابد للترجمان أن يكون بيانه في نفس التّرجمة في وزن علمه في نفس المعرفة»[2]. وذلك ما يؤكد لنا ضرورة تدريبا المترجمين تدريا كافيا وملما بكل جوانب اللغات التي يودون التّرجمة منها وإليها، وفق أسس علمية صحيحة وواضحة وميسرة، ولم لا نحتذي بالجاحظ الّذي وضع أسسا للترجمة وأوضح ما يحتاج إليه المترجم وما وقع فيه المترجمون من أخطاء ومن تلك الأسس:

1-أن يكون المترجم عارفا بالموضوع الّذي يترجمه.

2-أن يكون بيانه في التّرجمة في وزن علمه بالموضوع الّذي يترجمه.

3-أن يكون عالما باللغتين المنقول عنها والمنقول إليها.

4-أن يكون عارفا بأسلوب المترجم وعباراته وألفاظه و مجازاته وتأويلاته.

فكانت هذه القواعد منهجا عالميا دقيقا لم يستفد منه المترجمون الأوائل ولكن استفاد منه الّذين تلوهم، وقد اختلفت طرائق التّرجمة ومنها ما ذكره صلاح الدين الصفدي فيها نقل البهاء العمالي في «الكشكول» : للترجمة في النقل طريقان أحدهما:

أ-طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمص وغيرها: وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ما تدل عليه من المعنى فيأتي الناقل بلفظة مفردة من لكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبها وهذه طريقة رديئة لوجهين:

---

[1]- ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 231

أحدهما: إنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا أبقي خلال تعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها.

الثاني: أن خواص التراكيب والنسب و الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازيات وهي كثيرة في جميع اللغات.

ب-الطريق الثاني : في التعريب: طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللّغة الأخرى بجملة تطابقها سواء سايرت الألفاظ أم خالفتها، وهذا الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن فيما بها بخلاف الطب والمنطق والطبيعي والإلهي فإن الّذي عربه منها لم يحتج إلى إصلاح[1].

«والّذي حصل فعل أن الجاحظ لم يستطع -كمنظر-أن يرسم مسارا لنظريته مجردا من خلفيته الإيديولوجية، وهذا الاعتبار لم يقف عند نموذج المترجم ولا عند مادة التّرجمة، بل تعداها إلى نظرية التّرجمة التي لم تسلم من النظر المجرد والتأمل في قضايا الكون الكبرى كقضية وجود سبب نشأت عنه الأكوان»[2]، وفي الأخير نقول أن بين هذا وذاك يبقى المترجم مرتبطا بإيديولجيتة التي تحدد مساره في التّرجمة إذا لم يتمكن من إتباع قواعد وقوانين تحكم التّرجمة الصحيحة.

ج-ترجمة العلوم :

ترجمة العلوم ليست كغيرها من الترجمات، فمواضعها حساسة دقيقة يجب أن تؤخذ بعناية وفهم جاد ودراية محيطة بكل جوانب تلك العلوم التي يراد نقلها من لغة لأخرى.

وهي عالم واسع وكبير يجب على داخله أن يتميز بالقدرة والمعرفة بكنهه وأسراره ليضمن الجودة والنجاح لعمله، وإذا انصرفنا إلى ترجمة المطبوعات العلمية، فأول ما يستوقفنا كالسد العالي هو المصطلحات التي تحتويها هذه المطبوعات الضخمة، الكثيرة والمتزايدة نبدو حيالها -مهما بلغت قدراتنا وإمكاناتنا كما قال أحدهم: كمن يكيل البحر بقبعته[1].

وكثيرا ما قادت هذه الترجمة أصحابها إلى الخطأ «ومن الثابت عندنا أن عهد الترجمة كان عهد اضطراب في هذه العلوم المترجمة ردت فيه التبعة على المترجمين، ثم انجلت الرغوة وعمل الفكر العربي الوقاد عمله فصحح أغلاط الفلاسفة وصحح نظريات الرياضية وجاء دور الاجتهاد في هذه العلوم، فأستقل الفكر العربي بالفلسفة وكيفها على ذوقه الخاص»[2]، وبذلك ظهرت الترجمة بشكل واضح وبالضبط في العصر العباسي إذ قام العباسيون بنقل العلوم اليونانية والسريانية، والهندية إلى العربية بشكل واضح ومستمر فباستقرار الحكم في بغداد أخذت الدولة العربية الجديدة بالتوسع وبالتالي ظهرت الحاجة إلى علوم جديدة كالطب والحساب والهندسة لتدعم أركانها وجباية ضرائبها وإقامة المشاريع العمرانية، والزراعية و إلا روائية فيها فأخذ العرب ينقلون هذه العلوم في اللغات الأخرى بواسطة عدد كبير من المترجمين العرب والذميين

---

[1]- ينظر: د.أحمد سعيدان المرجع السابق ص 120

[2] [illegible] في الأدب والنصوص والنقد والتراجم

الّذين يعرفون اللغات الأجنبية إلى جانب العربية[1] ومن أهم ما ترجم لليونانيين في صناعة الهندسة هو كتاب الأصول أو الأركان (لإقليدس) ويعتبر أو ما ترجم من كتب اليونانيين في الإسلام أيام أبي جعفر المنصور ونسخة مختلفة اختلاف المترجمين فمنها لحنين بن إسحاق ولثابت بن قرة وليوسف بن الحجاج.[2]

وقبل الحرب العالمية الأولى بدأت العربية تنتعش وذلك بفضل الجهود التي بذلها محبوها والمخلصون لها كما طالب هؤلاء المخلصون بتعميمها في المؤسسات وجعلها لغة التعليم والتدريس والمحاكم والإدارات وكان للعراقيين السبق فيها حيث درسوا بها لكنهم واجهوا الصعاب والعقبات جراء قلة الكتب أو انعدامها التام مما جعلت فكرة العربية أمنية يصعب تحقيقها. ولكن من الغيار على اللّغة من قام بوضع بعض الكتب أوترجمتها عن التركية، ومنهم يوسف عز الدين الناصري الّذي ترجم كتاب «التاريخ العثماني» وكتاب «تجويد القرآن» و«الجغرافية العثمانية» و«الأشياء والصحة» وعبد المجيد الخوجة الّذي ترجم «مبادئ الحساب»[3].

وتماشيا مع حركة التّرجمة هذه قد وضع " الكرملي" مصطلح (الفيزياء) لعلم الطبيعة فنقده صديقه "التنوخي" من منطلق مخالفته لقواعد العربية ومغالاته في اختيار الألفاظ وخروجه فيها عن العادة التي رآها فيه جل النحاة من أصحاب بسيبويه ومعارضها، كما أفكر عله وضع ألفاظ أخرى في كتابه «مبادئ الفيزياء» لنفس السبب[4].

وفي غمار نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللّغة العربية، وفي مجال"صعوبة" إيجاد مصطلحات مناسبة وملائمة تؤدي غرضها وقصدها —الأجدر إعادة النظر—.

---

[1]—ينظر :د.عادل البكري المرجع السابق ص 142

[2]– ينظر: د.عمر فروخ المرجع السابق ص 283

[3]

فيما جعله السابقون في الأسماء التي قيل إنها قياسية وحصرها حصرا كاملا بالوسائل التقنية الحديثة ليتاح للباحثين في عصر الذرة التطوير والتجديد وإجازة القياسات للصوغ منها أو على شاكلتها ومن ثمة تتم قيادة البحث العلمي والتقني إلى إيجاد أسماء للحيوان والنبات تصاحب العصر والحداثة[1] ولتبعد عن مخيلة باحثينا وكتابنا مزاعم النفر القاصرين في أن ترجمة الطب والهندسة وغيرهما صعبة، أو متعسرة وهذا ستر للعجز العلمي والخلقي... ويقول الإمام الشيخ محمد الغزالي، أنه قد قرأ كتابا عن الحميات بالعربية للدكتور إبراهيم حسن، وكتابا عن الأمراض التناسلية والجلدية للدكتور حبيب موسى، وهما في عصر هما من أعلام الطب، وما عجزت لغتنا عن استيعاب المعاني كلها، وقال أيضا بكل أنفه وعزة وفخر بالعربية:«إنني أحتقر أي امرئ يطعن العربية دون غيرها من اللغات الأوروبية والاسيوية وهي لغات إنتقل إليها الطب و لم تنتقل هي إلى الطب»[2]

2-التعريب :

مفهومه:

التعريب: لفظه أصبحت متداولة و شاعت بين طبقات متميزة من الناس، و إن كانت طبقاتها الثقافية والعلمية، فتحت أبوابا واسعة أمام الجدل والتوسعات اللغوية والأدبية كمحاولة للإبانة عن كنه هذه اللفظة وتستمر البحوث والدراسات ليختلف تعريف التعريب، باختلاف باحثيه واختلاف نظرتهم إليه فهناك من يعتبره وسيلة لتجديد المصطلحات فقط، وهناك من يعتبره وسيلة للحفاظ على مبادئ الأمة التي لا تفسرها إلا العربية الفصحى وذلك ما سنوضحه فيما سيأتي وهناك من يعتبره من قبيل الدخيل.

---

1 [illegible] 45

«فالتعريب له معان لغوية متعددة ويقول الأزهري: الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة، ويقال: أعرب عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح، وأعرب عن الرجل بين عنه، وعرب عنه تكلم بحجته... ويقال، عربت له الكلام تعريبا، وأعربت له إعرابا إذا بينته وعربه علمه العربية، وتعريب الإسم الأعجمي إن تتفوه به العرب على منهاجها نقول: عربته العرب أو عربته أيضا»[1].

فالتعريب هو إزالة الغموض عن الشيء ليصبح واضحا وبينا، أما أحمد مطلوب فيعرفه بأنه جعل الإنسان عربيا إذا دخل في العرب، مثل ذلك جعل اللفظة الأجنبية عربية إذا قبلتها اللغة واستساغتها الأذواق[2].

ويوافقه شحاذة الخوري إذ يرى :«التعريب هو أن يلفظ العرب بالكلمة الأعجمية على طريقتهم، ويسمى الدخيل، والتعريب قديم، ولا ضيرفيه إذ أن جميع اللغات يقتبس بعضها عن بعض»[3].

بهذا يكون التعريب هو إزالة العجمة من المصطلحات لتصبح مقبولة الاستعمال في اللغة، وبعض آخر من الباحثين يرى في التعريب ظاهرة تلتقي من خلالها اللغات ويسهل التعامل بمصطلحاتها فيما بينها[4]، لا يقتصر الأخذ في هذه الحال على الأفكار وحدها بل يتعداها إلى الألفاظ لذا يقول: محمد عبد الغني حسن معرفا التعريب–من وجهة نظر أخرى– بأنه منصب على الألفاظ لاعلى الأفكار[5].

---

[1]– عبد الكريم خليفة المرجع السابق ص 48

[2]– ينظر: أحمد مطلوب المرجع السابق ص 20

[3]– شحاذة الخوري المرجع السابق ص 183

وأحيانا يطلق على التعريب إسم الاستعارة وهي عملية تعرفها اللغات عموما حينما يعمد ناطقو لغة ما إلى استعارة ألفاظ من لغة أخرى لما تدعو الحاجة إلى ذلك فتطرأ تغيرات صوتية وصرفية على الألفاظ المستعارة تجعلها تنسجم مع بنية اللغة المستعيرة ويسهل الاندماج فيها، والاشتقاق منها، ولهذا فقلما وجد الدخيل الصرف، مما حدا بغير المختصين بإطلاق لفظي الدخيل والمعرب على اللفظ المستعار واستخدام هذين اللفظين وكأنهما مترادفان[1].

ومن هنا يكون التعريب هونقل لفظ من غير العربية إليها مستعملا في معناه مع نوع من التغيير[2]

ولما كان يؤخذ كوسيلة من وسائل التجديد أو احداث الجديد فتح الباب أمام اللغة لتبحر بسفن ألفاظها وعباراتها، بحثا عن ذاك الجديد، لتحدد مذاهب العرب في استعمال الأعجمي وفي تسهيل التعرف عليه[3].

ونجد الكرملي قد أراد بالتعريب ما يلي:

1-استعمال العربي وليس إدخال الأجنبي وفق أبنية العرب، فقال:«وهذه الألفاظ العربية توقعك على المعاني وقوع العقاب على فريسته فلا يختلط عليك معنى... وهذا فضا لغتنا على سواها كما هو فضل التعريب الصادق على إدخال الأعجميات في لغتنا مع ما فيهامن الفخامة والرطانة والغلظة والمنجهية».

2-معناه القديم الذي عرفه العرب، وذلك بصقل الكلمة لتكون جارية على أبنية العربية وذوقها، قال عن كلمة «الدفترية»:«ولا مانع من متابعة بعض المتهوسين للغات الإفرنج في تعريب اللفظة لكن لتعرب بصورة "دفترية"[4].

---

[1] – ينظر: د.علي القاسمي المرجع السابق ص 100

[2] – ينظر: العلامة البناني المصدر السابق ص 327

[3] [illegible] 48-49

ونخلص في الأخير إلى لفظ تعريب قد حظي بالعديد من التعاريف والدلالات التي يمكن تلخيصها فيما يلي: وبداية تجب الإشارة إلى أن:
الفلاسفة وعلماء الدلالة يتفقون على عدم وجود رابطة حتمية أو مادية أزلية بين الدال والمدلول أي بين اللفظ ومعناه، وإنما يكتسب اللفظ معناه من تواضع جماعة الناطقين عليه ويستطيع الباحث أن يستخلص معنى اللفظ أو معانيه من إستقراء الاستعمال، أي من دراسة النصوص المكتوبة المنطوقة التي يرد فيها اللفظ.
وبعد استقراء الاستعمال اللغوي الحديث للفظ (التعريب) نجد أن لهذه الكلمة أربع دلالات رئيسة ترتيبها من الخاص إلى العام:

1-التعريب هو نقل الكلمة الأجنبية ومعناها إلى اللغة العربية كما هي دون تغييرفيها أو مع إجراء تغيير وتعديل عليها لينسجم نطقها مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربية لتتفق مع الذوق العام للسامعين، ولتسيير الإشتقاق منها... ويطلق على العملية برمتها الاقتراض اللغوي أو الاستعارة اللغوية كما سبق ذكره.

2-التعريب هو نقل معنى نص من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، وقد يتألف النص من فقرة أو كتاب كامل، والتعريب بهذا المعنى مرادف للفظ (ترجمة).

3-التعريب هو استخدام اللغة العربية لغة للإدارة أو التدريس أو لكليهما.

4-التعريب هو اتخاذ قطر بأكمله اللغة العربية لغة حضارية له أي تصبح لغة التخاطب والكتابة السائدة فيه وتمثل الثقافة العربية الإسلامية، وفي حقيقة الأمر استخدم التعريب بهذا المعنى في صدر الإسلام إبان الفتوحات الإسلامية وبعدها حينما قام العرب بفتح العراق والشام وغيرهما وتعريبها خلال القرون الثلاثة الأولى.

والتعريب بهذا المعنى عملية تمت نتيجة لتظافر عوامل ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية تجلت في توسيع الحدود الجغرافية والبشرية للعرب الذين حملوا الثقافة العربية الإسلامية معهم واستوطنوا الأمصار ونشروا الاسلام[1].

«ولقد نشط العرب منذ أواخر القرن الماضي وكان التعريب أهم قضية شغلت المفكرين والمخلصين من أبناء البلاد، وأخذ مصطلح التعريب عدة اتجاهات:

الأول: تعريب بمعناه القديم وهو نقل اللفظة الأعجمية إلى العربية وهو مايسمى "المعرب".

الثاني : الترجمة وهو نقل الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وهو ما أشار إليه الصفدي عند كلامه على الترجمة فقال: «الطريق الثاني إلى التعريب»...

الثالث : التعريب بمعنى التأليف والتدريس باللغة العربية، وقد تدخل الترجمة والتعريب بمعناه القديم أي "المعرب"[1]

ضرورة التعريب :

«التعريب تحويل طبيعي أو تغيير تدريجي يطرأ على اللغة ويجرى بها في ناموس مطرد وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ومن أول نشأتها كما تخضع له الآن وبعد الآن، وإن تعريب الكلمات الأعجمية في اللغة بمثابة حركة الاستمرار أي أنه عمل قام به واضعو اللغة أنفسهم مضطرين إليه بسائق طبيعي في أول عهد الوضع ثم اتصل بنا نحن وجرينا عليه وليس هو مما حدث فينا أو اصطلحنا عليه ولم يعرف الواضعون الأولون»[2].

وبما أن التعريب يعد حركة من حركات الاستمرار فهو ضروري إذن للحياة اللغوية أو حياة المصطلحات، وأهميته تكمن في بدايته أساسا حين لجأ العرب إليه منذ العصر الأموي وعد بمثابة الكرامة للدولة العربية آنذاك وله الشأن الرفيع في إعلاء صرح الدول ذات السيادة، ويروي ابن النديم في الفهرست حادثة عن محاولة الفرس لفرض لغتهم على العرب ومنعهم التعريب الذي لجأوا إليه للتخلص من الاستعمار الثقافي

[1] [illegible] 18-19

الفارسي وخلاصة ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفي أمر أحد المترجمين المعروفين وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم بترجمة المعاملات الرسمية في ديوان الدولة من الفارسية إلى العربية، فلما علم الفرس بذلك حاولوا منع هذا المترجم من العمل وتعهدوا بدفع مائة ألف درهم كرشوة له ليثنوه عن التعريب ولكن محاولتهم هذه لم تنجح.[1]

فهل دفع الحجاج بذلك المترجم إلى الترجمة لغرض الترجمة أم لضرورة أكثر أهمية؟ وبأكثر دقة : هل التعريب ضرورة؟ يجيب د.علي القاسمي :«فللتعريب ضرورات سياسية وإجتماعية و اقتصادية و حضارية ونفسية و تربوية و لغوية .

فمن ناحية سياسية: لا يعد إستقلال البلاد إستقلالا ناجزا مالم تستكمل إستقلالها الاقتصادي والثقافي وليست اللغة الأداة المعبرة عن الثقافة فحسب بل هي الوعاء الذي تنصب فيه تلك الثقافة وتتأثر بإبعاده وتكوينه.

ومن ناحية إجتماعية: تقوم اللغة القومية بوظيفة أداة الاتصال التي تربط بين أبناء الأمة الواحدة في حاضرها وبين أجيالها السابقة واللاحقة.

ومن ناحية إقتصادية: تتوقف خطط التنمية الاقتصادية على تفهم جميع قطاعات الشعب لها وتعاونهم في سبيل تنفيذها، ولايمكن تحقيق ذلك إلا من خلال المؤسسات التعليمية والإعلامية، كالصحافة والإذاعة والتلفزة وهذا يتطلب أساسا محو الأمية، ومعروف أن محو الأمية لايتم باستخدام لغة أجنبية.

ومن ناحية حضارية: نعلم أن العرب حملة مشعل حضارة عالمية هي الحضارة الاسلامية ومن واجبهم تقديم العقيدة الاسلامية إلى العالم أجمع خدمة للإنسان في كل مكان وكانت إرادة الله عز وجل أن يتخذ الدين الاسلامي من اللغة العربية لغة أساسية له يترل بها القرآن الكريم وتتلى بها الصلوات، وتؤدي بها مناسك الحج، وتتدارس بها الشريعة وفقهها، وأصبح تعلم العربية من أولى واجبات المسلم الذي يرغب في التفقه في دينه.

ومن الناحية النفسية: أشار علماء النفس إلى أن تلقين الطفل العلوم والمعارف بلغة أجنبية يخلق فيه عقد نقص والشعور بالإنحطاط.

ومن الناحية التعليمية والتربوية: ثبت بالخبرة والتجربة أن الطلبة الذين يتلقون المادة العلمية بلغتهم يستوعبونها بصورة أعمق مما تلقوها بلغة أجنبية ويذكرونها لمدة أطول.

ومن الناحية اللغوية: نقضي على اللغة العربية بالجمود فيما إذا رفضنا استخدامها في تدريس العلوم والتقنيات فنمو اللغة وتطورها يسير وفق قانون الاستعمال والإهمال»[1].

على هذا يكون التعريب من أهم الوسائل التي تنهض باللغة العربية وتعشها من جديد فهي تمثل أحد النظم الاجتماعية الأساسية التي نشأت مع الحياة الاجتماعية، مثل الخليفة حيث سارت معها حذ والنعل بالنعل، وإذا خلت المجتمعات من بعض النظم الاجتماعية فإنها لا تخلو أبدا من النظام اللغوي لأنه شرط للمجتمع والانسان حيوان إجتماعي بطبعه.[2]

«وقد كان عبد القادر المغربي من أكثر العلماء تحمسا للتعريب وكان يراه طبيعيا في العربية وغيرها من اللغات وإن المعرب لايحط من قدر فصاحة الكلام وقال أنه ليس عملا بدعا وليس وجود اللفظ المعرب في جميع اللغة العربية كوجود جسم غريب في جسم الانسان من حيث يضر بقاؤه و تجب إزالته»[3] إلا أن العديد من الناس مازال يستعمل ألفاظا أجنبية كما هي ولو وجد لها معرب يقابلها فمثلا كلمة "مذياع" تكاد تختفي تماما وتموت بسبب انتشار إسم "الراديو" بالرغم من أن الكلمة (مذياع قد نحتت على وزن سروال، وقسطاس، وحرص على نشرها، ولكن مستقبل الكلمة لم يستقر بعد)[4].

---

[1] – د.علي القاسمي المرجع السابق ص 135-140.

[2] – ينظر: د.أحمد نعمان المرجع السابق ص 46

[3] ...

«أليست اللغة كيانا متطورا قابلا للنماء؟ يقولون بلى إذن فكيف تنمو وتتطور إن لم تكتسب صيغا وألفاظا جديدة؟ وكيف تحيا إن منعت من التطور والنماء»[1].

فالأجدر بنا أن نحافظ على الصيغ التي اكتسبتها لغتنا والألفاظ الجديدة التي دخلت إليها من سبيل التطور والنمو كي ما يختلط ما ابتكر واستحدث بما هو في الأصل دخيل وغريب عنها، فما دامت شعوب الأرض متصلة فيما بينها ومحتكة مع بعضها الاحتكاك الطبيعي الذي فرضه الوجود فلا يستطيع أحد أن يجزم بأن هذه اللغة أو تلك في منجاة من الدخيل المقترض من لغات الأقوام المختلفة التي حدث معها الاتصال أو الاحتكاك لأنّ الاقتراض مسألة جائزة، ومبدأ قديم، بيد أن المجتمعات التي نالت نصيبها من العلم والحضارة، والتي تبتغي أن تحفظ للغتها سماتها الثابتة المستمرة لاترضى أن تترك لغاتها لذلك الطوفان بل أنها تعمل على تنظيم هذا الدخيل، والحد من تدفقه وتحذره، مدركة أن قبوله في كل حال خطأ وخطر.[2]

أما عباس حسن «فحجته في التعريب أن فيه فائدة قد تكون أجل فوائده هي إشاعة المصطلحات العلمية والفنية بين الناطقين بالعربية، وهي مصطلحات عامة عالمية تكاد تكون مشتركة بين العلماء والباحثين والمخترعين في مختلف البلاد المتحضرة، فمعرفة نصوصها تمكن الباحثين من معرفة مسمياتها الحقيقية معرفة دقيقة ليس فيها ولا إبهام فيتابعون ما يدونه الفنيون عنها وما يطرأ عليها في البلدان الأجنبية»[3] وبذلك تكون عملية تعريب الفنون محتاجة لمعرفة واسعة باللغة المعرب منها، كما أن "عباس حسن" نفسه يرى بأن تعريب الأعلام والأجناس والمصطلحات، أمر لا مفر منه سواء أصقلت أم بقيت على حالها دون صقل.

---

[1] ـ د.أحمد سعيدان المرجع السابق ص 127

وإذا ما انتشرت المصطلحات المعربة بين أصحابها ومهتميها ومتخصصيها، وسعت رقعة استعمالها وشيوعها وأصبح انتشار العلوم سهلا وميسرا، يقول المغربي «وبذلك انتظم أمر تلك العلوم، وإتخذت طريقتها واصطلاحاتها بين أربابها المشتغلين فيها، وهذا ما نصبوا إليه في هذه الأيام وحسبه من أكبر دواعي تقدمنا، واتساع نطاق لغتنا، وانتشار العلوم على أنواعها في ما بيننا» فإلغاء هذا التعريب أو حظره حظرا مطلقا تحجير للواسع، وحرمان لحق سبقنا إليه العرب إن في زمن الاحتجاج أو بعده في وقت نحن فيه أحوج منهم إليه وإلى كل سبيل سوي نجد فيه العون على مواكبة المصطلح العلمي الحديث»[1].

وتبقى الدعوة الجادة إلى التعريب لاتحمل من قريب أو بعيد انغلاقا على العالم المتمدين أو تدعوا إلى الجهل باللغات الحية، أوتقوقعنا داخل معارف لغتنا وحدها، فالذي يعتز بشخصيته يعتز بلغته والذي يعتز بلغته يعتز بفكره ومن ثم يكون حرصه دائما على إمداده بالزاد[2].

وبين شد و مد نجد قضية مهمة نواجهها في مجال التطبيق على أرض الواقع هي أن بعضهم أو بالأحرى بعض الفنيين لا يرى في التعريب سوى وسيلة للتعبير عن الحاجات العلمية أو الفنية التي إقتضاها العصر تعبيرا سهلا يبحث على التفاهم الدقيق غير مكترث بالبلاغة التي تحتويها اللغة وآدابها غير أن هناك بالمقابل من يتوخى المحافظة على سلامة اللغة وقواعدها من الألفاظ الغريبة والدخيلة خشية أن يطلق لها السراح كلية فتتغلب على ما هو أصيل وتمحوه لتحل محله وبذلك يتهاوى صرح العربية ويشوه رونقه وتتناثر قواعده وجمالياته كهشيم تذروه الرياح.

وإذا قيل في المعرب أنه لا بد أن يكون على وزن عربي من الأوزان القياسية والسماعية، فما ذاك إلا حذرا وخوفا على العربية من أن تفقد قوتها وتضعف وتصبح قابلة للتغيير أو الزوال مطلقا لذلك وجب أن يتقيد التعريب[1].

ومهما كثرت المصطلحات الأجنبية التي نود نقلها إلى اللغة العربية، ومهما وجدنا من صعوبة في نقلها ومهما ازدادت هي غزارة فستبقى العربية أوسع وأشمل لنقل الكثير من المصطلحات وتعريبها وفق ما ترتضيه الأذن العربية والذوق اللغوي، وتماشيا مع قواعدها ومبادئها بطبيعة الحال.

التعريب والترجمة :

بين التّعريب والترجمة تكمن نقطة الخلاف، يوضحها مفترق طريق يصب في نهاية واحدة وهي حصولنا على مصطلحات عربية أصيلة تمنح لغتنا الاطمئنان على قواعدها وأساليبها الرائعة والبارعة في البيان، والتّعريب إنما هو وسيلة ذات هدفين:

1-الهدف الأوّل: يتمثل في الحصول على أكبر قدر ممكن من الألفاظ والمفردات والعبارات العّربية تجعل العّربي مسلحا ضد أي لفظ أجنبي وهذا يقودنا نحو الهدف الثاني.

2-الذي هو الترجمة: ترجمة كل ما هو أجنبي للعربّية، وإذا عجزنا عن الترجمة نعود للتعريب الذي يعتبر كبديل لها إذا ما عجزت أو أصابها قصور ف «التّعريب من طرائق إغناء اللغة العّربية بالأفكار والأسماء والمعاني، وهو عملية تقريب المفاهيم إلى عقولنا»[2]، وقد توسع مفهوم التّعريب حديثا إذ أصبح كل من يتحدث عن التّعريب يقصد به كل الميادين الفكرية دون استثناء (طب، فنون، لغات) غير أن التّعريب يدخل في عامة الغاية من الترجمة أي نستخدمه كوسيلة أخيرة يمكننا اللجوء إليها في حال عجز الترجمة والبعض يعتبر الترجمة هي المفضلة عليه[3]

---

[1]- ينظر: عبد الكريم خليفة المرجع السابق ص 49

[2] [illegible] 135–136

ولسوء الحظ أن التّعريب قد غفل عنه الكثير من العلماء أو حتى المترجمين أنفسهم لأن الترجمة كانت في الزمن البعيد وسيلة وحيدة لنقل العلوم والفنون والآداب رغم أن التّعريب هو الأخر كان قد مر عبر العصور لكن من خلال دلالات اصطلاحية.

تعبر عن ظواهر لغوية معينة واستمرت هذه الظواهر بهذا الاتجاه حتى صارت مع الوقت الحاضر تكتسب مفهوما واسعا يفيد نقل العلوم والفنون —كما أسلفنا الذكر— والآداب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.

وإذا أردنا التفريق بين الترجمة أو النقل والتّعريب في ميدان نقل المعارف والعلوم فهذا الأخير يضفي عليها نوعا من الأصالة العربية بينما الترجمة تفيد المعاني فقط فتصبغها بالجمود و إلا إيحائية[1] .

ونخلص إلى القول بأن التّعريب ليس هو الترجمة أو النقل للتراث الحضاري من لغات أجنبية إلى لغتنا العربية وإنما التّعريب عندنا هو عودة الشخصية الوطنية إلى كيانها الأصلي والحقيقي، وهذا أيضا جانب من جوانب التّعريب المقصودة لدينا- بعد إن كاد الاستعمار بما خلفه من بقايا القضاء على الهوية العربية[2]

أ-أسسه :

أسس عامة :

للتعريب ضرورات مختلفة تعتبر من مقومات المجتمع والأمة ككل من اجتماعية وسياسية وتعليمية أو دراسية، وهذه الضرورات دفعت العلماء إلى تحديد شروط له

ومقاييس حتى يصبح هذا التعريب صحيحا ويتماشى مع الأصالة العربية. واقتراض العربية للمصطلحات أو الكلمات الأجنبية كان له دوافع مختلفة وعديدة نذكر منها:

1-الحاجة إلى المصطلحات.

2-الإعجاب بالمصطلح أو التفكه.

3-وكان الاقتراض لا يتم عادة إلا بهما أو بأحدهما[1]

ولا تقترض الكلمة جزافا وإنما الإنسان العربي معروف بالذوق السليم والعقل المميز لما هو صالح وما هو غير صالح، وبذلك يكون الراصد لعملية التعريب، هو الرقيب العقلي، فالأول يقوم بمهمة قبول الكلمة المعربة من وجهتين:

1-تركب حروفها.

2-صوت النطق الصادر سماعيا لهذه الحروف.

والثاني: يقنع العقل بقبول المفهوم الجديد أو رفضه وهنا نلمس الجانب العربي الذي يخضع القبول أو الرفض للمقاييس العربية ويكون بمثابة الرقيب المطالب بانضباط الكلمة المعربة على القياسات اللغوية والقاعدية[2].

هذا فيما يخص المصطلحات والكلمات أما الأعلام مثلا والأعلام الأجنبية فنجد "الراوي" مثلا يقول بأنه: لا يبحث في العربية عن أصول اشتقاقها أو جمودها وإنما تستعمل أعلاما في العربية كما كانت أعلاما في الأعجمية ولا يدخلها من التصريف إلا أحكاما مخصوصة من جمع وتصغير ونحوهما، فلا يجوز أن يقال "إبليس" مثلا مأخوذة من "الإبلاس" بمعنى اليأس والانكسار و"إسحاق" من أسحقه الله إذا أبعده، لأن "الإبلاس والانسحاق" لفظان عربيان، و"إبليس" و"إسحاق" علمان أعجميان ولا يعقل أن يشتق الاسم الأعجمي من لفظ عربي، ولكن يجوز أن يؤخذ من بعض الأعلام

1- ينظر: محمد ...

بعض التصاريف مثل "دولب" إذا قصد"دولاب" وهي مدينة أعجمية عن هذا القسم الأول من المعرب الذي هو الأعلام والأعلام الأجنبية، وأما الثاني فهو أسماء الأجناس المعربة فكذلك في الأجناس لا ينبغي الحث في العربية عن اشتقاقها لأنّ هذا، لاشتقاق إما أن يكون أصله غير عربي فيؤدي إلى الخلط الذي يقود إلى التخليط، وإما أن يكون الاشتقاق من لفظ عربي وهذا مجال لأنّه لا يجوز اشتقاق الأعجمي من العربي كما لا يجوز العكس، لأن الاشتقاق يكون في اللغة الواحدة والتوليد لا يكون إلا في النوع الواحد، وأما الاشتقاق من أسم جنس الأعجمي المعرب فمعروف في العربية شائع فيها، والعرب كثيرا ما تجري على هذا الضرب من المعربات الأحكام الجارية على العربي الصميم، فقد تصرفوا في "اللجام" المعرب تصرفهم في لفظ عربي أصيل فقالوا: «ألجم يلجم إلجاما وفرس ملجم وقالوا :«تلجم يتلجم تلجما» وأما الاشتقاق من اسم الجنس الأعجمي المعروف فمعروف، والعرب كثيرا ما تجري على هذا الضرب من المعربات الأحكام الجارية على العربي الصميم.[1]

ويتبين لنا أن التعريب قد شكل للقدماء خطوة صعبة وحتى المحدثين منهم، فمنهم من قصر التعريب على الأجناس والأعلام ومنهم من رآه في المصطلحات العلمية التي يكثر استعمالها في الحياة اليومية والمصطلحات التقنية ومنهم من اعتبره أساسا لحماية العربية من الدخيل والغريب.

هذا عبد الله العلايلي يقول عن ظاهرة التعريب :«ومن أصعب البحوث ضبط التعريب حتى أن اللغويين القدماء انتهوا وما انتهت أبحاثهم فيه وخصه كثير منهم بالتأليف، وأنا أخالف كل الجماعة السابقة في عمل التعريب وأرده ردا عنيفا وأعتقد بأن الأسباب التي أظهرت حاجة العرب في عصور مدنيتهم إلى الأخذ به لم تكن سوى وقفة اللغويين والنحاة وهذه الوقفة المنكرة، ورأيي أن التعريب لا يدخل إلا في نقل

الأعلام وبعض المصطلحات العلمية والتقنية المستعصية والشائعة شيوعا عالميا ولكن بشرطين:

1-أن ينقل العلم والمصطلح على مقتضى الحروف العربية البحتة، فليس لنا من أجل النقل أن يزيد في أبجديتنا بل لكسر العلم على حروف الأبجدية، كما فعل العرب الأولون، وكما فعل الأجانب في كافة الأعلام الغربية والأمثلة عليه أكثر من أن تحصى ولا داعي أبدا لا يجاد "جاف" إليها، وكان أول من فكر بزيادة حرف وحركات وفق الأجنبيات في العربية المرحوم الشيخ ظاهر الجزائري في كتاب "توجيه النظر" ولكن، رحمه الله-كان أكثر حيلة حينما عمد إلى إحيائها من منطق العربيات الممات.

2-أن ينقل العلم أو المصطلح أيضا مراعى فيه وزن عربي محفوظ وأن لا يزيد عن سبعة أحرف، فإذا زادا نقص منه : بحيث لا يخل بالاسم المنقول»[1]

غير أن الأقدمين كانوا حذرين في التعريب إن لم يفتحوا الباب على مصراعيه إذ وضعوا قواعد لمعرفة المعرب حرصا على العربية لئلا يختلط فيها الدخيل، ولقد لخصها السيوطي بقوله: «قال أئمة العربية: تعرف عجمة الاسم بوجوه:

أحدها: النقل بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية.

الثاني : خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو "إبرسيم" فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي.

الثالث: أن يكون أوله نون ثم راء نحو "نرجس" فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

الرابعة: أن يكون آخره زاي بعد دال مثل "مهندز" فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

الخامس: أن تجتمع فيه الصاد و الجيم نحو :"صولجان" و "الجص"

السادس: أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو "المنجنيق".

السابع : أن يكون خماسيا أو رباعيا عاريا عن حروف الذلاقة وهي الباء والراء والفاء واللام والميم والنون فإنه متى كان عربيا فلا بد أن يكون فيه شيء منها نحو "سفرجل" و "قد عمل" و"قرطعب" و"جحمرش"، فهذا ماجعله أبو حيان في شرح التسهيل»[1]

وبذلك حدد العرب ما يجوز تعريبه وما لا يجوز فقال : الكرملي في هذا الخصوص: «لا يجوز لك أن تعرب إلا الأسماء المرتجلة أو الشبيهة بالمرتجلة، أما الأسماء المنقولة فلا يجوز لك تعريبها بل ترجمتها إلى الألفاظ التي تقابل الأصل المنقولة عنه مقابلة معنوية أو من قبيل المرادفة» ثم قال :«ولكي تعرب الكلمة لا يكفي هذا الشرط الوحيد بل أن يكون هذا أحد الشروط الثلاثة اللازمة للتعريب، وأما الشرط الثاني، فهو إذا لم يمكن وضع مرادف لفظة الأعجمية يؤدي معناها حق التأدية بكلمة واحدة يعمد إلى وضع كلمتين تقومان مقام الواحد بشرط أن تفيد مفاد الكلمة الغريبة، وقد وضع العرب قديما كثيرا من مثل هذه الألفاظ كقولهم:«علم الهيئة» و«علم الفلك» و«علم المنطق» مع أن للأجانب لفظة واحدة بسيطة أو منحوتة تودي هذه المعاني.

أما الشرط الثالث: فهو أن لا تعرب اللفظة الأعجمية إلا إذا كانت قليلة الاستعمال أو نادرة أو لا يستعملها إلا طائفة من الناس وإن كانت هذه الطائفة عديدة الأفراد، وإلا فإن كان استعمالها عاما وقد دخل في حاجيات الكبير والصغير فينظر إلى تلك الكلمة فإن كانت كثيرة الحروف أو ثقيلة على اللسان، فلابد حينئذ من وضع مرادف لها في العربية وإلا فإن لم تكن كذلك فلا بأس من اتخاذ الأعجمية نفسها، وأما إذا لم يكن وضع مرادف لها فحينئذ فقط تقلم زوائدها ليسهل النطق بها وليتمكن

الخاص والعام من لفظها، وإما كيفية تقليم هذه الزوائد فليس لها قاعدة مطردة يجري عليها»[1].

وهكذا تكون العرب قد وفرت عليها الوقت الذي يمكنها أن تضيعه في البحث عن كلمة عربية تحل محل الأجنبية التي ربما لا تحتاج ترجمتها إلى جهدوا عتناء طويلين.

يقول "عباس حسن" :«والتعريب –وإن آثرناه– قد نعدل عنه أحيانا إلى اختيار أسماء عربية لكلمات أجنبية لا تحتاج ترجمتها إلى جهد وطول استقصاء فهذا خير لاشك فيه ولا تنصح بالخروج عليه لكن البغيض الذميم أن تفرغ للبحث الدائب والوقوف طويلا أما كل كلمة أجنبية بعيدة المدلول العربي علنا نجدها مقابلا في لغتنا فذلك الداء العياء»[2].

وأخيرا نقول بأنه مادامت اللغة العربية موجودة بذوق عربي وبعقل عربي خالص التفكير وأصيل المنابع فالتعريب لن يضر ثقافتنا بل سيسهم في تطورها أكثر فأكثر.

مبادئ في تعريب المصطلحات:

«ولعل أهم مبدأ يجب الأخذ به عند وضع مقابل عربي لمصطلح أجنبي هو أن ينظر إلى المدلول الاصطلاحي للفظ الأجنبي قبل معناه اللغوي، ومن ثم يختار اللفظ العربي المناسب لذلك المدلول، ذلك أن كثيرا من المصطلحات الحضارية والعلمية قد لا يؤدي معناها اللغوي إلا جزءا ضئيلا من مدلولها الاصطلاحي أو لا يربط بين هذين فيها إلا علاقة ضعيفة ولكن واضعي المصطلح يتواضعون على إضفاء مدلول معين على لفظة عندما لايجدون اللفظ او الألفاظ القليلة التي تؤدي ذلك المدلول وتستوعبه، أو لأي سبب آخر قد نجهله»[3].

---

[1] – د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 89-90

[2] – د.أحمد مطلوب المرجع السابق

إضافة إلى أن المعّرب للأدب يجب أن يكون ذا إحاطة شاملة باللغة العّربية، وأن يكون مدركا لأسرارها وأصولها وزيادة على هذا يجب عليه أن يعود دائما إلى وسائل الأوائل في استخدام اللغة الفصيحة ذات الثروة اللفظية والتعبيرية الكبيرة والواسعة، كما يتعين على المعربين للعلوم والتكنولوجيه أن يقوموا بأعمالهم التعريبية بصفة جماعية إذ لا يمكن لواحد منهم أن يقوم بتلك المهمة منفردا دون الرجوع إلى زملائه إذ أن المصطلحات تختلف وجهات النظر إليها وتختلف تعاريفها من واحد لآخر، كما أن وضع الاسم العّربي لها يمكنه أن تختلف أيضا، ولكي يصطلح حول مسميات الأشياء يتطلب بالضرورة اتفاق بجميع أهل اللغة الواحدة والاختصاص الواحد.[1]

فقد قلنا في بحث سابق أن البحث في المصطلحات لا يزال في الوطن العّربي قليل النخاعة فإذا أردنا أن تتغير أحوال هذه البحث فلا بد أن يستجيب لمتطلبات عصرنا الحاضر «ولن يتم ذلك إلا باستقاء مما لنا —معشر العلماء واللغويين– لهذه الشروط:

1-أن ينبني على مجموعة واسعة جدا من المعطيات أي على مسح كامل:

–لما يجري الآن استعماله بالفعل في الوطن العّربي بأكمله

–لما كان مستعملا قديما وورد في النصوص العلمية وهذا يقتضي.

2-الرجوع إلى التراث العلمي العّربي ولا يكتفي في ذلك بالمعاجم القديمة.

3-أن ينطلق من أكثر من لغة لا من تصور واحد خاص بلغة أجنبية واحدة.

4-أن ينظر في أسرار الاستعمال والاعتداد بقوانينه وإجراء الدراسات الواسعة النطاق لهذا الغرض وكل هذا ستلزم أيضا :

5-أن يعتمد لإجراء هذه الأعمال العظيمة على الآلات الإلكترونية الجبارة»[2]

وقد حدد علماء العربية شروطا وقوادا للتعريب وعلى سبيل المثال نذكر "الكرملي" الذي حدد شروط الأخذ من اللغات الأجنبية وتكلم على قواعد التعريب ومن تلك القواعد:

1-اتصال الأمة الواحدة بالأمة الثانية عن طريق الجوار أو المتاجرة أو المعاملة أو المصادقة أو المكاتبة أو المطالعة فإن لم يكن هناك اتصال فلا أخذ.

2-لا يشترط في الأخذ أن تأتي الكلمة في العربية مطابقة كل المطابقة للكلمة الواردة في اللغة المأخوذة منها بل قد يجوز أن يكون أخذ منها بعض معناها أو أن العرب تصرفت في معناها بعد تقلهم إياها إلى لغتهم وربما صحفتها أيضا.

3-ليس من الضروري أن تعرب الكلمة لحاجة الناس إليها أو إلى معناها، فقد نطق السلف بألفاظ دخيلة كانوا في غنى عنها وإنما تكلموا بها لأنهم أرادوا ذلك أو حاولوا أن يكلموا من يفهم تلك الكلمة ولا يفهم غيرها، أو أرادوا أن يطلعوا السامع أنهم يعرفون معاني بعض الكلم العجمية، أو لأن اللفظة الدخيلة طبعت في النفس طابعا لا تودي إليه مفردتا.

4-يعرف الدخيل في لغتنا بكثرة أحرفه وبأنه لامت إلى أصل عربي، بما يوجه وضعه واشتقاقه وصيغته، وهذا من باب الأغلبية، إذ قد تكون الكلمة دخيلة وهي ثلاثية أو قد تؤول الدخيلة بما يوجد اشتقاقها.

5-إن العرب عند تعريبهم قد يتحكمون في تعيين معانيها على ما يعدون من غير أن يحق للأعاجم أو لبعض المتنطعين أن يردوهم عن قصدهم.

6-أن لا يحكم الباحث على أن اللفظة الفلانة هي تعريب الكلمة الأجنبية الفلانة لمجرد مجانسة أو مشابهة بين الاثنين»[1]

أيضا "ساطع الحصري" وضع مبادئ وقواعد سار عليها في اختيار المصطلحات وهي كالاتي:

1-هناك مصطلحات محدودة الاستعمال فلا يستعملها إلا المتخصصون وفي هذه الحالة يمكننا استعمال المصطلحات الأجنبية كما يجوز لنا أن نبقيها كما هي.

2-وهناك مصطلحات تستعمل من طرف الجميع وقد تدخل في لغة الشعر والأدب وذلك تكون مرشحة للانتشار، وفي هذه المصطلحات بالذات يجب أن نختار الكلمات العربية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وإذا اضطررنا إلى استعمال كلمة أجنبية فعلينا أن نعربها تعريبا تاما.

لذلك جب أن نختار مصطلحات تقبل التصريف لأن هناك مصطلحات جامدة من حيث المعنى.

3-يجب أن نعمق النظر في المصطلحات التي لها علاقات شديدة بمصطلحات أخرى، لدلالتها على معان متقاربة لكي يحصل تناسب بينها من جهة ولكي لا نخطئ في وضع الدلالات المناسبة لكل مصطلح.

4-يجب علينا أن نوجد اصطلاحا خاصا مقابل كل كلمة من تلك المعاني المختلفة على حدة لذلك يجب علينا أن ننظر في المصطلحات الفرنسية والإنجليزية والألمانية قبل أن نضع ما يقابلها في لغتنا.

5-المصطلحات في المعاني العلمية لا تدل على تلك المعاني —من حيث اللغة— دلالة تامة إلا في بعض الاستثناءات فعلينا أن نتحرى الكلمة التي تؤدي المعنى المطلوب وإن لم نجد، نحاول وضع المصطلح أكثر قرابة من المعنى ونختار الكلمة التي لا تستعمل كثيرا ونصوغها صياغة لم تدرج عليها إلا قليلا.

6-يجب اختيار الألفاظ القصيرة والسهلة التلفظ، ولا يعتمد على التراكيب الإضافية الطويلة، وأن نقدم على النحت والاختزال لمقياس أوسع، خصوصا أن ألغت قد أصبح من أهم حاجات اللغة العربية، ولا نقصد بالنحت تركيب الكلمات

والتعبيرات المختزلة مثل :«شرق حطب» و«بسملة» و«ملا شاة» و«حبرمة» تلك الكلمات والتعبيرات المختصرة التي تفتقر العلوم الحديثة إلى أمثالها افتقار شديدا[1]

وقد وضع الكرملي أيضا قواعد واضحة في هذا المجال، كما ألحق بكل مجلد له مئات المصطلحات والألفاظ وذكر ما بقا بلها في العربية فحظا بالتعريب خطوة واسعة، وقد نوه به الدكتور مصطفى جواد فقال عنه:«وأول من تكلم على المصطلحات العلمية بالعراق أيام النهضة اللغوية الحديثة أحد الرهبان وهو الأب أنستاس ماري الكرملي الطريقة، اللبناني الأصل، العراقي المولد و الوفاة»، ولقد لخص هذه القواعد عند كلامه على «المعلمة» فقال ولهذا رأينا أن أحسن كلمة تستعمل في هذا الوجه أن تتم فيها ثلاثة شروط:

1-أن يكون مؤداها لفظة واحدة وبسيطة لا مركبة حتى إذا احتاج الإنسان أن ينسب إليها بعض الألفاظ يسهل عليه الأمر.

2-أن تفيد المعنى المطلوب بمجرد النظر إليها أو سماعها بدون أدنى تكلف أو بذل مشقة أو عناء لتفهمها.

3-أن ينحى فيها مناحي العرب وأن تكون سهلة المأخذ والتلقي لا وعورة فيها ولا خشونة ولا ينبو منها السمع، ومن قواعده أيضا العودة إلى أصل الكلمة العربي ويرى أن «مزق» معناها «غنى» و «المزيقة» هي الموسيقى ولذلك ينبغي أن نضع هذه الكلمة بدل «موسيقى» (الكلمة المعربة) قال:«وخير لنا أن نقول «مزيقة» من أن نقول «موسيقى» فتلك من لساننا وهذه من محرف كلامنا[2]

1

وقد اقترح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مقاييس لاختيار الألفاظ وهي على التوالي:

1-تفضل الكلمة الأصلية على الدخيلة اللهم إذا شاعت منذ القديم.

2-يفضل المصطلح القديم على المولد المحدث في عصرنا

3-إن اللفظة التي اشتهرت قديما وحديثا بمعنى فإنه ينبغي أن يترك لها هذا المعنى يلجأ إلى لفظ آخر.

4-ويكتفي بلفظة واحدة إلا في الحالات التالية:

-إذا اشتهرت الصيغتان اشتهارا عظيما في أغلبية البلدان العربية.

-إذا كانت الكلمة المرادفة يحتاج إليها إذ قد تدل على مفهوم خاص بنظرية أجنبية ولا تدل على حقيقة علمية مجمع عليها في جميع أوساط الباحثين.

5-بالنسبة للمفاهيم الدخيلة القديمة وخاصة اليونانية فإنه يفضل اللفظ العربي الذي استعمله العرب بعد تعريبهم للفظة اليونانية...

6-تفضل الكلمة المولدة التي جاءت على قياس كلام العرب على التي لم تأت على قياسه...

7-تفضل الكلمة المولودة التي اعتمد في وضعها على سنن كلام العرب في اشتقاقا تهم وطرق توليدهم وتترك الطرق التي لم يعرفها العرب كزيادة اللواحق غير المعروفة في لغة العرب.

8-تفضل الكلمة البسيطة على المركبة.

9-تفضل الكلمة التي يمكن أن تتصرف ويشتق منها على غيرها على شريطة أن تحترم المقاييس السابقة.

10-تفضل الكلمة التي لا تتنافر حروفها»[1]

أما المصطلحات العلمية فقد كان للعرب وجوه عدة نقلت بها المصطلحات الأجنبية إلى الاستعمال العربي ونذكر مثلا ما أورده أحمد مطلوب في بحثه المتعلق الاصطلاح العلمي يقول:«كانوا يعربون البادئة بساكن حركوه» وفي تعليق لجميل الملائكة على هذا القول :«أقول صحيح أنهم كانوا أحيانا يفعلون ذلك ولكن يبدو أنهم كانوا في الأكثر يبدءونه بهمزة بدلا من تحريكه يقولون «إسبرطه» في Sparte و«إسبانية» في Spanish و «أفلاطون» في Plator ومثل هذا كثير على كل حال نحن الآن لانزال نتبع هذا، فمثلا تقول "غرام" لوحدة الوزن، ولا يقول "إغرام" ولا تقول "غرام"، وهذا أيضا أصبح كثيرا، فهذه كانت قواعد قديمة أصبح من الصعب إتباعها في الوقت الحاضر»[1]

وانطلاقا من حركة النقل والترجمة ووصولا إلى التّعريب نقول بأن هناك العديد من المصطلحات الأجنبية تعرب أو تترجم أو تنقل مرتين الأولى بمعناها والثانية بلفظها الأجنبي ويصبح المفهوم يحتوي على مصطلحين عربيين أحدهما معرب والآخر مترجم، وقد يستمر عيشهما جنبا إلى جنب مدة زمنية ربما تطول وربما تقصر حتى يتغلب أحدهما على الآخر أو يظلان كلفظيين مترادفين.[2]

والمرجو من هذا كله هو أن تكون الغلبة للمصطلح العربي بلفظه ومعناه معا.

1

ب-وسائله:

حول وسائل العربية في التّعريب :

تبين لنا من قبل أن اللغة العربية مترهة عن قولهم لا تتسع لاستيعاب جميع المصطلحات الحديثة، وهي التي استوعبت العلوم القديمة كلها يوم ترجمت إليها في العصر العباسي الأول مع أنها لم تكن تحوي إذ ذاك مصطلحات علمية تسهل عملية الترجمة، ويكفي الرجوع إلى كتب ابن سينا والخوارزمي والرازي، والبيروني وجابر بن حيان وابن الهيثم وغيرهم لإدراك أن ما تضمنته هذه الكتب من مصطلحات يصبح أن يكون أساسا لوضع مصطلحات جديدة تعبر عن المعاني العلمية الجديدة، وليس بدعا أن نقول، من نسلم له قياد التّعريب؟ وليس عبثا أن يقال«لا يشترط في التّعريب، أن يحصل على لسان طبقة خاصة من العرب أو من رجال معينين منهم، بل هو شائع بينهم تناوله كل وحد منهم، ولو قلت إن التّعريب من وظائف عامة العرب وذوي النجارات والصنائع فيهم-لا خاصتهم وذوي الشأن والنباهة منهم- لما كنت مجازفا أو مباعدا»[1] فاختلاف وجهات النظر عند تعريب المصطلحات بين المؤلفين والكتاب الفنيين وغيرهم من أهل الصناعة والهندسة وارد بشدة و«إن لم ترجع في هذه الكلمات الدخيلة إلى أصحاب الشأن بل رجعنا إلى متواضعات الخاصة -وهم متعددون متشاكسون تعددت الأسماء واضطرب أمر اللغة وكانت العاقبة إلى الخيبة»[2].

حيث نجد من يرى أن تكون المرادفات العربية سليمة وفصيحة تعتمد على ما سمع من العرب، لكن فاتهم أن المدلولات الحديثة لا تطابق غالبا-المدلولات القديمة لعدم وجود أشباهها في استعمال العرب الإقحام، «إن بعض العلماء يظنون أن فصحى الأمس يجب أن تكون فصحى اليوم، وهذا ظن بعيد كل البعد عن الصواب، يهملون قرونا من الاستعمال الحي للغة، ذلك الاستعمال الذي يجرى من التغيير المحسوس وغير

المحسوس وربما كان أقرب ما أجرت من تغيير: التخفف من بعض الأمور، والميل إلى بسط القياس على كل شيء، وإهمال الشواذ»[1]

ومن المعّربين من يرى الأخذ بالألفاظ الدارجة في الأوساط الصناعية كما هي، وقصدهم في ذلك تسهيل عملية التّعريب، وفاتهم –هم الآخرون– أن تلك الكلمات مختلفة المصادر وأن مجموعة كبيرة منها، بها أكثر من لفظ للمدلول الواحد»[2] .

إن اللغة العّربية أقدر اللغات على وضع المصطلحات وتوليدها واشتقاقها، ونحتها وتطويرها ذلك أن لها من السمات ما لم يتح لغيرها، كذلك العلاقة القائمة بين الصيغ الصرفية فيها وبين المفاهيم العامة في الوجود ولنضرب مثلا وزن (فعالة) الدال على الحرفة أو شبهها كقول: نجارة، وسباكة وحدادة، ووزن (فعال) الذي يدل على المرض: مثل صداع، وكساح وسعال، ووزن (فعلان) الدال على التقلب والاضطراب نحو: غثيان وبضان، وجيشان، وغير ذلك كثير.[3] لكن عند وضع المصطلح العّربي المقابل لنظيره الأجنبي قد ينفع إتباع قاعدة في استعمال وزن صرفي في حالة ما، ولا تنفع تلك القاعدة في حالة مشابهة لما قد يقع من لبس في المصطلح مع مدلولات أخرى، ومثال ذلك قول (ماء مشروب) للماء الصالح للشرب، لا يصح معه قول (سمك أكول) لشدة احتمال التباسه بـــ: (سمك نهم كثير الأكل)[4] .

لهذا على المعّرب أن يكون حاذقا فطنا توخيا لسلامة العّربية ودقة التعبير ووضوح الأداء، «ومهما قيل في أصول هذا التّعريب وقواعده فيبدوا أنها ما زالت غامضة غير واضحة المعالم، فالمعروف أنهم كانوا في تعريبهم قديما يتخذون ألفاظا على

---

[1] – د.حسين نصار المرجع السابق ص 26

[2] – ينظر: أحمد بن نعمان المرجع السابق ص 176

[3]

غرار (الأسطوونوميا، والبويطيقي، والريطوريقي، والأرثماطيقا) لمعاني (الفلك، الشعر،الخطابة والحساب) فأنّ تلك الألفاظ من الأوزان الاشتقاقية العربية؟ صحيح أنهم غيروا بعض الألفاظ وجعلوها بأوزان عربية مثل: (الهرطقة، والزندقة) ولكنهم في الأغلب لم يتبعوا ذلك أو لم يتمكنوا منه لاستحالته»[1].

ولقد غيروا كما رأينا في "الأسس" أصوات بعض الحروف، وتجنبوا بدء كلمة بحرف ساكن بأن وضعوا قبلها همزة مكسورة، وتجنبوا التقاء الساكنين الصحيحين بتحريك أحدهما، وما شكل ذلك، ولا حرج في هذا، فاللغات ينبغي أن تتطور لأن ذلك علامة حياتها، ولا يكون هذا التطور بابتكار ألفاظ جديدة فحسب، بل يكون أيضا بإعطاء معان واستعمالات جديدة لألفاظ قديمة، وبإدخال كلمات أجنبية بعد تطويعها وصبّها في القالب العربي، وإلا كان الأمر إفسادا للغة لا تطويرا لها»[2].

إذ من لغويي هذا العصر من يرى ترك باب إدخال الأجنبي على حاله مفتوحا على مصراعيه هو الذي يسمح للعربية بالنماء، وما هذا إلا إقحام لما قد تكون غنية عنه يقول محمد ضاري حمادي:«طائفة أخرى من لغويي عصرنا هذا، ترى أن الحظر هو الذي يجب أن يخطر، وأن الإجازة هي التي يجب أن تجاز، وأن الخير إنما يكون في السماح للكلمات الأجنبية أن تدخل إلى متن العربية فتزيدها ثروة إلى ثروتها، ولاسيما تلك الألفاظ الاصطلاحية العامة التي يمكن أن تعد مصطلحات عالمية مشتركة بين جميع اللغات الحية مما يعين الباحثين على متابعة ما يصدر بشأنها من مباحث المتخصصين ويطرأ عليها في العالم، وعلى هذا رفضت هذه الطائفة، بتطرف جديد معاكس، ما

يمكن وضعه من المصطلحات العربية بالنقل الدلالي أو الاشتقاق اللفظي، وهذا يعني أنهم يعربون لغير ضرورة، ويقحمون في العربية ماليس منها»[1]

ومهما تعددت مواقف المعربين من التعريب وكيفية التعريب، تبقى له وسائل شاعت في الاستعمال وأثبتت نجاعها وصلاحيتها عبر قرون من الزمان نعرض لها بالإشارة أو العبارة إذا أمكن.

من طرق التعريب :

1 -القياس :

هو ضرورة من الضرورات التي يلجأ إليها لصنع لفظ لم يرد في المنقول هو أو ما يقوم مقامه وهو لا يعني العودة إلى لفظ رفضته العرب عن عمد ولفظته عن قصد واختارت غيره يحل لحله[2].

ويدخل في باب القياس الوضع والارتجال الذي يأتي من طريق الاشتقاق، والمجاز، وقد قصره علماء اللغة على العربي الفصيح وفي عصر الفصاحة وحدها «فله أن يرتجل متى قويت فصاحته واشتدت وسمت طبيعته، كما جوزوا له أن يراعي لهجة غيره وإن خالفت ما عليه الجمهور، وكل ذلك مشروط بألايخالف القياس والسماع، مالم يكن صاحبه مضعوفا في قوله، ومألوفا في لحنه»[3]، وقد نشب صراع طال أمده بين علماء العربية خلال الأزمان فيما وافق القياس ولم يرد به أي سماع عن العرب في عصور الاحتجاج، وقد وصف د.ابراهيم أنيس هذا الصراع الطويل فقال:«وقد ظل القياس في اللغة العربية موضع الجدل والخصومة بين اللغويين في كل العصور منهم من يضيق دائرته ويقصر استعماله والإلتجاء إليه، ومنهم من يوسع هذه الدائرة غير مبال بأقوال

---

[1] – محمد ضاري حمادي المرجع السابق ص 281

[2]

المتزمنين من اللغويين، ونحن الآن وفي منتصف القرن العشرين لانزال نشهد نفس الجدل و الخصوصة بين علماء العربيّة، و نراهم ينقسمون إلى فريقين : فريق المجدّدين، وفريق المحافظين، وقد ازداد هذا الصراع عنفا منذ إنشاء مجمع اللغة العربية»[1]

ومثل هذا الصراع القديم الحديث يثور الرصافي المحدث على أحمد بن فارس القديم لقوله «ليس لنا أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها » فقال«إذا نحن أبطلنا هذا القياس وقيدنا ألسنتنا في كل كلمة من كلماتها بالسماع فقد أبطلنا أكبر حقيقة من حقائقها، ففساد اللغة وبطلان حقائقها إنما يكون بتقييد أنفسنا بالسماع لابجرينا مع القياس، كما زعم ابن فارس»[2].

ممّن دعا إلى قياسية اللغة د.مصطفى جواد القائل :«من منع القياس لم تلتفت إليه الناس وحطّم الزمان أنكاره وإنكاره»[3].

2-الاشتقاق :

«الاشتقاق هو صياغة لفظة من لفظة أخرى على أن يكون هناك تناسب بينهما في اللفظ والمعنى... ويقسم الصرفيون الاشتقاق إلى إشتقاق صغير تكون فيه جميع المشتقات متفقة في ترتيب حروفها الأصلية... وإلى اشتقاق كبير (ويسمى القلب كذلك) يكون فيه بين الكلمتين الأصلية والمشتقة تناسب في اللفظ والمعنى دون الإتفاق بينهما في ترتيب الحروف الأصلية ويمكن القول أن الإشتقاق الأكثر إنتاجية وفاعلية في

[1] – محمد ضاري حمادي المرجع السابق ص 248

النمو المصطلحي هو الإشتقاق الصغير»[1] يرى الدكتور أحمد مطلوب افشتقاق بمثابة التوالد، فالإشتقاق في أصول الكلمات العربية كالتوليد في الأفراد المتكلمين بها.[2]

والإشتقاق في لسان العرب معروف وهو به موصوف، لكن الخلاف قائم — مثلما يحدث كلّما زاد على المعروف جديد–حول الإشتقاق من العرب والدخيل جائز أم لافقد عرض السيوطي لمسألة بقوله:«فقول السائل "يشتق" جوابه المنع لأنّه لايخلو أن يشتق من لفظ عربي أو عجمي مثله، ومحال أن يشتق العجمي من العربي أو العربي منه، لأن اللغات لاتشتق الواحدة منها، من الأخرى مواضعة كانت في الأصول أو إلهاما، وإنما يشتق في اللغة الواحدة، بعضها من بعض، لأن الإشتقاق نتاج وتوليد ومحال أن تنتج النوق إلا حورانا، وتلد المرأة إلا إنسانا»[3] وحذا حذوه الجواليقي في المنع آخذا برأي أبي بكر السراج القائل :«مما ينبغي أن يحذر منه كل الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من إدعى أن الطير ولد الحوت.»[4]

ثم إن هناك من أجاز المسألة وقد علمنا من قبل أن الوضع والارتجال يأتي من طريق الإشتقاق من حيث يتصل بسماعية التعريب وقياسيته، وهذا ابن جني واحد منهم قال: «قال أبو علي: «ويؤكد ذلك أن العرب إشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول كلامها»[5] وبين مانع ومجيز، يبقى الإشتقاق من أحسن وسائل التعريب.

---

[1] – د.علي القاسمي المرجع السابق ص 98

[2] – ينظر: د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 106

[3] –المرجع نفسه ص 47.

[4]

3-الترادف والاشتراك :

لقد عرفنا المترادفات والمشتركات اللفظية بشيء من البيان فيما سبق ودورها في وضع المصطلحات، ولابأس أن نورد قول الفارابي في كتابة العبارة : «الفرق بين المنقول والمشترك: أن المشترك إنما وقع الإشتراك منذ أول ما وضع من غير أن يكون أحدهما أسبق في الزمان بذلك الاسم.. والمسبوق هو الذي سبق به أحدهما في الزمان ثم لقب به الثاني، وإشترك فيه بينهما بعد ذلك»[1] والمشترك حده أهل الأصول حسب السيوطي في مزهرة بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة واختلف الناس فيه يرى أكثرهم أنه ممكن الوقوع.[2] وعبارته في الترادف «فهو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد بإعتبار واحد»[3]

4- المجاز:

انتقال اللّفظ إلى غير معناه الأصلي عند علماء البيان، و تستخدم اللّغات هذا الأسلوب في عمليّة النمو المصطلحي، فيلجأ إلى ألفاظ قديمة يطلقها على مفاهيم جديدة ويصبح بذلك مدلوها جديدا بد لا عن المدلول القديم أو إضافة له فتدخل في الإشتراك اللّفظي*.

5-التوليد:

تعرفنا على المولد من ذي قبل والتوليد أمر معاكس للإشتقاق ذلك أنه«إختراع الدلالة للفظة عربية ثابتة لمعنى غير المعنى الجديد (المحدث) فإذا كان الخلاف الأول واقعا

---

[1]- د.فايز الداية المرجع السابق ص 79

[2]- ينظر: المرجع نفسه ص 77-78

[3]

في خلق اللفظ لمعنى ثابت فإن الثاني في خلق المعنى للفظ ثابت»[1] ولعل المجاز أشيع طرق التوليد، وهي ثاني طريقة نمت بها العربية بعد ظهور الإسلام «نقل الألفاظ من معانيها الأصلية إلى معان أخرى إصطلاحية سواء كانت دينية أم علمية فحصل في اللغة بواسطة هذا النقل ألفاظ ذات معان جديدة لم تكن العرب تعرفها قبل الإسلام وهذه الألفاظ تسمّى "الألفاظ الإسلامية»[2] ويجد في العود إلى الألفاظ القديمة الأخذ بالسهل الذي لايجافي الذوق منها، وهذه الطريقة تكاد تكون هي الأداة الرئيسية المستعملة اليوم لوضع المصطلحات الجديدة في اللغات الأوروبية[3] أمّا الفارابي فيرى حين يناقش الحاجة الحضارية المتجددة أنها تستدعي نشاطا دلاليا، ويشير إلى أسلوب النقل الدلالي بأن يطور مضمون لفظ أو ألفاظ لتعبر عن جزئيات في العلوم الحديثة أو الفنون والصنائع، وينبه إلى أن الاستعارة بمعناها الأسلوبي لاتستعمل في هذه المجالات وإنما دورها في الأدب[4] وكما قيل «اللفظ المهجور يضفي على المصطلح خصوصية لايوفرها الشائع»[5].

6-النحت :

وهو إنتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه[6]، وقع فيه –كغيره الجدل– وممن قال بالأخذ به عبد الله البستاني القائل:«يجب علينا أن نأخذ بمبدأ النحت» وخلافه الكرمليّ: «والنحت لم يذهب إليه أحد إذ لم يوضع له ضابطة، والألفاظ المنحوتة التي وصلت إلينا هي حروف

---

[1]– محمد ضاري حمادي المرجع السابق ص 268

[2]– د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 105

[3]– ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية المرجع السابق ص 235

[4]– ينظر: المرجع نفسه ص 275

[5]

جاء تنا في مواضيع مختلفة نطق بها الناس بعد أن صقلتها ألسنتهم وهي غير جارية اطرادا على وجه من الوجوه، والاشتقاق عندنا يقوم مقامه ويوفي حقه بل يفوقه وقد وضعت له قواعد وصنفت الكتب وجاءت أبوابه في جميع المعاني، وكل لفظة منحوتة وضعت في العلم نزعت منه ولم تعش زمنا طويلا، ولغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب كما هو مدون في مصنفاتهم، والمنحوتات عندنا عشرات، أما عندهم فمئات وألوف لأن تقديم المضاف إليه على المضاف معروف عندهم فساغ لهم النحت، أما عندنا فاللغة تأباه وتتبرأ منه»[1]

والنحت، يقول الدكتور أحمد مطلوب:«آخر وسيلة بعد ذلك يلجأ إليها، ففي العربية من وسائل نموها الشيء الكثير غير هذه الوسيلة البعيدة عن طبيعة اللغة وسنن تطورها»[2]

7-التعريب الحرفي :

مثلما الإشتقاق بمثابة التوليد في الأفراد، فالتعريب في الكلمات الدخيلة بمثابة المنضمين إلى أمة من أمم أخرى[3] وجابر بن حيان أوّل من استعمل التعريب الحرفي للألفاظ التي لم يجد لها مقابلا في العربية، كما في استعماله مصطلح "هيولى" المادة التي وجدت عند" أرسطو طاليس" "Hyle"+، ولهذا النوع من التعريب وسائل عدة منها:

1-تحويل الكلمة إلى لفظة عربية وفق أحد أقيستها القواعدية باستعمال الحروف العربية نحو: كلور،أكسيد، وكاربن.

---

[1] – ينظر: د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 98

[2] – المرجع نفسه ص 133

[3]

2-الدمج: وهو تغيير أوّل الكلمة أو آخرها وإضافة مقطع عربي إلى مقطع أجنبي نحو: ثاني أكسيد الكاربون.

3-إضافة مقطع أجنبي إلى مقطع عربي، أو إضافة مقطع من لغة إلى مقطعين من أخرى.

4-في حالة عدم وجود مقابل للشيء الغريب في لغتنا، تغريبه وإن خالف أقيسة العربية بحذافيرها[1].

تعميم التّعريب :

بسط التّعريب:

«بات التّعريب يشمل بمعناه الواسع نقل العلوم والفنون والأداب من اللغات الأعجمية إلى اللغة العربية، وبدأ الحديث يدور حول، تعريب التعليم، وتعريب الإدارة، وتعريب جميع المظاهر الحضارية في البلاد العربية»[2]

وعلى إثر هذا التوسع الكبير الذي شهدته كل الميادين الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية طغت المصطلحات الأجنبية وأصبح استعمالها من طرف الجميع في المواضيع وفي كل الجلسات وبين كل جماعة وجماعة لايدور حديث إلا تخللته ألفاظ أجنبية بين الفينة والاخرى، ووصلت حمّى هذا التقدم أو التطور كما يطلقون عليه إلى مدارسنا التي إعتقدنا أننا قد تخلصنا من أي شائبة فيها قد تنسي التلاميذ أو الطلاب مبادئ لغتهم ودينهم ولذلك وجب علينا أن نحاول جميعا كباحثين وطلبة إيجاد البديل عن الأجنبي ونضع له مقابلا في العربية. يقول عبد الكريم خليفة في إحدى محاضراته في الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامّي «ونحن نعتقد أن عملية التّعريب متكاملة ومتفاعلة، فليس صحيحا مطلقا أن ننتظر لكي

نترجم المصادر العلمية جميعها ونضع المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية فإن هذه الطريق يعني أننا سوف لانبدأ عملية التعريب ذاتها»[1]

ولذا كان التعريب في وقتنا الحالي كما كان في القرون الأولى وفقا للقواعد الأساسية للغة لتطورت الثقافات وتطورت معها عقول الناس حري بنا لو اقتدينا بالقرن الأول الهجري الذي عربت فيه دواوين الخراج بعد أن كانت تدون بالفارسية في أقاليم المشرق وبالإغريقية في أقاليم المغرب، وما تطلب الأمر منهم إلا أن تحل محل المفردات الأعجمية في سجلات الدواوين مفردات عربية يتقن استعمالها الكتاب الذين أبقوا في عملهم في الدواوين، ويتطلب ذلك منا العناية بجميع اللّغة، كما يتطلب أيضا دراسة المبادئ الأساسية لقواعدها من نحو وصرف، مما يسهم في تطوير استعمال مفردات العربية ولو أخذنا كتبنا وتراثنا الثقافي ودرسناهما جيدا لوجدنا هما يشملان من الدقة والوضوح عصورا مرت وعصورا ما تزال قادمة بما فيهما من سبك وتركيز ومن تدقيق في استعمال العربية وسبك العبارات ولدخلت ضمن الهيكل العام لثقافة العربية، كما دخلت الدواوين في القرن الهجري الأول في الثقافة العربية[2].

«ولقد جرى خلال العقود الخمسة المنصرمة خلاف لغوي حاد في الوطن العربي بين المحافظين والمتحررين من اللغويين حول المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة وكيفية وضعها، فقد نادى المتحررون باستعارة المصطلحات بجرّية تامة من الانجليزية والفرنسية، واللغات الأخرى بل وحتى من اللهجات العامية للإسراع في وضع المصطلحات، وزعموا أن الاقتراض اللغوي أمر طبيعي ومسموح به، ويسهم في تطوير اللغة وتنميتها، ولقد إشتمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على أمثلة كثيرة من الاقتراض اللغوي، ومادام الأمر كذلك فلا يضير اللغة العربية اليوم أن تقترض من

اللغات الأجنبية لسد النقص في المصطلحات العلمية والتقنية أضف إلى ذلك أن عملية البحث عن مقابلات عربية فصيحة تتطلب وقتا ومعرفة، وتحتاج إلى إختيار قبولها في المجتمع، وطالب المحافظون بالتقيد بإختيار الألفاظ العربية الفصيحة في مقابل المصطلحات الجنبية و رأو أن ذلك أجدى على المدى البعيد لأن اللغة العربية لغة إستقاقية فإذا تمت ترجمة المصطلح، بكلمة عربية إستطعنا أن نشتق من جذرها عددا من المفردات بحيث تتكون لدينا في نهاية الأمر أسرة لفظة تيسر بناء النظام المصطلحي في اللغة وتسهل علينا حفظه وتذكره»[1].

وفيما يخص المصطلحات فهناك جانب المصطلحات المستعملة في لغة التعليم الجامعي ومصطلحات تتعلق بالإختراعات العلمية والمعدات الجديدة المستخدمة في الحياة اليومية بالرغم من أن المجامع اللغوية قد بذلت الجهود الكبيرة والمشكورة عليها لكن ينقصها التعميم لتلك المصطلحات البديلة خصوصا فيما ماي يتعلق بالنوع الأول من المصطلحات إضافة إلى ذلك تشكل وسائل الطباعة عائقا في سبيل ذلك أما فيما يخص النوع الثاني فهناك نقص فادح وتقصير كبير، الأمر الذي فسح المجال أمام دخول المصطلحات الأجنبية وتداولها يوميا وتزداد هذه المشكلة صعوبة إذ أصبحت المصطلحات الأجنبية تدخل ودون أي رقيب[2].

وإذا ما أرجع بعضهم سبب هذا الشيوع إلىنقل كتب العلم كما هي فإننا نقول بأنه من الممكن نقل هذه الكتب لكن الواجب ه نقل هذه المصطلحات بمعانيها إلى العربية لتصبح مستساغة لدى الجميع.

1

«ونقل كتب العلم على العلماء هيّن لأنّ العالم ينقل كتبا يعرف موضوعاتها، ومصطلحاتها ولا يتكلف في النقل، إنه يريد نقل المعاني في أبسط صورها، أما نقل الأدب فإنه صعب، لأن الأدب الجيد يقوم على متابعة التعبير وعلى الصور البلاغية من تشابيه وإستعارات وكنايات، وهذه تختلف في اللغات المختلفة اختلافا كبيرا»[1]

والخلل الحاصل اليوم هو أن التّعريب قد أبقي مقتصرا على العلوم الإنسانية، وترك أهمية الترابط بين العلوم التكنولوجية والعلوم الإنسانية فأصبح كل واحد منها يجري في واد وغاب الحوار بينهما، فهل ترانا فكرنا في ربط إتصال بينهما؟ لا أحد فكر في ذلك لأن المشكل هو مشكل لغة، فاللغة غير مشتركة والشيء الوحيد الذي لاهروب منه هو أننا إذا أردنا فعلا بناء مجتمع مستقل بمعنى الكلمة فعلينا توحيد لغة البناء والتكوين[2]، وهنا يفتح لنا باب الراغبين في التّعريب والرافضين له.

ومن بين آراء المخالفين للتعريب أنهم يرون بأن مصلحة الشعوب العّربية في دراسة العلوم بإحدى اللغات الأجنبية كالفرنسية أو الإنجليزية، أو غيرها وقد كان لهم عدة حجج على قولهم منها:

1-قولهم الفصحى لغة شبه ميتة لا يستعملها إلا الشعراء والكتاب ولا تعيش إلا في بطون المعاجم و أنها ليست لغة الكلام.

2-عدم اشتمال اللغة العّربية على مصطلحات علمية تعبر عن العلوم الحديثة فهذا يجعل عملية التعليم مضطربة، ودليلهم في ذلك أن لكل معلم مصطلحاته لايعرفها إلا تلاميذة وهي تختلف باختلاف البلدان وقد تختلف في البلد الواحد باختلاف الجامعات وفي الجامعة باختلاف الأساتذة.

3-اللغة العربية غير قادرة على استيعاب جميع المصطلحات العلمية الحديثة، هذا ما أدى إلى ركود الإنتاج العلمي مدة طويلة لاسيما في عصر الانحطاط إذ أصبحت كل المصطلحات التي ترجمت عن اليونانيين لا تفي بالغرض في التعبير، إضافة إلى جهل الأساتذة بالمصطلحات القديمة الذي دفعهم إلى إختراع ألفاظ جديدة لمسميات قديمة.[1]

أما المدافعون عن التّعريب فيقولون أن اللغة العربية من أغنى اللّغات وأوسعها وأدقها تعبيرا صقلها العقل في الماضي بضعة عشر قرنا حتى جعلها لغة الشعر والخطابة واصطنعها العلماء في مفردات الطب والنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة وحججهم هي الثالية:

1-الحجة الأولى تربوية: وهي القول بأن التلميذ الذي يتعلم العلوم بلغته يتفوق على التلميذ الذي يتعلم تلك العلوم بلغة أجنبية.

2-الحجة الثانية حجة قومية: وهي قول أنصار التّعريب أن اللغة مرآة الشعب ومستودع تراثه، وديوان آدابه وسجل مطامحه وأحلامه، ومفتاح أفكاره وعواطفه وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده، وبين اللغة والفكر علاقة وثيقة، وبقدرما يتمكن الأفراد من لغتهم القومية تنمو مشاعرهم وأفكارهم، لأنّه لا فكرة بغير لفظ ولالفظ بغير فكرة[2]

وإذا أردنا بعد هذا أن نفند حجج القائلين بعدم التّعريب أو المخالفين له فنقول:

أ-ليست اللغة التي ندعو إلى استعمالها في التدريس لغة العصر الجاهلي لالغة العصر الأموي أو العصر العباسي وإنماهي لغة العرب المعاصرين في مختلف أقطارهم.

1

ب-أما القول أن خلو اللغة العّربية من المصطلحات العلمية يجعل التعليم بها محفوفا بالصعوبات، فهو على صدقه لايحول بيننا وبين التدريس باللغة العّربية، فأما أن نؤجل التدريس بهذه اللغة إلى أن يتفق علماؤنا على مصطلحات موحدة وأما أن نباشر منذ الآن بوسائلنا الخاصة.

ج-وإذا قيل أن تدريس العلوم باللغة العّربية يجعل المتخرج من مدارسنا عاجزا على الإفادة من المراجع الأجنبية وأن ثقافته العلمية إذا اقتصرت على ما قرأه في الكتب العّربية القليلة العدد ظل متخلفا عن الركب»[1]

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن مهمة التّعريب للمصطلحات العلمية التكنولوجية حساسة وخصوصا فيما يتعلق بالهندسة والصناعة وهذا الأمر مشكلة من المشكلات التي يجب أن يوجد لها الحل السريع، تتحكم فيها عوامل كثيرة يجب مراعاتها، فنية ولغوية واجتماعية وعاطفية، مما يجعل العمل الانفرادي المجدي فيها ضربا من الصعب الممتنع[2].

عوائق التّعريب :

هل تحظى المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة بقبول الجماهير وإقبالها ؟ قد تبقى المصطلحات الموضوعية حبرا على ورق في بطون المعاجم والكتب، فالناس يستخدمون كلمات أخرى ويمكن رد هذه الظاهرة إلى :

1-أنه يحدث أن الجمهور يستعمل فعلا مصطلحا يفي بالغرض، ولكن واضعي المصطلحات ليسوا على علم به أو أهملوه لسبب آخر«وبعبارة أخرى إن المعجميين

والأكاديميين لم يجروا مسحا لماهو مستعمل فعلا من مصطلحات في كل حقل من حقول العلم والتكنولوجية قبل أن يقدموا على وضع مصطلحاتهم الجديدة»

2- بقاء مصطلحات المجمعيين والأكاديميين والعلماء في بطون الكتب، لأن أغلبية الجماهير العربية مازالت أمية، أو لأن تلك المطبوعات لاتحظى بالنشر والتوزيع[1]

3- أن الناس عادة لايستعملون من الألفاظ إلا ما ينستيغونه ويناسب أمزجتهم، خصوصا إذا كانت تلك هي كلماتهم في الاستعمال اليومي.

ومن هنا نخلص إلى أن أي تعريب لم ينظر فيه إلى ذوق من ثم التّعريب من أجلهم سوف لن يجد الآذان الصاغية ولا الألسنة المستعملة، والكلمة الأخيرة تكون دوما للممارسة اليومية.[2]

ثم إن عملية التّعريب في حد ذاتها تعترضها مشكلات خاصة من جانب توحيد المصطلحات التقنية منها ما هو راجع إلى اللغة الأجنبية التي تستقي منها هذه المصطلحات، وهي نفسها تلك المشكلات التي وجدناها حيال الترجمة من لغة المصدر، ومنها ما هو راجع إلى اللغة العربية ذاتها من قبيل :

1-الإزدواجية :

وهي ظاهرة تعاني منها لغات أخرى أيضا يعرفها اللغوي الأمريكي المستعرب «جالس فرغسون» بعد أن درسها في أربع لغات: «وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة لغة تختلف عنها، وهي مقننة بشكل متقن إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات، وهذه اللغة بمثابة نوع راق

تستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم.. ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية ولكن لايستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحديثه الاعتيادية»[1]

2-تعدد اللهجات الفصحى:

فكما تتعدد اللهجات العامية، توجد لهجات فصيحة تختلف باختلاف فيما بينها على جميع المستويات اللغوية: الصوتية الصرفية والنحوية والدلالية وهي فروق طفيفة لا تقارن مع تلك التي بين اللهجات العامية التي تفوقها كما وكيفا.

وفي مجال المصطلحات نضرب مثلا: إستخدام كلمة «إدخار» في مصارف بعض البلا العّربية (كتونس) وكلمة «لوفير» في البعض الآخر (كالمغرب) وكلاهما فصيح[2].

3-ثراء العّربية بالمترادفات:

على أن المترادفات تعد مزية في الكتابة الأدبية إذ يستطيع الكتاب أن يعبروا بها عن المعاني المتباينة وطلالها الهامشية ويزاوجوا بين المفردات لرسم صور أدبية متناسقة جذابة، لكنها تعد أيضا نقمة في مجال المصطلحات العلمية والتقنية إذا وضع عدد منها مقابلا للمفهوم الواحد إذ سيؤدي ذلك إلى اختلاف الاستعمال وتعدده، وهي كذلك نعمة في حالة استعمالها للتفريق بين المفاهيم المتقاربة[3].

إلى جانب هذه المشكلات اللغوية توجد مشكلات يقال عنها: تنظيمية وهي ثلاث :

1-تعدد واضعي المصطلحات في الوطن العّربي.

2-إغفال التراث العلمي العّربي.

3-عدم إختبار قبول الجمهور للمصطلح الموضوع»[4].

---

[1]-د.علي القاسمي المرجع السابق ص 71

[2]-ينظر: د.علي القاسمي المرجع السابق ص 74-75

[3]

«ولعل لغة التعليم كانت العامل الأساس في عرقلة التّعريب وتبطيئها، فقد واجه العّرب في القرن العشرين مشكلة توليد مصطلحات علمية وتقنية عربية لسبيل المفاهيم الجديدة، المتدفق، وكان تفاقم المشكلة ناجما أساسا عن عدم إستخدام العّربية في التعليم والتعلم لأكثر من أربعة قرون، وكذلك للتخلف العلمي الذي كانت تعانيه الأمة العّربية وانعدام البحث العلمي وتوقف حركة الاختراع والابتكار والاكتشاف، وحتى المصطلحات العلمية العّربية التي كانت مستعملة بغزارة إبان إزدهار الحضارة العّربية الإسلامية كانت قد اندثرت وأصبحت في عداد المفردات اللغوية الميتة أو المهملة»[1].

وحل كل هذه المشاكل يمكن —في نظر بعضهم— في مواجهتها بشيء من الحزم والحرص، وأن تطوير اللغة العّربية لايمكن أن يتم إلا ضمن سياسة لغوية سليمة، فأغلب الحكومات العّربية تنتظر من المجامع اللغوية والهيئات العلمية، القيام بمهة تطوير اللغة العّربية بالمقابل يستمر تدريس العلوم باللغات الأجنبية وغفلت عن أن حرمان اللغة العلمية الموضوعة من طرف تلك المجامع والهيئات من الاستعمال في ميدانها الطبيعي هو قضاء عليها وقضاء على تلك الجهود بالعهم[2].

3-حركات النقل والترجمة :

أ-قديما:

انتشار اللغة العربية:

كانت اللغة العربية قبل الإسلام تقتصر على نصف الشمالي من الجزيرة العربية ولذلك كانت تسمى بالشمالية، وقد وصلت إلينا هذه العربية الشمالية في نقوش قديمة، هي النقوش الصفية والثمودية واللحيانية على مدى عدة قرون، يبتدأ من القرن الخامس قبل الميلاد وتمضي حتى القرن الرابع الميلادي، وعرفت هذه العربية أيضا في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم، وعرفت الحياة اللغوية شمال الجزيرة عدة مستويات، فاللهجات البدوية تتميز كل واحدة منها عن غيرها، وترتفع فوقها كلها اللغة المشتركة التي كانت المستوى اللغوي الذي تلتقي حوله القبائل المختلفة ووسيلة التعبير عندها جميعا، وأغلب الظن أن تلك اللغة المشتركة كانت تستخدم في أسواق العرب وفي اللقاءات الدينية والاجتماعية وفي التعامل بين القبائل.

وكان الأمر الذي خرج بالعربية من مجالها البدوي المحدود في ذاك النصف من الجزيرة لتصبح أهم لغات الحضارة في العصور الوسطى هو ظهور الإسلام وما أعقبه من فتوح إسلامية، وكانت المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب أول منطقة انتشرت فيها العربية الشمالية قبل الإسلام، وحتى القبائل الجنوبية الأصل التي هاجرت قبل الإسلام إلى شمال الجزيرة أخذت تتعرب بلغة الشمال لأن التحول من العربية الجنوبية إلى العربية الشمالية يعد يسيرا، لأن كلتا اللغتين ترجعان إلى الفرع الجنوبي من اللغات السامية.

وقد خرجت قبائل عربية -شمالية وجنوبية- كثيرة إلى البلاد المفتوحة على مراحل زمنية متتابعة، وأكبر الهجرات تلك التي كانت نحو المشرق والأندلس في عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي، لكن هذه القبائل المهاجرة لم تذب في تلك الناطق

الوافدين امتلاك الأرض الزراعية، وفرضت عليهم الإقامة في المدن الجديدة التي خططت لهم، وأشهرها: الكوفة، والبصرة، والفسطاط والقيروان وغيرها، تلك المدن التي أقام فيها العرب خططت على أساس قبلي فكل قبيلة أو مجتمع قبلي كان له قسم من المدينة يقيم فيه، وهكذا عاشت القبائل العربية في عزلة عن السكان الأصليين، وبقيت العربية لغة الفاتحين المنتصرين لذا أصبحت ذات مكانة مرموقة في تلك المجتمعات، واستمر الوضع على حاله لعدة أجيال بعد الفتح، وظلت العربية بعيدة عن الاستخدام كلغة رسمية للدولة مدة من الزمان، إذ كانت الإدارة العليا –أي الخليفة والولاة– تتعامل باللغة العربية ولكن باقي الجهاز الإداري للدولة الإسلامية كان يتعامل غالبا بلغات أخرى غير العربية إلا أن تعريب الدواوين نقل العربية إلى مستوى الاستعمال الكامل في جهاز الدولة، فأصبح لزاما على كتاب الدولة أن يتعلموا الكتابة بهذه اللغة، وهكذا اهتم كثيرون من أبناء الجماعات اللغوية غير العربية بتعلمها وإجادة الكتابة بها حتى أصبحوا من كبار كتاب الدولة، وكانت العربية أيضا لغة الإبداع الفني المعترف به، فنرى أن عوامل عدة تظافرت لتجعل اللغة العربية موضع اهتمام، وقد حدث التعريب شيئا فشيئا[1].

«والذي يؤمن بالإسلام يجب أن يقرأ كلام الله ويرتله في اللغة التي نزل بها الوحي يجب أن يكتب ويتكلم ويقرأ لغة القرآن الكريم، لغة الشعراء لأقدمين لغة للمنتصر، وبالإضافة إلى جميع ذلك تجب أن نذكر الحقيقة الآتية التي قد يغفلها الإنسان، أن المنتصر وصاحب هذه اللغة، أصبح ومنذ زمن بعيد ليس هو الذي ينتمي إلى هذه الطبقة الصغيرة الفاتحة فقط، ففي كل هذه القرون الطويلة نجد العرب يرحلون من الصحراء وسائرين في طرق الفتوحات ولا يقفون عند مرحلة من المراحل بل أصبحوا كالموج تدفع الموجة الأخرى، وهكذا أصبح العالم وهو يواجه موجات البدو

تتدفق غير منقطعة، وتتبع كل موجة موجات، ووجهة الجميع شمال إفريقية وصقلية وإسبانية، وهنا نجد العرب يستخدمون سكان تلك البلاد الأصليين في مختلف الحرف والمهن، فعملوا كفلاحين، وصناع وتجار وموظفين ومعلمين وعلماء بعد أن تعربوا وتطبعوا بالطابع العربي»[1].

ولما طلع القرن السابع عشر الميلادي، لم تكن هناك لغة تضارع لغة العرب في استيفاء بحثها والإحاطة بمادتها، وإحصاء مواردها ومصادرها، فقد تركها العرب على أبواب الحضارة الأوربية الحديثة لغة موفورة المراجع (إحصاء المفردات، ضبط النطق، ترتيب القواعد، استقصاء الأصول والشواهد)[2].

ولقد نجحت العربية في عصور الازدهار أن تكون أداة فعالة لنقل المعرفة، حتى قال القائل:«عجبت لمن يدعي العلم، ويجهل العربية»[3] إنها العربية التي لولاها لطويت عصور طويلة من العلوم في ملف النسيان، وهذه شهادة زغريد هونكه إذ تقول:«إن المخطوطات وغيرها التي أنقذها العرب لم تخزن في المتاحف والخزانات وحيل بينها وبين الهواء، بل بعثت بعثا جديدا، وانتقلت من حال النسيان والإهمال إلى الحياة ثانية فتية قوية، لقد عادت للحياة لتكون ف متناول يد كل فرد، وبالاختصار ترجمت»[4] هذه الترجمة التي عرفت مراحل وحركات كلما تقدم الزمان.

صدر الإسلام :

لم تظهر قط أية نظرية تبلور اتجاهها معينا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أوقبله، رغم أن التاريخ يخبرنا عن اتصال العرب في اليمن بغيرهم من الأمم المجاورة،

---

[1] – زغريد هونكه ، المرجع السابق ص 272

[2] – ينظر: توفيق محمد شاهين المرجع السابق ص 19

[3]

وعن حركة التجارة العربية التي كانت تصل العرب بسائر البقاع المعروفة آنئذ، فكانت لهم معاملات ومحاورات وتفاهما مع أهلها على اختلاف لغاتهم، وكانوا يأتون بالقصص والروايات عن بطولات ومآثر السريان مثلا، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على تعلم لغات الأعاجم لما في ذلك من أهمية كبرى، ففي صحيح الترميذي عن زيد بن ثابت قال: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب اليهود، قال: إني والله-ما آمن يهود على كتاب — فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت له قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»[1] إلا أنه لم يصلنا في زمنها هذا الشيء الملموس من ذلك.

العصر الأموي:

لقد جاء الإسلام وجاءت معه مفاهيم فلسفية ودينية واقتصادية واجتماعية وعلمية جديدة واستجابت اللغة العربية لها بتوليد المصطلحات التي تعبر عنها كالصلاة والوضوح والزكاة والخلافة والإمامة والحضانة والنفقة وإحياء الأرض الموات، وغيرها، وهي مصطلحات لم يكن لها وجود من قبل «وفي العصر الأموي أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين التي كانت بيزنطية في الشام وفارسية في العراق، وسرعان ما جادت العربية بمصطلحات جديدة في الإدارة والسياسة والاقتصاد، فظهرت ألفاظ جديدة كالدنيار والدرهم والبريد والديوان وغيرها»[2] فالترجمة العلمية بدأت في هذا لا العصر، إلا أن الأمويين شغلتهم المفتوح وتوطيد أركان الدولة عن فسح المجال للترجمة، ومع ذلك فقد خطت في أيامهم أولى خطواتها، وأكثر الكتب التي ترجمت حينها إنما دعى إلى ترجمتها الأمير الموي خالد بن يزيد بن معاويه (85هـ)، يقول ابن النديم:«كان خالد يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلا وله همة ومحبة للعلوم،

وخطرت بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان يترل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني واللسان القبطي إلى العربي، وكان هذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة» وكانت الكتب التي طلب ترجمتها تتعلق بالكيمياء لأنه كان يعتقد بإمكان تحويل المعادن إلى ذهب ويذكر أنه في زمن خلافة مروان بن الحكم نقل أول كتاب طبي إلى العربية وهو كناش أهرن القس بن أعين»[1].

وفي عهد عبد الملك بن مروان بدأت ترجمة الدواوين[2] فاضطر الناس إلى تعلم وإتقان العربية، مما أحدث نوعا من الحركة الثقافية أفاد من ورائها المسلمون، ولما تم فتح العراق في القرن السابع الميلادي أسلم بعض السريان فظلت مدارسهم مفتوحة طوال عهد الأمويين، وما تجدر الإشارة إليه أن حركة الترجمة ظلت حتى نهاية عهد حكم الأمويين محاولات فردية لم يكن لها كبير فائدة، كما أنها بقيت طول تلك المدة مذهبا ضعيفا ينظر إليه ولاة الأمر بريبة كبيرة رغم حاجة الناس إليها في الأوضاع الجديدة[3].

العصر العباسي :

«اقتضى التطور الحضاري والفكري أن يعني العرب بمواضيع العلوم الصرفية والتطبيقية، ومع أنه كانت لديهم معلومات غير قليلة عن هذه المواضيع وخبرات واسعة في تطبيقاتها، إلا أن هذه العلوم لم تكن منظمة ولا مدونة في كتب يرجع إليها، فكان لابد من الاعتماد على الكتب الأجنبية في الحصول على المعلومات عنها، غير أن تزايد

[1] – ينظر: شحاذة الخوري، المرجع السابق ص 157

المهمتين بهذه العلوم واعتداد العرب بلغتهم دفعهم إلى نقل كتبها إلى العربية دون اللجوء إلى قراءتها في لغاتهم الأصلية.

وقد بدأ نقل كتب هذه العلوم مبكرا منذ العصر الأموي، ثم اتسع بعد تأسيس الدولة العباسية، ووصل أوج اتساعه في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أي بعد أن كمل استقرار الهيكل الثقافي العربي الذي فيه التعبير عن الأفكار بلغة عربية في مفرداتها وبأساليب متأثرة بالقرآن الكريم وخطب العرب وموروث الأقوال، نقلت إلى العربية كتب كان قد تم بحث مواضيعها خلال أزمنة طويلة قد يرجع بعضها إلى العهود البابلية فهي «علوم الأوائل» أي الأقدمين، وهذه العلوم، وإن كانت أصول بعضها عربية إلا أنها تمت واتخذت صيغتها الأخيرة في أقطار يتكلم أهلها بلغة بعيدة عن العربية، فدونت كتبها في تلك اللغات ونسبت إليهم»[1] ففي زمن بني العباس ازدهرت الترجمة ازدهارا عظيما يرجعه شحاذة الخوري إلى سببين:

1- لم يكن العرب قبل هذا العهد يهتمون كثيرا بالفلسفة والعلوم لانشغالهم بالفتوح وتوطيد دعائم الحكم -كما علمنا- وقرب عهدهم بالتحضر، فلما وجدوا أن الحضارة لا تقوم إلا على العلم مالوا إليه وجدوا في ترجمته.

2- كثر في عصر بن العباس الجدل بين فرق المسلمين، وبينهم وبين أصحاب الأديان الأخرى، مما حدا بهم إلى ترجمة الفلسفة اليونانية بعامة، ومنطق أرسطو بخاصة، لاتخاذها وسيلة لدعم الرأي وإسناد الحجة[2]

1

ولقد أدرك الخلفاء العباسيون أن من العوامل المهمة لازدهار الثقافة، بعث حركة الترجمة وتشجيعها فأدّى تحفزهم إلى تقوية تيار الترجمة واندفاع الناس مع هذا التيار[1] ويقسم د.عادل البكري عهد الترجمة هذا إلى مراحل هي :

«المرحلة الأولى : وتمتد من خلافة أبي جعفر المنصور إلى نهاية خلافة الرشيد (من سنة 752م-809م) وتمتاز بترجمة كتب الطب .

المرحلة الثانية: وهي الفترة التي تشمل عصر المأمون حتى عصر المقتدرو تتميز بترجمة كتب الرياضيات والفلسفة والمنطق.

المرحلة الثالثة: وتشمل عصر المقتدر وما بعده وتتميز بترجمة الكتب التي تبحث بمختلف العلوم والآداب»[2] وفترة الترجمة الكبرى كانت في زمن الخليفة المأمون الذي أسس في بغداد "دار الحكمة"[3] وقيل أنشأها الرشيد لتكون مركزا ثقافيا ومجمعا لأهل الفضل من العلماء والأدباء، ولتجري فيها ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية وتقام فيها المناظرات. بين العلماء، وكذا لأجل ضم مكتبة ضخمة هي في الحقيقة المكتبة الرسمية للدولة، فتحتضن المؤلفات العلمية التي جمعها أبو جعفر المنصور وأبوه المهدي، وما عثر عليه هو في حروبه في بلاد الروم، فكانت "دار الحكمة" أكبر مؤسسة للترجمة عرفها التاريخ[4]. خلافا لسابقيهم الأمويين خرج الخلفاء العباسيون على كثير من التحفظات بصدد العلوم الدخيلة، وأولوها عن يتهم واهتمامهم[5] بل «كذلك كان الأمراء شغوفين بالحصول على المترجمين الذين يترجمون لهم هذه المخطوطات كما سار في ركب الأمراء كذلك الوزراء والأثرياء، وكانوا يدفعون الأموال الطائلة لأولئك الذين

---

[1] – ينظر: المورد المرجع السابق ص 43

[2] – د.عادل البكري المرجع السابق ص 143

[3] – ينظر: محمد أركون الفكر الاسلامي ص 143

[4]

يتجولون لهم من العلماء والوسطاء في بلاد اليونان والأناضول وحيث نزل اللهلينيون للحصول على بقايا التراث العقلي هذه البقليا التي نجت من التدمير»[1].

وهكذا نجد العلماء العرب يحفظون للعالم عن طريق ترجماتهم الكثير من الكتب من الضياع النهائي وهي مؤلفات كان العالم يجهلها جهلا تاما قبل ذلك، وكانت ترجماتهم تؤدي بعناية ودقة وحماس لا يقل عن الاهتمام الذي وجه إلى جميع الكتب التي جمعت من مختلف مصادرها[2] لقد «كانت المعرفة مطلبهم وغايتهم، والترجمة وسيلتهم في نقل هذه المعرفة، واللسان العربي المبين أداة التعبير والإفصاح والشرح والإيضاح»[3].

العصر الأندلسي:

في الضفة الأخرى من البحر المتوسط كانت حضارة الأندلس الإسلامية تتلألأ وتنير أطراف أوروبا المظلمة، وكما أن الزهرة تتجه نحو الضوء الذي ينميها ويغذيها ويبعث الحياة فيها، كذلك أصبح المغلوبون على أمرهم يحاولون الانسجام مع حكام البلاد الجدد مع إخلاصهم لعاداتهم وعقائدهم، فقد أخذوا اللغة وسموا أبناءهم أسماء عربية وأخذوا يتطبعون بطباع العرب وعاداتهم كلما تقدم بهم الزمان «حتى أن الطبيب في بعلبك والتاجر في الموصل والمشرع في غرناطة كانوا يلتقون جميعهم في أسواق القاهرة وحوانيتها كما لو أنهم جميعهم أبناء شعب واحد»[4]

ولقد عني رجال الأندلس من خلفاء وعلماء وذوي المكانة المرموقة في المجتمع الأندلسي بتشجيع حركة النقل والترجمة والتأليف، فترجموا جديدا، وأصلحوا قديما قام

---

[1] – زغريد هونكة المرجع السابق ص 281

[2] – ينظر: المرجع نفسه ص 284-289

[3]

به الأمويون والعباسيون من ترجمات، وقد تكونت عندهم مدرسة شابهت تلك التي في بغداد[1].

فترة الركود:

«ثم تتالت الأحداث وقلب الدهر للعرب ظهر المجن، وجاءهم عوامل الضعف من الداخل ومن الخارج، فحل الشتات محل الألفة والتجزئة مكان الوحدة، والضعف موضع القوة، فطمع بها الخصوم، وتتالت عليهم الغزوات والحروب، فخبا الألف الذي يطبع قرونا بسبب الدمار الذي حل بديارهم، وتسلط الأعاجم على الحكم وضمرت الحياة الفكرية عندهم نتيجة ركود حياتهم العامة»[2] وركدت الترجمة إلى العربية لما ركد العالم العربي.

ب-حديثا:

بدأت المرحلة الحديثة عند العرب بالصراع من أجل بناء الذات والتمايز للمشروع الديني والمشروع السياسي في عملية البناء الذاتي من خلال قاعدتي: المنافع العمومية والتنظيمات وفي حين ظلت الازدواجية اللغوية بين التركية والعربية مألوفة في التأليف والترجمة، ومقابل ذلك ركز أولئك الذين ابتعثهم محمد علي إلى فرنسا، والشوام العاملون بمصر أو استنبول ورجالات الإرساليات على التأليف بالعربية والترجمة إليها، فظهرت تباشير لغة عربية جديدة مطعمة بمئات الألفاظ المعربة والمترجمة، وهكذا كان الوعي وعيا بضرورات التقدم عن طريق الابتعاث وبناء المؤسسات والترجمة في كل الحقول، خاصة منها ما كان ذا صلة بالتعليم المدرسي والتعليم في المعاهد العلمية

---

[1]-ينظر: د.صلاح يحياوي ترجمة المطبوعات العلمية نقلا عن أبحاث ملتقى الكتاب العربي المرجع السابق ص 195

المتخصصة:«لذلك كان مفاجئا ما بدأ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من حملات على اللغة العربية بالذات من جانب رجالات الدراسات الاستشراقية، ومن جانب الكثيرين من المعنيين بالشأن النهضوي العام من التحديثيين وقد امتدت رحلة الاندفاع لمجابهة العربية التي وكلاسيكية إلى مشارف ثلاثينيات القرن العشرين، حيث تحول الصراع على العربية يومها إلى صراع على الهوية الثقافية للأمة.

تركزت الهجمات على العربية الفصحى المستعملة في الجرائد والترجمات في ثلاثة محاور: الدعوة إلى العامية، والدعوة إلى استبدال الحروف العربية من أجل التيسير والدعوة إلى تيسير قواعد النحو والبلاغة والبيان»[1] لقد عادت الحياة إلى الترجمة عندما بدأت تباشير عصر النهضة في الظهور وأخذ العرب يتطلعون إلى أوربا وحضارتها الحديثة، وأرادوا أن يكون لهم مثل ذلك فأخذوا يتصلون بالأوروبيين ينقلون عنهم ويتأثرون بهم، ولعل أول ما حدث ذلك عندما غزا نابليون في نهاية القرن الثامن عشر مصر، مظهرا تفوق السلاح الغربي والأفاق الفكرية والحضارية النشطة في الغرب[2].

«وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي اتجه العرب إلى التعريب من جديد وأخذوا ينقلون إلى اللغة العربية ثقافات الأمم المتقدمة في العصر الحديث ومازالت هذه الحركة موضع اهتمام كبير في جميع البلاد العربية»[3] وأصبح من المتعارف عليه استخدام وسائل معينة في نقل المصطلحات العلمية والتقنية الأجنبية إلى العربية وهي :

1-الاقتراض

2-الترجمة

3-الوضع

---

[1] – ينظر: د.رضوان السيد المرجع السابق ص 18

[2]

4-إعطاء معاني جديدة لكلمات قديمة

5-النحت من عناصر عربية أو عربية وأجنبية[1]

ومع ذلك وجد النقص في المصطلحات العلمية والتقنية في الوطن العّربي، ويعزى الأمر إلى أسباب ثلاث:

«1-خلال أربعة قرون من الحكم العثماني والسيطرة الأوروبية على البلاد العّربية، لم تستخدم اللغة العّربية في الإدارة أو التعليم، ففقدت شيئا من استمراريتها ونموها في هذين المجالين.

2-وفي تلك الفترة الطويلة، وقبل نهضتنا العلمية المعاصرة لم تكن هناك اختراعات أواكتشافات أو أبحاث علمية رصينة في الوطن العّربي لكي تسبغ مصطلحات عربية على المخترعات أو المكتشفات ونحن نعلم أن المصطلحات العلمية والتقنية يضعها المخترعون و المكتشفون والعلماء والباحثون.

3-إن تدفق المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة كل يوم من الدول الصناعية يجعل من العسر على العّربية مجابهتها واستيعابها بالسرعة اللازمة إذ تقدر هذه المصطلحات الجديدة بخمسين مصطلحا يوميا»[2]

إن مشكلتنا لا تكمن في قلة المصطلحات أو كثرتها إنما أصلها أن النقل عندنا يعني نقل المعارف العلمية قاطبة، إذ ليس في لغتنا معارف علمية معاصرة ذات شأن مذكور، خلاف الدول المتقدمة الغربية منها والشرقية، إذ أن نقل المعرفة العملية عندهم معناه نقل الجديد المستحدث الذي ليس له مقابل في لغتهم فقط[3] غير أن هناك جهود تبذل ومساع تشكر للمضي بالتّعريب والترجمة إلى الأمام من مثل إقامة هيئة أطلق

---

[1] ينظر: د.علي القاسم المرجع السابق ص 67

[2] [illegible]

عليها اسم الشعبة الأولى للترجمة والتأليف سنة 1918 بدمشق[1] إضافة إلى إنشاء المجامع اللغوية في القاهرة وبغداد ودمشق، تجري هذه المجامع أبحاثا في أسس وضع المصطلحات في العربية، ثم في عام 1969 أناطت جامعة الدول العربية مهمة تنسيق المصطلحات في الوطن العربي بمكتب تنسيق التعريب بالرباط[2]

ولعلنا في يومنا هذا في عصر المعلومات سنقطع أشواطا كبيرة في مجال الترجمة ذلك أن « التواصل الحالي عبر الانترنيت، والذي يسوده الطور الكتابي، هو مرحلة بدائية وانتقالية تمهد لتواصل أوسع نطاقا، تواصل ما بعد الكتابة الذي يمتزج فيه المكتوب مع المسموع، بالإضافة إلى المرئي من الصور الثابتة والمتحركة، مكونا رسالة اتصالي كثيفة المعلومات نحن –بلا شك– إزاء نقلة نوعية أقل ما يقال عنها، إنها ثورة في أسلوب التواصل الذي أعتاد البشر منذ الأزل»[3]

فهل ستكون ثورة أيضا في أسلوب النقل وحركة الترجمة؟ ذلك ما ستبديه لنا الأيام.

4–تعريب المصطلح وتغريب الفكر:

«ولقد أدخلت الحداثة إلى الفضاء العربي مفاهيم واصطلاحات وأسماء وأشياء وصورا ورموزا وآلات ونظما صناعية وعسكرية ومدنية وعلوما لا حد لها، فماذا كان مصير هذه المفاهيم والرموز والنظم المادية والذهنية؟ هل استطاع نظام العقل باعتباره محرك الثقافة أن يهضمها ويدمجها في الثقافة العربية، أم لا؟ هل استطاعت اللغة مثلا أن تستوعب المصطلحات الجديدة وتعربها، أي تجعلها جزءا لا يتجزأ منها؟ أم أنها هي التي انهارت أمام هذا الدفق السريع والمتواصل من المصطلحات وغرقت فيها، فعجزت عند

---

[1] – ينظر: د.أحمد مطلوب المرجع السابق ص 18

[2]

ضبط معانيها وأسس استخدامها، وطريقة التعامل بها، بحيث تحفظ للعقل انسجام مفاهيم وللتفكير اتساقه ودقته»[1].

إن ما يحدث ويستجد من ألفاظ عند مختلف الأمم أمر لا يحده الزمان والمكان إلا إذا سدت منافذ العقل وتوقفت حياة العلم، لذا كان قبول لغة لجميع مصطلحات ألسنة الأمم الأخرى كما هي، غزوا غريبا قاضيا، حتما على تلك اللغة[2] ولكي يتضح لنا معنى هذا الكلام يقول الأستاذ أحمد موسى :« لكن هذه اللغة مع بداية استرخاء الحكام في القصور، ومع غيبة المجاهدين المرابطين في الثغور، ومع ما أصاب عامة العرب من زوار المدن أو المقيمين بأطرافها، من فتنة بالمعروض الشهي من المتاع، أو المبذول الطيع من الغواية بدأت تطرأ على تراكيب اللغة وعلى وظيفتها وأهدافها تغييرات تعكس ما وقع للناطقين بها، بعد أن فكوا أحزمة التشدد، وبعد أن طافوا طويلا باللمم، وبعد أن ساقهم اللمم إلى ألوان من الذنوب ما عرفها آباؤهم، فإذا هم قعود وعلى ألسنتهم كلمات جديدة معربة –أو غير معربة – في مجالس الغناء واللهو والخمر والشذوذ والانحلال، بهذا الاسترخاء، والإقبال على المتع تراجعت القدرة التي كان الأعاجم يجدونها في العرب، ولم يعد العرب قادرين على استهواء غيرهم»[3].

ومنذ أن أطل " مثقفو العرب على فنون وآداب الغرب ورأوا الدينامية والحيوية والتوفر التي طبعها بها التجديد الهائل في محتواها وشكلها، مقارنة مع القيم الوسيطة التي كانت سائدة، بدا لهم عالمهم التقليدي عالما فارغا من المعنى تكراريا ومملا لا يعبر عن الواقع ولا يحيل على الحقيقة، فأصبح الإصلاح شعارا عاما يعني الاستفادة من الحداثة ومعطياتها لبعث الحياة في الأدبيات الراقدة أو استبدالها بأحسن منها،«وأصبحت الحداثة

---

[1] – برهان غليون المرجع السابق ص 183

[2] – ينظر

الفنية وقعا يوميا يعبر عن نفسه في طريقة التفكير والعمل واللباس والأكل والتسلية والبناء»[1] المشكلة لا تكمن في النقل عن الغرب فليس هناك ما يحول أمام تدفق الدلالات والمعاني والرموز الجديدة، إنما في ما هي الطريقة التي يتعامل بها العرب مع هذه الدلالات؟ وما هي قدرتهم في التحكم بها وإدماجها في حياتهم الفكرية؟ يقول برهان غليون في "اغتيال العقل":«هكذا أخفقت الحداثة في التوليف بين العناصر الغربية الوافدة والعناصر المحلية لإبداع نظام متسق من الدلالات الفنية سواء أكان ذلك في ميدان العمارة أو في ميادين الآداب والفنون الأخرى، لم تصبح حداثة عربية، بل بقيت تستقي عناصر تجددها وتقدمها من الارتباط المباشر بالحداثة الغربية والاعتماد عليها، أي أن النقل والتقليد للنماذج الغربية أصبح يستدعي نقلا وتقليدا أوسع وأعمق ولا يجد شرعيته ومبرر وجوده إلا في هذا التوسع وأصبح نفي التراث وإزالة تأثيره شرطا لنمو الإبداع الحديث ومطلبا أوّلا له، مما فاقم من عمق الأزمة وحدتها»[2].

ولا نجد لنا في سياق التّعريب والتغريب قولا إلا أن نورد أقوال بعض رجالات الفكر فيما يلي:

«1-وأول مقومات استقلالنا الثقافي هو استرداد شخصيتنا العربية وتخليصها من شوائب اللقاح الأجنبي الدخيل ولن يكتمل استقلالنا الثقافي إلا بعودة اللسان العربي المعبر عن الفكر والمترجم عن الإحساس القومي والديني، فاللغة هي المظهر الخارجي للشخصية : «إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا»[3].

---

[1] – برهان غليون المرجع السابق ص 290

[2] – المرجع نفسه ص 294

«2-إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها، ويظلون مع ذلك أغنياء، فالشعب يفتقر ويستعبد ما أن يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، عندئذ يضيع إلى الأبد»[1] -شاعر صقلية: إجنازيو بوتيتا-

«3- فاللغات تنازع القومية، وطني والله إحتلال عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها، وإذا هانت اللغة القومية على أهلها أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثر الجو الأجنبي في الجسم الذي انتقل إليه وأقام فيه»[2] -مصطفى صادق الرافعي-

«4-والتّعريب الذي يكمل استقلالنا ليس هو التّعريب اللغوي فحسب، فإن هذا التّعريب وحده لا يكفي، وإنما التّعريب الذي تنشده أمتنا هو القيمة الروحية والقدرة النفسية والملكة الذهنية التي تنعكس على التفكير والتعبير، وتظهر في السلوك والعادات والتقاليد»[3].

«5-إن من يقرأ بالعّربية أو يكتبها قد يلتقي مع أي أجنبي يحسن العّربية، يلتقي مع المستشرق الذي يتقن العّربية قبل أصحابها، ويلتقي مع من يتعلم لغة أجنبية بغرض التعامل مع أصحابها، في حين أن التفكير هو المهم في الموضوع فربما وجدنا مواطنا لا يحسن العّربية، ومع هذا يدافع عن العّربية والعروبة أكثر من بعض الذين يتقنون العّربية، فالذين ينظرون إلى التّعريب نظرة لغوية يحرفونه عن مضمونه ويسعون في الوقت نفسه إلى تكريس الإقليمية، ويعملون على استمرار التجزئة وإبقاء الأمة العّربية جسدا بلا روح، فالوحدة لا تتم مع الإقليمية، ولا مع التّعريب اللغوي وإنما تتم مع التجانس الفكري، مع تعريب التفكير»[4] -عبد الله الركيبي-

---

[1] - د. نبيل علي المرجع السابق ص 229

[2] - مصطفى صادق الرافعي، اللغة والأمة نقلا عن المختار في الأدب والنصوص المرجع السابق ص 59

[3] - [illegible] 186

«6-وهذا يعني أن نأخذ ما استطعنا من الغرب ولا نؤخذ به، ونحي ما أمكننا من التراث ولانحيابه»[1] -برهان غليون-

«7-كل هذا لن يتم إلا بعد وعي تام بمواقع التغريب ومظاهره في جميع مناحي حياتنا، والتصدي لها، بناء الذات الحضارية البديلة، في علمنا، في منهجية تسوية مشكلاتنا، في طريقة تفكيرنا، في أسلوب مواجهة قضايانا المصيرية، في الأيام التي نعد، في السنوات التي ينعش، في الأحداث التي تمر بنا، في كل ما نرى ونسمع، في راحتنا وفي سكوننا، في أنفسنا، في كل ما هو حولنا"فهذه هي اللبنة الأولى في طريق البناء»[2] -محمد سليم قلالة-

«8-وجدير بالعرب -الذين يذكرون أنهم أبناء الفاتحين الأوائل، أن يثابروا على تعليم لسانهم وأدبهم العتيق الطهور، وهم واجدون ثروة طائلة منه في تراثهم المهمل، ويستطيعون اختيار نماذج صالحة منه على أساس من استنارتهم بفطرة الإسلام، وإنسانيته الراقية»[3] -محمد الغزالي-

«9-أما القول أن الأفراد الذين درسوا باللغة العربية لا يستطيعون أن يسهموا في النشاط العلمي الدولي لجهلهم باللغات الأجنبية العالمية فقول مشتمل على شيء من التمويه، لأن العجز عن الإسهام في النشاط العلمي الدولي لا يرجع إلى ضعف علمائنا في اللغات الأجنبية بل يرجع إلى ضعفهم في موضوع اختصاصهم»[4] - جميل صليبا-

---

[1] - برهان غليون المرجع السابق ص 366

[2] - محمد سلم قلالة المرجع السابق ص 08

[3] - محمد الغزالي المرجع السابق ص 194

[4]

«10-كتب المثقف التركي عبد الله سيفيت، مدير الجريدة التركية"اجتهاد" بكل سذاجة عشية الثورة الكمالية: «لا توجد حضارة ثانية، توجد حضارة واحدة، فكلمة حضارة تعني الحضارة الأوروبية، وينبغي استيرادها وفرضها كما هي بزهرها وشوكها»[1] !؟-خمد أركون-.

ختامها

" إن الكشف عن الحقيقة
أفضل من نقل ما قيل عنها"

- أبو حامد الغزالي -

بعد هذا التطواف الطويل في رحاب هذا البحث و التجوال عبر محطات فصوله، ربما نكون قد نقلنا بعض ما قيل حول موضوعه، و ربما نكون قد أسهمنا في الكشف عن الحقيقة من غير تطلع للفضل و حسبنا أن نخلص مع من أصاب من بحثنا هذا اطلاعا، إلى نتائج نجمعها فيما يلي :

أولا : إن العلاقة بين اللفظ و الدلالة إنما يحدثها العقل الصرف و أن الدلالة اللغوية إنما هي نتائج اصطلاح أفراد المجتمع فهي عرفية قابلة للتغيير سواء بالنقل أو التطور إن من الحسوس إلى المجرد أو بالتخصيص أو التوسع، و لما كان كل شيء يعرف باسمه و يستدل عليه بصفته، كان الاصطلاح الذي فحواه جواز اختيار المصطلح أو وضعه لأدنى علاقة أو ملابسة بالمدلول. و تبقى حياة هذه العلاقة رهينة عاملي التوظيف و الاستعمال. كما تكتسب التجديد على مستوى حقل الدلالات حين يعتبر الاسم رمزا تاما إذا ما كان في مرتبة المسند إليه و ما الرمز إلا ربط بين دالين أو مدلولين ضمن علاقة غير ضرورية و إنما مقصودة.

ثانيا : إن وضع المصطلح عملية مميزة و خاصة جدا، و لا يمكنها أن تجرى خارج مجال متخصصيها لأن تحديد العلاقة بين المفاهيم دقيقة بالقدر الذي يبنى عليه المصطلح أو يوضع، لذا وجد علم المصطلح الذي يعد فرعا من فروع علم الألفاظ و علم تطور دلالات الألفاظ.

ثالثا : و لعل أقل ما أفدنا منه أنه لا يوجد تناسب أو تطابق بين عدد المفاهيم العلمية وعدد المصطلحات التي تعبر عنها و أن من أصعب المشاكل التي تعترض واضعي المصطلحات الازدواجية التي تعددت أسبابها و لربما ألطف حل فرد قولهم : "إذا كان عندنا لفظتان إحداهما حسنة الصيغة و الثانية قبيحتها استغني بالحسناء عن الشوهاء".

رابعا : و بالاصطلاح يمكن التعبير عن كل شيء سواء من الضروري أو الكمالي، وسواء كان ماديا أو روحيا، ملموسا أو مجردا و هذا كان دأب العرب الأوائل و من ثم حق لفصحائنا الوضع و الإرتجال كما فعل أسلافهم.

خامسا : كل لغة لها طابعها الخاص من ناحية النوع و لها نسبة مفردات محددة من ناحية الكم، تختلف من مجتمع لآخر، و هي تتقدم و تتأخر بحسب درجة الناطقين بها من الرقي الحضاري و التقدم الاجتماعي. و تعد القدرة على استيعاب المفاهيم العلمية و الفكرية الشديدة التعقيد المتناهية اللطف ذروة التطور في حياة كل لغة من اللغات الحية.

سادسا : و إذا أردنا أن نفهم طبيعة التفكير و المعرفة فلا بد قبل ذلك أن نفهم طبيعة اللغة التي بها نفكر و نوصل أفكارنا إلى الغير. و ما ضاقت لغة عن التعبير أفكار أصحابها إلا إذا ضاق تفكيرهم، و قد تكون اللغة كما يقولون مجرد وجه خارجي للفكر في أعلى مستويات التعبير الرمزي و أعمها.
ذلك ما يمكنه أن يحدث تسمية الأشياء بطريقة سلبية عندما لا يوجد لها اسم باعتبارها الأشياء التي ليس لها اسم و غالبا ما يحدث اللاتمييز فيؤدي إلى التعميم في التسمية في حين أن التمييز يؤدي إلى التخصيص و الحكم في الأخير يعود إلى عامة الناس التي توظف الأفكار النازلة إليها في الحياة العادية أو لاتوظفها فتحكم عليها بالجمود و الزوال.

سابعا : تقضي الطبيعة البشرية بالتواصل بين الأفراد من حيث كان الإنسان اجتماعيا بطبعه و ما التواصل إلا عملية مرور الفكر من فرد لآخر و حتى من مجتمع لآخر، تبقى أن وسيلة التواصل الشائعة و الفعالة هي اللغة التي تختلف من مجموعة لغوية إلى أخرى، و لذلك لجأ العرب إلى التعريب [illegible]

الاختلاط بالأجانب و التباهي بمعرفة كلامهم. مما جعل الحاجة ملحة لتحديد المصطلح للحديث عامة و العلمي خاصة على أساس تحديد معناه بدقة والتخلص من الاختلاف في سماعية المعرب و قياسيته و الابتعاد عن التراع في عصور الاستشهاد إذ لا محيص عن قبول أي قياس يجري على سنن العرب في كلامها دعت الحاجة إليه شريطة أن يكون هذا القياس صحيحا.

ثامنا : فاختلاف النظرة إلى الأعجمي في عصرنا الحديث يعني اختلاف المعيار في باب واسع من أبواب الخطأ و الصواب، فما يراه المانعون خطأ من هذه الألفاظ يراه المبيحون صوابا، غير أن البعض غفلوا عن أن كثيرا من كلمات المعاجم الغربية هي مبتدعات اعتباطية و أن المصطلحات العلمية في كل لغة تظل مدركة في تعريفها فقط، و لا تستنتج في لغة الحديث و لغة التعبير العامة، فلا بد من الاعتماد على المعنى الاصطلاحي في وضع المقابل العربي و إلا أدت الترجمة الحرفية للنصوص العلمية إلى ارتكاب أفدح الأخطاء دون إغفال كون المترجم يجب أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول إليها و المنقول عنها.

تاسعا : و إذا عدنا للتعريب فإنه قد شكل للقدماء و حتى المحدثين خطوة صعبة فمنهم من قصره على الأجناس و الأعلام و منهم من رآه في المصطلحات المتداولة ومنهم من رآه وسيلة أخيرة يمكن اللجوء إليها في حال عجز الترجمة و إن فضلها البعض عليه، و ليس وجود اللفظ المعرب في الجسم اللغة كوجود جسم غريب في جسم الإنسان من حيث يضر بقاؤه و تجب إزالته، كما أنه يتعين على المعربين للعلوم و التكنولوجية أن يقوموا بأعمالهم التعريبية بصفة جماعية إذ لا يمكن لواحد منهم أن يقوم بتلك المهمة منفردا دون الرجوع إلى زملائه.

بيد أن الخلل الحاصل اليوم هو أن التعريب قد أبقي مقتصرا على العلوم الإنسانية و ترك أهمية الترابط بينها و بين العلوم التكنولوجية، و أصبح كل واحد منها يجري في واد وغاب الحوار بينهما.

عاشرا : و المشكلة عندنا عموما لا تكمن في قلة المصطلحات و كثرتها إنما أصلها أن النقل عندنا يعني نقل المعارف العلمية قاطبة.

حادي عشر : و المشكلة أيضا لا تمكن في النقل عن الغرب فليس هناك ما يحول أمام تدفق الدلالات و المعاني و الرموز الجديدة إنما في ما هي الطريقة التي يتعامل بها العرب مع هذه الدلالات و ما هي قدرتهم في التحكم بها و إدماجها في حياتهم الفكرية ؟ و على كل بقدر ما يتمكن الأفراد من لغتهم القومية تنمو مشاعرهم و أفكارهم لأنه لا فكرة بغير لفظ و لا لفظ بغير فكرة.

و بعد أن طفنا في أرجاء هذا البحث نأمل أن تكون ملامح الموضوع قد اتضحت و أن نكون بذلك قد وضعنا توطئة لموضوع : "**تعريب المصطلح في اللغة العربية**" ، مدركتين أن الأمر في حاجة إلى إعادة محاولة.

والحمد لله وحده والصلاة والسلام

على من لا نبي بعده.

فهرس الأعلام

-أ-

1- آدم

2- آرتو

3- الآمدي

4- ابن إسحاق، حنين

5- ابن أعدن، أهرن القسو

6- ابن البطريق، يوحنا

7- ابن ثابت، زيد

8- ابن جني

9- ابن الحاجب

10- ابن الحجاج، يوسف

11- ابن الحكم، مروان

12- ابن حيان، جابر

13- ابن الخطاب، عمر

14- ابن خلدون، عبد الرحمان

15- ابن سيده

16- ابن سينا

17- ابن عبد الرحمان، صالح

18- ابن العلاء، أبو عمرو

19- ابن عيسى، حنفي

20- ابن فارس، أحمد

21- ابن قتيبة

22- ابن قرة، ثابت

23- ابن مروان، عبد المالك

24- ابن منظور

25- ابن المعتز

26- ابن نعمان، أحمد

27- ابن النديم

28- ابن هيثم

29- ابن يزيد، خالد

30- الأخطل

31- أرسطو

32- الأرسوزي

33- أركون، محمد

34- الأزهري

35- أفلاطون

36- اقليدس

37- الألوسي

38- امبسون

39- أمين، أحمد

40- أنيس، إبراهيم

41- أورويل، جورج

- ب -

42- برغسون

43- برهارد

44- بروكا

45- بزرجمهر

46- البستاني، بطرس

47- البستاني، عبد الله

48- بطليموس

49- بقدونس، رشيد

50- البكري، عادل

51- بلاندييه، جورج

52- البناني

53- بوتيتا، إجنازيو

54- بورديو، بيير

55- البيروني

- ت -

56- الترميدي

57- تشومسكي

58- التنوخي

59- التوحيدي، أبو حيان

60- تيمور، محمود

-ث-

61- الثقفي، الحجاج بن يوسف

62- ثورتدايك

-ج-

63- الجاحظ

64- جالينوس

65- الجرجاني، الشريف

66- الجرجاني، عبد القاهر

67- الجرجاني، القاضي

68- الجرمي، أبو عمرو

69- جرير

70- الجزائري، طاهر

71- جواد، مصطفى

72- الجواليقي

73- جوفتر

74- الجوهري

75- جيرار، رينية

-ح-

76- الحاج صالح، عبد الرحمان

77- حسن، إبراهيم

78- حسن، عباس

79- حسن، عبد الحميد

80- حسن، محمد عبد الغني

81- حسين، طه

82 الحطيئة

83- حمادي، محمد ضاري

84- الحمصي، ابن الناعمة

85- الخوارني، ابراهيم- بروكا

86- بزرجمهر

87- البستاني، بطرس

88- البستاني، عبد الله

89- بطليموس

90- بقدونس، رشيد

91- البكري، عادل

92- بلاندييه، جورج

93- البناني

94- بوتيتا، إجنازيو

95- بورديو، بيير

96- البيروني

-ت-

97- الترميذي

98- تشومسكي

99- التنوخي

100- التوحيدي، أبو حيان

101- تيمور، محمود

-ث-

102- الثقفي، الحجاج بن يوسف

103- ثورتدايك

-ج-

104- الجاحظ

105- جالينوس

106- الجرجاني، الشريف

107- الجرجاني، عبد القاهر

108- الجرجاني، القاضي

109- الجرمي، أبو عمرو

110- جرير

111- الجزائري، طاهر

112- جواد، مصطفى

113- الجواليقي

114- جوفتر

115- الجوهري

116- جيرار، رينية

-ح-

117- الحاج صالح، عبد الرحمان

118- حسن، إبراهيم

119- حسن، عباس

120- حسن، عبد الحميد

121- حسن، محمد عبد الغني

122- حسين، طه

123- الحطيئة

124- حمادي، محمد ضاري

125- الحمصي، ابن الناعمة

126- الحواري، ابراهيم

-خ-

127- خليفة، عبد الكرن

128- الخوارزمي

129- الخوجة، عبد المجيد

130- الخوري، شحاذة

131- الخولي، أمين

-د-

132- دي سوسيور

133- ديكارت

134- ديمقراط

-ر-

135- الرازي، أبوبكر

136- الرازي، أبو حاكم

137- الرافعي، مصطفى صادق

138- الراوي

139- رزوق، عيسى

140- الرشيد

142- الركيبي، عبد الله

143- ريبو

-ز-

144- الزيات، حسن

145- زيدان، جرجي

146- زيدان، محمود فهمي

-س-

147- سارتر، جون بول

148- سبيتا، وهلم

149- سبير، إدواردو

150- السراج، أبو بكر

151- سقراط

152- سيبويه

153- السيرافي، أبو سعيد

154- السيوطي

-ش-

155- شارباطوف

156- شتراوس، كلودليفي

157- شقير، شاكر

158- شكري، محمد

159- الشهابي، مصطفى

-ص-

160- صالح، هاشم

161- الصفدي، صلاح الدين

-ط-

162- ظاظا، حسن

-ع-

163- عاقل، فاخر

164- العاملي، البهاء

165- عبد العزيز، عبد المجيد

166- عزام، عبد الوهاب

167- العلايلي، عبد الله

168- علي، محمد

169- علي، نبيل

-غ-

170- الغزالي، أبو حامد

171- الغزالي، محمد

172- غليون، برهان

173- غولديبه، موريس

-ف-

174- الفرابي

175- الفارسي، أبو علي

176- فتحي، أحمد

177- الفرزدق

178- فرغسون، جالس

180- فريجه

181-فندريس

182- فوكو، ميشيل

-ق-

183- القاسمي، علي

184- قراطيل

185- قلالة، محمد سليم

-ك-

186- الكرملي، أنستانس ماري

-ل-

187- لالاند

188- لودفين

189- لوك، جون

190- ليفي، سيلفان

-م-

191- محمد، رسول الله (ص)

192- مابي، وكيم

193- مارتيني

194- المأمون

195- مالينوفسكي

196- مطلوب، أحمد

197- المغربي، عبد القادر

198- المغربي، عبد الله بن كنون

199- المقتدر

200- الملائكة، جميل

201- المنصور، أبوجعفر

202- المهدي

203- موسى، أحمد

204- موسى، حبيب

205- مؤنس، حسين

206- ميكيتر

-ن-

207- نابوليو

208- الناصري، يوسف عز الدين

-هـ-

209- هاملتون

210- هونكه، زغريد

211- هيرقليط

212- هيرودوت

-و-

213- واطسن

214- وافي، عبد الرحمان

215- وافي، علي عبد الواحد

-ي-

216- اليازجي، ناصف

فهرس البلدان

1- إسطنبول

2 - أمريكا

3- الأناضول

4- الأندلس

5- أوربا

6- إيران

7- بريطانيا

8- البصرة

9- بعلبك

10- بغداد

11- بيت لحم

12- الجزائر

13- الجزيرة العربية

14- خراسان

15- دمشق

16- الرباط

17- سورية

18- العراق

19- غرناطة

20- فرنسا

21- الفسطاط

23- القاهرة

24- القيروان

25- الكوفة

26- مصر

27- الموصل

28- اليونان

فهرس المصادر و المراجـــــــــــع

1- أبحاث ملتقى الكتاب العربي الجامعي في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1983م

2- أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ و التطبيق، الجزائر، دار الأمة للطباعة و الترجمة والنشر و التوزيع ط2، 1998م

3- أحمد مطلوب، حركة التعريب في العراق، بغداد، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، دط، 1983م

4- برهان غليون، اغتيال العقل : محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية، الجزائر، سلسلة موفم صاد تحت إشراف علي الكنز، دطـــ، 1990

5- البناني، العلامة البناني، حاشية العلامة البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد ابن أحمد المحلي على متن "جمع الجوامع" الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن سبكي وبهامشها تقرير شيخ الإسلام عبد الرحمن الشربيني، لبنان بيروت، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع، طبعة منقحة، المجلد الأول، 1415هـ/1995م

6- توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1414 هـــ/1993م

7- جول تريكو، المنطق الصوري، ترجمة: محمود اليعقوبي، بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1992م

8- حسين مؤنس، الحضارة : دراسة في أصول و جوامع قيامها و تطورها، الكويت، كتاب عالم المعرفة 237، دط، 1419 هـــ/1998م

9- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، 1980م

10- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، الجزائر، مجلة الكلية، دار القصبة للنشر، دط، 2000م.

11- رايموند ويليامز، طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد، ترجمة : فاروق عبد القادر، الكويت، كتاب عالم المعرفة 246، دط، 1420هـ/1999م

12- زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمه و حققه و علق عليه : د.فؤاد حنين علي، الجزائر، قسنطينة مكتبة رحاب، دط، 1986م.

13- سمير أمين، الأمة العربية، الجزائر سلسلة صاد، تحت إشراف علي الكنز، دط، 1990م

14- شوقي عبد الحكيم، علمنة الدولة و عقلنة التراث العربي، بيروت، دار العودة، ط1، 1979م

15- عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي عند العرب، تونس، الدار التونسية للنشر، دط، 1991م

16- عبد الجليل مرتاض، اللغة و التواصل : اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي، الجزائر، دار هومة، دط، 2000م

17- عبد الرحمن وافي، المختصر في عوامل اكتساب اللغة، الجزائر، دار نجوم العالم للنشر و التوزيع، دط، 1998م

18- عبد القادر عدناني، دليل المقالة الفلسفية مع مختصر في المذاهب الفلسفية، الجزائر، طبع بمؤسسة الأخوة مدني، دط 1988م.

19- علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1987م

20- عمر فروخ، عبقرية اللغة العربية، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، دط، 1401هـ/1981م

21- فايز الداية، علم الدلالة العربي: النظرية و التطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دمشق، دار الفكر، ط2، 1996م

22- الفلسفة لطلاب الباكالوريا، الجزائر، وزارة التربية الوطنية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، دط، ج2، 1991-1992م

24- محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، مركز الإنماء القومي، ط3، 1998م

25- محمد أركون ، الفكر الإسلامي، ترجمة و تعليق هاشم صالح، الجزائر، لافوميك المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1993م

26- محمد سليم قلالة، التغريب: في الفكر و السياسة و الاقتصاد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، دط، 1990م

27- محمد ضاري حمادي، حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث (1266-1398هـ/ 1850-1978م)، العراق، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (239)، دط، 1980م

28- محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل، الجزائر، نشر مشترك : دار المعرفة و دار ريحانية ، دط، 1999م

29- محمود فهمي حجازي، العربية : نصوص و دراسات، القاهرة، دط، 1979م

30- محمود فهمي زيدان، المنطق الرمزي: نشأته و تطوره، بيروت، دار النهضة العربية دط، 1979م

31- محمود يعقوبي، المختار من النصوص الفلسفية، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، دط، 1972م

32- المختار في الآداب و النصوص و النقد و التراجم الأدبية، للسنة الثالثة ثانوي، الجزائر، وزارة التربية الوطنية، المعهد التربوي الوطني، دط، 1975م

33- مركز دراسات الوحدة العربية، اللغة العربية و الوعي القومي، بيروت، بحوث وناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالإشتراك مع المجمع العلمي العراقي و معهد البحوث و الدراسات العربية، ط2، 1986م

34- نبيل علي، الثقافة العربيةو عصر المعلومات، الكويت، كتاب عالم المعرفة 265، دط، 2000م

35- النصوص الفلسفية الميسرة للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، الجزائر، وزارة التربية الوطنية، المعهد التربوي الوطني، دط، ج1

36- النصوص الفلسفية الميسرة للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، الجزائر، وزارة التربية الوطنية، المعهد التربوي الوطني، دط، 1985-1986م

الدوريات :

37- الأصالة، (مجلة) : محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، دط، ج3، 1995م

38- العربي، (مجلة)، الكويت، وزارة الإعلام، دط، العدد: 503، 1421هـ/2000م

39- اللسان العربي، (مجلة)، الرباط، مكتب تنسيق التعريب، مطبعة المعارف الجديدة، دط، العدد : 27، 1407هـ/1986م

40- المورد، (مجلة) الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة و الفنون، دار الحرية للطباعة، دط، المجلد : 7، العدد : 4، 1399هـ-1978.

فهرست المواضيع

مقدمة 01

المدخل : بين المصطلح و المفهوم

1-قضية المصطلح والمفهوم 07

أ-الدّلالة اللّغوية 07

ب-المصطلح و المفهوم 16

2-العلاقة بين المصطلح والمفهوم 23

أ-الصّورة و اللّفظ 23

ب-الاصطلاح و الرمز 27

ج-المصطلح العلمي و المصطلحية 30

د-الاشتراك و الترادف 37

الفصل الأول : المصطلح بين اللّغة و الفكر

1-اصطلاحية اللّغة 42

2-الفكر و المفاهيم 50

3-اللّغة و الفكر 52

أ-اللّغة 52

ب-الاستعداد اللغوي 64

ج-بين اللّغة و الفكر 67

1-اللّغة و الفكر 67

2-الفكر و اللّغة 72

3-بين اللّغة و الفكر 74

-تقدم الفكر على اللّغة 78
-فضل اللّغة على الفكر 80
-وحدة الفكر واللّغة 81
-التطور الفكري واللّغة 83
د-التواصل اللغوي 87

الفصل الثاني: المعرب والدخيل

1-المعرب 90
2-الدخيل 94
3-المولد 97
4-بين المعرب و الدخيل 99
5-الأعجمي وعربية المحدثين 101

الفصل الثالث : اللّغة العربية وإشكالية المصطلح

1-العربية والفكر العربي 104
أ-خصائص اللّغة العربية 104
ب-اللّغة العربية والحياة الفكرية 112
ج-اللّغة العربية و العلوم 118
د- العربية و العامية 122
2-الفكر العربي و الفكر الوارد 124
أ-انتقال الفكر 124
ب-لغة العرب و فكر الغرب 131
3-الاستشراق و الاصطلاح 137

الفصل الرابع : الترجمة و التعريب

1-الترجمة 141

أ-حول الترجمة 141

-مفهوم الترجمة 141

-المترجم 143

-عملية الترجمة 145

ب-الترجمة العلمية 149

ج-ترجمة العلوم 155

2-التعريب 157

-مفهومه 157

-ضرورة التعريب 161

-التعريب و الترجمة 166

أ-أسسه 167

-أسس عامة 167

-مبادئ في تعريب المصطلحات 172

ب-وسائله 179

-حول وسائل العربية في التعريب 179

-من طرق التعريب 182

1-القياس 182

2-الاشتقاق 183

3-الترادف و الاشتراك اللّفظي 185

4-المجاز 185

5-التوليد 185

6-ال

7-التعريب الحرفي 187
ج-تعميم التعريب 188
-بسط التعريب 188
-عوائق التعريب 193
3-حركات النقل و الترجمة 197
أ-قديما 197
1-انتشار اللّغة العربية 197
2-صدر الإسلام 199
3-العصر الأموي 200
4-العصر العباسي 201
5-العصر الاندلسي 204
6-فترة الركود 205
ب-حديثا 205
4-تعريب المصطلح و تغريب الفكر 208
ختاما 214
فهرست الاعلام 218
فهرست البلدان 229
فهرست المراجع 231
فهرست المواضيع 235